الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة باتنة -1-

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم التاريخ و علم الآثار

النخبـــــة الجـــــزائرية المفـــــرنسة

ظهورها و أدوارها من : 1900-1956

مذكرة لنيل شهادة الماستر

في التاريخ المعاصر

إعداد الطالبتين :

شهــرزاد مفتــاح

شهــرزاد بوذهبــة

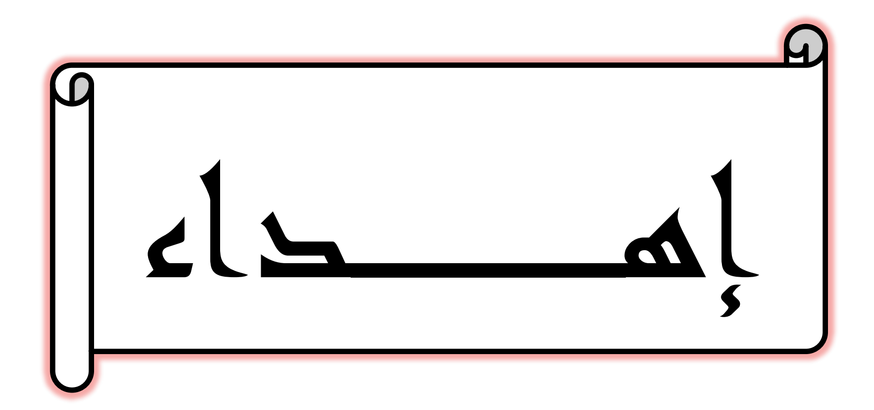
إشــراف الأستــاذ:

د. نــاصر بالحــاج

أعضاء لجنة المناقشة

الإسم و اللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة
د. بالحاج ناصر	أستاذ محاضر أ	مشرفا و مقررًا	جامعة باتنة 1

السنة الجامعية: **1437-1438هـ / 2016-2017 م**



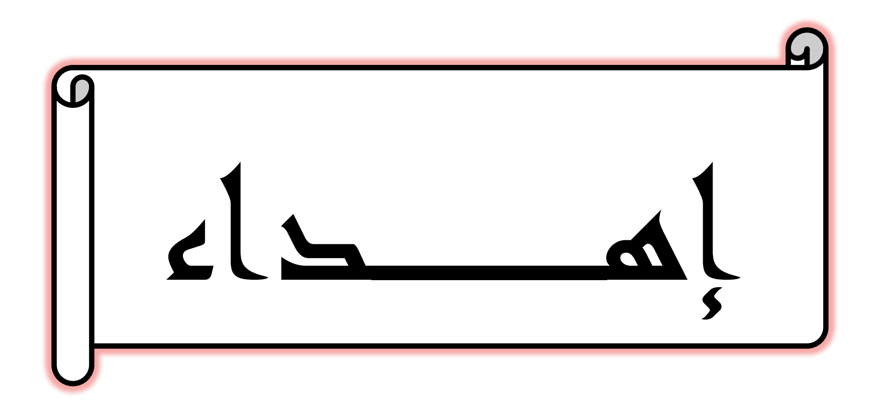
أهدي هذا العمل إلى الوالدين الكريمين

و

كل أفراد العائلة

و

كل الأصدقاء



إلى أبي العزيز الغالي الذي أسأل المولى عز و جل أن يرحمه و

يجزيه عني بالإحسان و يجمعه بي في بحبوحة الجنان

إلى من حنت عليا و ربتني و تعبت لأجلي إنها أمي الغالية التي

أسأل ربي أن تبقى عونا لي دائما على أمر ديني و دنياي

إلى أخواتي الحبيبات زينة و نادية و إلى قرة عيني خالي أنس

حفظه الله

إلى جدي ز جدتي أسأل الله تعالى أن يحفظهما

إلى كل الأهل و الأحباب دون استثناء

شكــر و عــرفان

نسدي خالص شكرنا و تقديرنا لأستاذنا الفاضل" بالحاج"

المشرف على هذا الموضوع، و الذي فتح لنا قلبه و مكتبه وخصنا

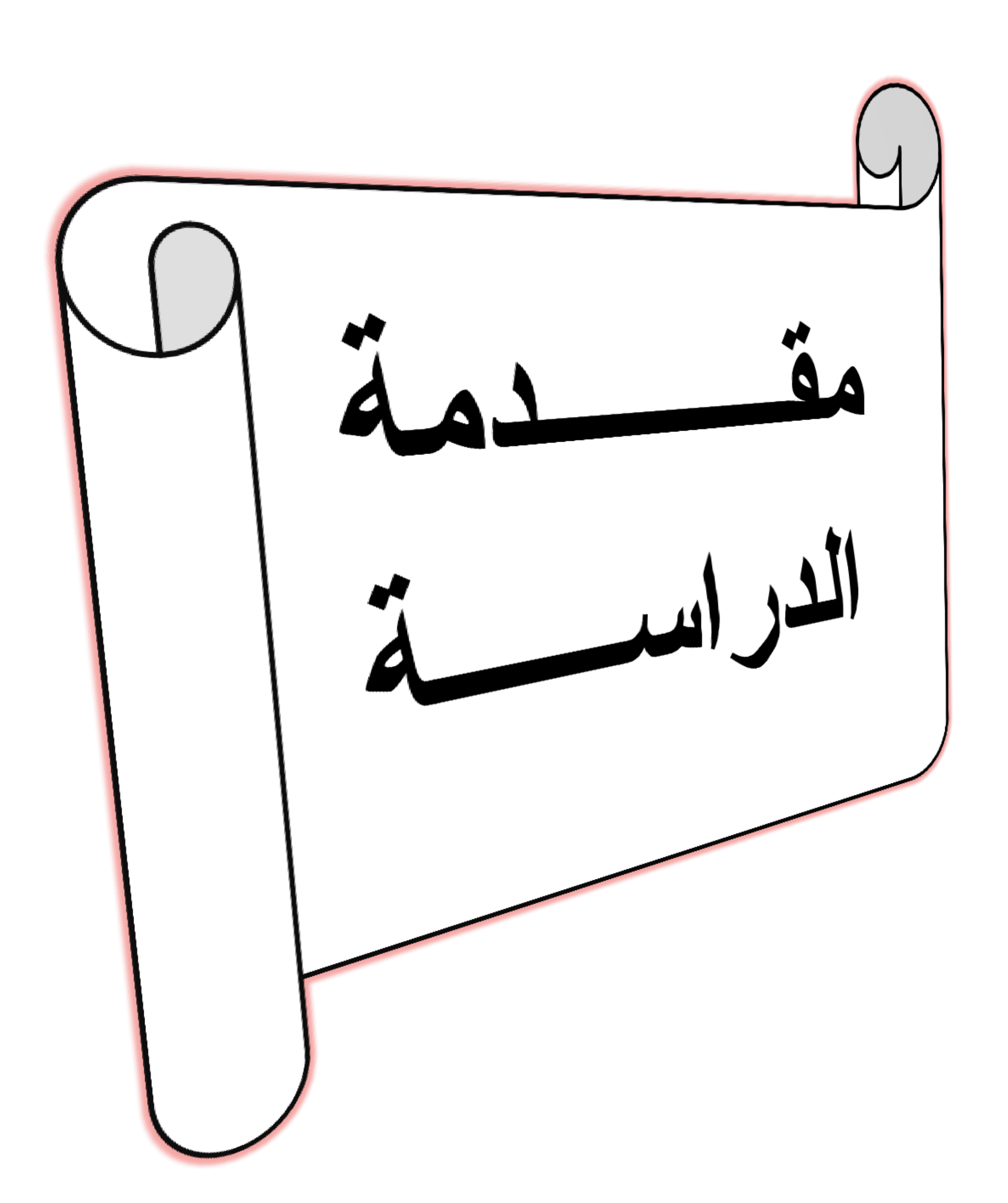
بكل إهتمامه وصبر معنا صبرا جميلا، و لم يبخل علينا بنصائحه و

إرشاداته المفيدة و توجيهاته الرشيدة، فلا نملك إلا أن نعترف له

بجميل حلمه.

قـــائمة المختصـــــرات

التسمية الكاملة للاختصار	الاختصار بالحروف العربية	الاختصار بالحروف اللاتينية
المؤسسة الوطنية للنشر	م.و.ن.ت	
المؤسسة الوطنية للكتاب	م . و. ك	
ديوان المطبوعات الجامعية	د . م . ج	
الوكالة الوطنية للنشر والتوزيع		ANEP
الشركة الوطنية للنشر والتوزيع	ش . و . ن . ت	
دون تاريخ نشر	د . ت	(S.D)
ترجمة (تعريب)	تر	
تقديم و تحقيق	تق و تح	
مجلد	مج	
جزء	ج	
طبعة	ط	
المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية	موفم	
نفس المصدر		IBID
نفس المصدر السابق		OP.CIT
مراجعة و إشراف	مر و إش	
سنة	س	
عدد	ع	
المجلة الإفريقية		Rev. afr
لمؤسسة الوطنية للكتاب		ENAL


مقــــــدمة
الدراســــة

مقدمة

عرفت الساحة الثقافية الجزائرية إرهاصات مختلفة نجم عنها تيارات فكرية متباينة نتيجة للأوضاع التي تعود أسبابها الى فترة الاحتلال الفرنسي , حيث ظهرت إلى الوجود إبان تلك الحقبة نخبة جزائرية جديدة انتجتها المنظومة التعليمية للمحتل , كانت محل جدل كبير , لما امتازت به من صفات لم يعتدها لا المجتمع الجزائري و لا المحتل نفسه.

فهذه النخبة الجزائرية الحديثة التي اصطلح على تسميتها بالمفرنسة أضحت اللاعب الأبرز في الميدان الثقافي و خاصة النضال السياسي , فكان لهذه النخبة عظيم الأثر على مستقبل البلاد و الأجيال القادمة.

أسباب اختيار الموضوع:

بعد تردد و ارتباك صاحبهما شيء من الحيرة إن لم نقل التوجس , لما كان الأمر يتعلق في الخوض في أمر إعداد هذا العمل الذي اعتدنا فيما مضى كتابة بعض البحوث القصيرة و المقتضبة على حد تعبير أساتذتنا الكرام , إلا أن تجربة رسالة التخرج كان لها وقع ليس بالهين .

بعد أخذ و رد, و لمدة ليست بالقصيرة تم التوافق على اختيار موضوع هذه الدراسة المتمثل في : النخبة الجزائرية المفرنسة ظهورها و أدوارها من 1900 الى 1956. و الفضل كله يعود الى أستاذنا الفاضل **بلحاج** الذي مكننا من الرسو آخر الأمر على هذا الموضوع , و الذي كنا نظُن في بادئ الامر أنه في متناولنا لما للعنوان من رنين يوحي الى متناوله بسهولته ,غير أن واقعه كان مغايرا لما يختلجه من تناقضات و جدالات ناهيك عن الغموض الذي صبغ مواقف كثيرة لبعض الكتاب و المؤرخين. حري بنا أن نذكر أن النخبة التي نحن بصدد دراستها هي التي ينتمي إليها أولئك الشبان الذين ينحدرون من عائلات جزائرية هي أصولها و ,استثنينا الجزائريين من ذوي الأصول الأوروبية , أمثال آلبير كامي (Albert Camu) و هم كثر.

إن من بين أهم الأسباب التي دفعتنا الى اختيار هذا الموضوع , هو كثرة الكتب المترجمة الى اللغة العربية رغم أن أصحابها جزائريين ,و ظهور جناح من المتبجحين يدعو الى فرنسة المنظومة التعليمية و إلغاء بعض المواد التي حافظت على الهوية الوطنية, و كثرة الإصلاحات بها , زد على ذلك الفضول العلمي , في الأخير هو جدلية المفرنس و المعرب , حيث يحظى الأول بكل الإحترام حتى على محدودية ثقافته في حين يهمش الثاني و إن كان من المشهود لهم برسوخ العلم, فالمتتبع للبرامج التي تذاع يوميا على قنواتنا الفضائية يخيل له أنها قنوات فرنكوفونية .

خطة الدراسة:

و نحن نحاول جمع المادة العلمية التي بإمكانها إفادة دراستنا هذه بحيث تكون إضافة لما كان من قبلها , كانت تستوقفنا بعض الكتابات لعديد من الباحثين الفرنسيين , أهم ما يميزها العنصرية و عدم الموضوعية و الانحياز للمحتل الفرنسي , رغم بعض المؤلفات التي رأينا فيها نوعا من المصداقية أو حتى المساندة للشعب الجزائري, من أمثال المؤرخ غي برفيي (*Guy Pervillé*) و الأستاذ مندوز (*Mandouze*) المعروف بتعاطفه مع الجزائر حيث أنه نشر في (*Consciences Maghrebines*) مجموعة مقالات ضمنها تصريحات الشهيد عبان رمضان , و فرانسيس جانسون (*Francis Jeanson*) هذا الفيلسوف الذي أسس شبكة لدعم جبهة التحرير الوطني , إذا من هذا المنطلق كانت نوايانا تصب في الاعتماد على مؤلفات و كتب المؤرخين الجزائريين , حتى و إن كانت لنا عليهم بعض التحفظات و نخص بالذكر الكاتب" الشريف بن حبيلس" نظرا لما ذهب إليه من مغالاته في انسلاخه مثله مثل المحامي "لحمك حنفي" الذي ألف كتاب معاد للإسلام ,نشير أن كاتب مقدمته هو موريس فيولات (*Maurice Violette*) دون أن ننسى "علي شكال" الذي قام بكل ما بوسعه لألا تقوم قائمة لهذا البلد و أمثاله كثيرون. لكننا نعود و نقول ان من أرخ بصدق و صور لنا بكل مسؤولية الحالة التي كانت عليها النخبة المفرنسة من ابناء الجزائر هم كثر كذلك , و منهم من ينتمي الى هذه الفئة التي نحن بصدد دراستها.

من أجل الاحاطة بالموضوع و إعطائه الزخم الذي يستحقه , على غرار ما سبق من دراسات و رسائل , كان من البديهي أن نستفيد مما حصّلنا اياه في مدرجات الكلية بخصوص انجاز هكذا دراسات, و جاء البحث مقسما إلى مقدمة و ثلاثة فصول و كان لكل فصل ثلاثة مباحث ثم تليهم خاتمة التي ضمناها حوصلة الدراسة. أما المقدمة فقد حاولنا جاهدين أن نحملها نمطية استباق الأحكام .

إن الفصل الأول جاء ليبحث في مرحلة متميزة توسطت عهدين , هما نهاية الحكم العثماني و بداية الاحتلال الغاشم ,و عليه لاحظنا أنه من الضروري تقسيم الفصل إلى ثلاثة مباحث كما ورد لنعطي صورة أوضح للحالة الفكرية و الثقافية خلال تلك الحقبة, فقمنا بتناول الأوضاع التي كان عليها التعليم في المبحث الأول ,أما المبحث الثاني فحاولنا من خلاله نقل أحوال النخبة المثقفة التي نشأت تحت الحكم العثماني , و عمدنا إلى توصيف البيئة التعليمية للمنظومة الفرنسية في بداياتها الأولى في المبحث الثالث , و كان الغرض من هذا النمط في سردنا لهذه الوقائع هو مواكبة تزامن الظواهر و إضفاء مقارنة بينية حتى نتمكن من فهم ما كان يرمي إليه المحتل من خلال سياساته التعليمية .

جاء الفصل الثاني كنظيره في ثلاثة مباحث, للإلمام بدور التعليم الفرنسي في تكوين النخبة الجزائرية , تناولنا في المبحث الأول أوضاع التعليم العربي الحر التقليدي المتوارث عن العهد العثماني و الذي بقي في منأى عن آلة الاحتلال الاستئصالية, في حين ذهب المبحث الثاني إلى الخوض في برامج الاحتلال الرامية الى طمس الهوية الوطنية من حيث سعيه الى خلق نمط جديد للتعليم تمثل في المدارس الشرعية الثلاث التي سعى من خلالها إلى استمالة الأهالي , و من أجل مسايرة الأحداث رأينا ان نشير في مبحثنا الثالث الى نتاج المنظومة التعليمية الفرنسية التي دأبت على تكوين شريحة يسيرة من أبناء الاهالي الذين هم لب دراستنا هذه.

الفصل الثالث و الأخير , و هو قلب هذا المشروع قسم مثله مثل الفصول السابقة الى ثلاثة مباحث , باشرنا المبحث الأول بتقديم مفهوم للنخبة الجزائرية المفرنسة , لأنه و على غرار باقي الدراسات ,فان هذا المفهوم لا ينطبق على أي نخبة كانت لأن النخبة الجزائرية المفرنسة هي حالة فريدة من نوعها , فهي وليدة ظروف و معطيات خاصة , أنتجت أقطاب مختلفة من حيث الأيديولوجيات و الانتماءات و هذا ما حاولنا إبرازه في المبحث الثاني , أما المبحث الثالث و هو الأخير فكان بمثابة حوصلة لمواقف و ارهاصات هذه النخبة التي أثارت الكثير من الجدل من حولها.

إشكالية الدراسة:

بعد أن حلت اللغة الفرنسية محل اللغة العربية و باتت لغة الحياة و القيم و العلم و الحضارة , مما دفع ببعض السكان إلى الاقتناع بحتمية إرسال أبنائهم بما فيهم حتى أبناء المنتمين للنخبة التقليدية إلى تحصيل العلم بالمدارس الفرنسية , و هو الفعل الذي أنتج نخبة حديثة متنورة , كانت لها وجهات نظر متطورة مختلفة و منفتحة على العالم , إلا أن هذه النخبة لم تكن لترضي أمال المحتل و لا لإحياء أمجاد الماضي بالنسبة لأهاليها , و عرفت هي نفسها انقسامات و انشقاقات وصلت حد التخوين .

من منطلق هذا الزخم الكبير من تباين الرؤى و ما يكتنفها من غموض و في بعض الأحيان تداخل المفاهيم بين نفس المكون الثقافي للنخبة الجزائرية ذات نفس الموروث الثقافي , ارتأينا أن تكون الإشكالية في الطرح الآتي:

- ما هو واقع ما يسمى بالنخبة الجزائرية المفرنسة ؟

و للإجابة على هذه الإشكالية حسب ما تقتضيه و تثيره طبيعة دراستنا , كان لا بد أن نطرح التساؤلات الفرعية التالية :

- ما هي الأسباب التي أدت إلى بروز النخبة المفرنسة ؟

- هل كانت هذه النخبة فصيلا واحدا أم فصائل مختلفة ؟
- ما الجديد الذي قدمته هذه النخبة المفرنسة للقضية الوطنية ؟

مناهج الدراسة :

لإعطاء أجوبة لهذا الطرح , وجدنا أنه من الأنسب اعتماد المنهج التاريخي الوصفي لعرض مجريات ما كانت عليه وقائع موضوعنا هذا, و لتباين مصادر المادة العلمية و تضاربها في عدد من الكتابات و اختلاف القناعات لدى البعض ممن اقتدينا بهم كان لزاما علينا تبني المنهج التحليلي و المقارن للرسو على حصيلة توافقية , بالنظر إلى طبيعة النخبة المفرنسة و اختلاف توجهاتها , و انقساماتها.

أهمية الدراسة :

تكمن أهمية دراستنا هذه في كونها محاولة ذات بعد محدود لطبيعة موضوعها , و عليه فهي إضافة يسيرة من أجل الإحاطة عن جانب جد مهم ضل الى يومنا هذا محل اهتمام شريحة واسعة من الباحثين و المؤرخين , كما يعلم الجميع فإن النخبة المفرنسة صنعت الجدل منذ نشأتها و لا تزال إلى يومنا هذا تثير من حولها العديد من التساؤلات بصفة خاصة من حيث مشاربها و توجهاتها .و تبرز أيضا الأهمية كون هذه النخبة كانت بمثابة قطب للنضال كافح ودافع عن المجتمع و الوطن و ساعد على التحرر و بناء المستقبل. نأمل كثيرا أن نعطي من خلال هذه الدراسة نفسا جديدة لإثراء الحوار من حول هذه النخبة , و نساهم في رفع الغطاء عن واقع النخبة المفرنسة و معرفة كل ما يكتنف وجودها و صيرورتها .

الإطار الزمني للدراسة:

تغطي دراستنا هذه الفترة الزمنية المتمثلة في الحقبة التي ظهرت فيها النخبة الجزائرية المفرنسة بداية القرن الماضي الى غاية نهاية خمسينياته الى أننا ركزنا بصفة خاصة على عقدي العشرينيات و الثلاثينيات ، لاسيما بعد أن بدأت حركة الهجرة إلى فرنسا و ظهور الحركات الوطنية و بداية تأسّيس الأحزاب، حيث عرفت هذه الفترة حركية ثقافية و نهضة فكرية تجديدية , و هي نفس المرحلة التي عرفت أحداث الحربين العالميتين التي كان لها تداعيات كبيرة على الساحة الجزائرية.

نظرا لطبيعة هذه الدراسة كان لزاما علينا تغطية فترات زمنية متباعدة , من أجل تتبع مصادر موضوع دراستنا لمعرفة المنابع و المشارب و لكون الجزائر عرفت أحداثا كثيرة لها امتدادات زمنية و حتى مكانية متفاوتة فرضها علينا السياق التاريخي للدراسة.

مصطلحات الدراسة:

من أجل تقديم صورة واضحة نوعا ما عن موضوع دراستنا هذه , إستعنا ببعض المصطلحات التي كانت تؤدي نفس الوضيفة بغية توصيف مزضوع دراستنا كلجوئنا إلى مصطلح : المتنورين (les Illuminés) , المتطورين(Evolués) , المثقفين (*Intellectuels*), المدرسيين , العارفين(*Connaisseurs*)....الخ للدلالة على النخبة المفرنسة . و استعملنا مصطلح الانتلجانسيا (*Intelligencia*) للحديث عن النخبة عامة , كما قمنا بتوظيف مصطلح الأهالي (*Indigènes*) للإشارة إلى المواطنين الجزائريين الأصليين أصحاب الارض , غير أن المحتل قام بتوظيف هذا اللفظ من باب الإحتقار و الحد من قيمة الجزائري, و إستعنّا بمصطلح المسلمين لتمييز الجزائريين المسلمين عن غيرهم من اليهود و المسيحيين و *Mederssas* للمدارس الشرعية التي أسسها المحتل من أجل استقطاب الأهالي .

مصادر و مراجع الدراسة:

أثناء إنجازنا لهذه الدراسة اعتمدنا على مجموعة من المصادر و المراجع باللغتين العربية و الفرنسية اهمها:

- تاريخ الجزائر الثقافي لصاحبه شيخ المؤرخين ابو القاسم سعد الله رحمة الله عليه.
- تاريخ الجزائر المعاصرة لشارل روبير أجيرون (مترجم).
- النخبة الجزائرية الفرانكوفونية لغي برفيليي (مترجم).
- الجزائر الأمة و المجتمع لمصطفى الاشرف(مترجم).
- الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي لشريف بن حبيلس(مترجم).
- *Enseignants et Instituteurs en Algérie* لـ:عيسى قادري و أحمد غواتي

صعوبات الدراسة:

إن أي بحث أو دراسة مهما كانت طبيعتها أو مجالها تنم عن صعوبات و إشكالات جمة , و بالأخص ميدان العلوم الانسانية لما لها من متغيرات و تعقيدات تستدعي إلمام صاحبها بعلوم أخرى مساعدة و بعض الصفات الشخصية كالحنكة و النباهة و خاصة البصيرة ,و الأمر يصير ملتبسا أكثر إذا ما تحدثنا عن التاريخ , هذه المادة التي طالما قَضَّت مضاجع فطاحل الاختصاص و الباحثين لأن دراسة ماضي أي مجتمع يعني التنقيب في ذاكرته و التحري و الاستقصاء كيفما كان ذلك الماضي.

وخلال تحقيق هذه الدراسة واجهتنا صعوبات عديدة , تمثلت في الاسلوب المتبع من قبل أصحاب المؤلفات و صعوبة الترجمة , و كانت جل المصادر لكتاب أجانب و هي كلها باللغة الفرنسية مما يستدعي ترجمتها , و كذلك نقص المادة العلمية في محيطنا مما اضطرنا إلى التنقل للولايات المجاورة , زد على ذلك استحالة استعارة الكتب , ناهيكم عن تضارب الروايات و تشعب الافكار , في الأخير كان لعامل الزمن دوره كذلك, فقصر المدة و الالتزامات الاجتماعية حالت دون تقيدنا بالموعد المحدد.

في الأخير يجدر بنا الاشارة أننا تفادينا قدر المستطاع اللجوء الى استخدام عبارات مثل :" الاحتلال و الاستيطان " ايمانا منا أن من يدمر لا يبني و إن فعل فلغاية في نفسه.

فهرس الموضوعات


الفصل الأول
أوضاع الجزائر الثقافية
خلال القرن 19

الفصل الأول :أوضاع الجزائر الثقافية خلال القرن 19

ذكر الكاتب الفرنسي "بولار" (*M.Poulard*) في كتابه عن التعليم القومي الجزائري قائلا :لقد أشاع دخول الفرنسيين إلى الأوساط العلمية و الأدبية ، اضطرابا شديدا فهجر معظم الأساتذة الأفذاذ مراكزهم هاربين . و لقد كان يقدر عدد الطلاب قبل 1830 م بمائة وخمسين ألف طالب أو يزيدون ؛ومهما يكن من أمر فلم ينجح من المدارس القديمة سوى عدد قليل من المدارس الصغيرة، وحرمت أجيال عديدة من التعليم.

حري بنا أن ننبه أن الجزائر العثمانية كانت تزخر بحواضر علمية شتى دينية وثقافية، كمدينة قسنطينة التي يقول عنها" قفارل " (*Paul Gaffarel*) " :إن قسنطينة كانت على عهد الأتراك عاصمة دينية ،وكان العلماء بها يتمتعون بالسيادة المطلقة، والنفوذ التام، كما كانت غاصة بعدد كبير من الطلبة ينهلون العلم من خمسة عشر مدرسة للعلوم الدنيوية والآخروية ... إن قسنطينة كانت مبعث نور الجزائر ،كما كانت تشرف العلماء و تقدرهم حق قدرهم[1] .

وإلى غاية الأعوام الأولى من الاحتلال، بقيت وتيرة الحركة العلمية بالجزائر مزدهرة، حيث ناهز عدد الأساتذة بالمسجد الكبير بالعاصمة التسعة عشر عالما، و عمرت المدارس و المساجد بالفقهاء و العلماء منهم الشيخ المفتي محمد بن الشاهد مفتي المالكية، الإمام المفتي الشيخ العربي و الشيخ محمد بن الكاهية و الشيخ مصطفى بن الكبابطي القاضي وباعزيز بن عمر و الشيخ علي بن محمد المنجلاتي مفتي المالكية سنة1823، و محمد بن إبراهيم بن موسى ، مفتي المالكية سنة 1824 والشيخ بن الأمين والحاج حمودة الجزائري و غيرهم.

مدينة قسنطينة كانت بحق عاصمة الثقافة حيث عاش بها في تلك الفترة علماء كبار , درسوا مختلف العلوم من بينهم الشيخ محمد بن علي الطلحي الذي كانت حلقته العلمية دوما عامرة بمسجد سيدي مسلم

---

(1) رشيدة شدري معمر: العلماء و السلطة العثمانية في الجزائر , رسالة ماجستير , كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية, جامعة الجزائر , 2006/2005.

الحراري والشيخ عامر بن شريط و عمار العربي، الذي كان يربي النشأ بمسجد القصبة والشيخ محمد المبارك خطيب المسجد الكبير و مفتي المالكية

أما مركز الاشعاع العلمي بناحية الغرب ، فكان بمدينة تلمسان فاشتهرت ببيوتاتها التي توارثتها الأسر أبا عن جد مثل عائلة شعيب و عائلة المجاوي ولمع نجم العلامة الكبيرالشيخ «الداوودي»، وكان معهد سيدي أبي مدين المؤسس سنة 1346 بتلمسان أشهر المعاهد العلمية في المغرب العربي . إلى جانب الحركة العلمية النشطة احتضنت كل من مدينة وهران , معسكر و مستغانم و غيرها العلماء القادمين و حتى الفارين من المناطق المتاخمة لها.

الحركة المعرفية و العلمية شملت معظم مناطق الجزائر امتدت من بلاد القبائل حيث معهد أمالو بأقبو ببجاية وسيدي منصور في القبائل الكبرى حتى اشتهرت بشيوخها كالعالم الجليل الشيخ «محمد القشطولي» إلى أن وصلت الجنوب بوادي ميزاب و ما معهد الهامل بالقرب من مدينة بوسعادة وزوايا تيميمون إلا خير دليل .فالجزائر كانت بلاد للعلم و الثقافة, وقد تجلت العبقرية الجزائرية في هذه الفترة مع ظهور العلماء الأجلاء في كثير من العلوم النقلية والعقلية في كامل ربوع الوطن، فكثرت مؤلفاتهم و ذاع صيتهم في الداخل كما في الخارج ، فما كان انتشار كل تلك المدارس والمساجد والزوايا في مختلف حواضر الوطن خلال تلك الفترة، إلا نتاج حركية فكرية علمية فذة, فكثرت المراكز التعليمية بكل من قسنطينة والعاصمة وتلمسان وبلاد ميزاب في الجنوب حتى اصبحت منارات تضاهي مثيلاتها بفاس و القيروان ، وكان يقوم عليها أساتذة وعلماء مشهود لهم بواسع الثقافة و المعرفة و علو المكانة، مثل الشيخ «ابن الحفّاف» ، والشيخ «الداوودي» ، والشيخ «الثميني» والشيخ «ابن الطبّال» ، و كثيرون هم امثالهم ممن تفرّغوا للتدريس ونشر العلم .

و لقد أعطى الجزائريون أهمية خاصة للتعليم العالي وقتها فوضع له نظام خاص به أين تم تنصيب مجلس بمدينة الجزائر لتسييره وبما أن العثمانيون كانوا يدينون بالمذهب الحنفي فقد ضم المجلس مفتيين مالكي و حنفي و

قاضيين مالكي و الآخر حنفي , حيث يقوم هذا المجلس بتعيين ناظر يعمل على أمور التدريس , ويرشح العلماء للتدريس و يقدم سيرهم للباي.[1]

إن معظم المؤرخين الذين اهتموا بدراسة تاريخ الجزائر أجانب كانوا أو جزائريين أجمعوا كلهم على كثرة مراكز التعليم وانتشارها ,في كامل التراب الوطني خلال فترة ما قبل الاحتلال ،فهو خير دليل على أن الحياة الفكرية والثقافية كانت نشطة و مزدهرة رغم زيف ادعاء الإدارة الفرنسية بعد الاحتلال, حيث قامت مرتزقتها الهمجية بحرق و نهب المكتبات ,اما ما تبقى من المخطوطات التي حفظتها العناية الإلهية تمت مصادرتها إلى يومنا هذا.

و يشير السيد " لوبيشو"(*François Lepescheux-Dauvais*) المفتش العام للدراسات: أن الكثير من الكتب تشتتت بفعل عمليات الاحتلال المتكررة للمساجد كما تم إتلاف جزء كبير من المخطوطات التي كانت تستعمل كقاعدة للتدريس.

و يقول أحد الغربيين واصفًا همجية المحتل بقوله : " إن الفرنسيين عندما فتحوا مدينة قسنطينة في شمالي أفريقيا، أحرقوا كل الكتب والمخطوطات التي وقعت في أيديهم، كأنهم من صميم الهمج " , و هذا ما أدى بالباحثين و المؤرخين إلى عدم التوصل لدراسة بدقة صيرورة العلماء الكثيرون في شتى ميادين اختصاصهم فمنهم من نسي بعد أن ضاعت مؤلفاتهم و منهم من زخرت بمؤلفاتهم المكتبات العامة والخاصة في الجزائر لمدة معينة ليست بالطويلة ، غير أن يد المحتل عبثت بها سلبًا وحرقًا، في همجية لم يشهد لها التاريخ المعاصر مثيلاً.

---

[1] إبراهيم مياسي : موقف الإدارة الاستعمارية من تعليم الجزائريين , موقع مجموعة الشهاب , تاريخ الاطلاع :13 ديسمبر 2016 ، الساعة : 11:30.

http://www.chihab.net/modules.php?name=News&file=article&sid=1068

المبحث الأول :أوضاع التعليم في أواخر العهد العثماني:

رغم أن العثمانيون كانوا يهتمون اكثر بأمور التجارة و الحروب نظرا لمتطلبات تلك الفترة حيث تقتضي الاعتماد على القوة, إلا أن تلك الأوضاع لم تمنعهم من السماح لتطوير الحركة الفكرية .لم تكن لديهم أي هيئة تعني بالتعليم و التدريس ,و عليه تركت أمور التعليم للأفراد و بعض الجماعات التي اجتهدت من أجل نشر العلم كل حسب توجهه و اختلاف مشاربه ,و تركزت حركة الثّقافة و التعليم في مجموعة من الحواضر مثل : تلمسان و تيارت في الغرب، و بجاية و قسنطينة في الشرق، و مدينة الجزائر و أطرافها, و باتت منابعا للإشعاع العلمي و الفكري حيث ازدهرت بها العلوم وحتى الفنون. وقد نبغ في هذا العهد رجال أفذاذ, تألقت أسمائهم في كامل بلاد العالم الإسلامي , من أشهرهم عيسى بن محمد الثعالبي, و يحي بن صالح الملياني صاحب التأليف الشهيرة , و سعيد المقري , و أحمد بن عمار الجزائري , و عمر بن محمد المنقلاتي , و طائفة عظيمة من شيوخ الإسلام و عظماء المدرسين الذين أفادوا الأمة بعلمهم و بعملهم.[1]

و لقد كان القرآن هو الاساس للتعليم على اختلاف مراحله بما فيه التعليم العالي, اما التمويل كان جله ياتي من الاوقاف من اهل الخير و العمل الصالح من الاثرياء ,الاعيان و الوجهاء, حتى انه ذكر ان بعض المسؤولين الكبار و قادة الجيش و الموظفون السامون في الدولة كانوا يحبسون بعض املاكهم و اموالهم كعمل من اعمال الخير .اذ أن هناك عقارات ,املاك و اراض تذهب ايراداتها الى تشييد المدارس و المساجد و دفع رواتب المدرسين و المشرفين و ايواء الطلبة القادمين من المدن البعيدة و القرى و الارياف, و نظرا لهذه الوضعية ارتأى بعض المصلحين و العلماء بعث الروح العلمية في اوساط المداشر , القرى و الارياف و الفضل فيه يعود بالدرجة الاولى للدور الفعال للأوقاف, التي اتخذت طابعها الديني وتم تجهيزها بعناية لأجل صيانة المساجد, التكفل بالطلبة و الوافدين، وتلبية مطالب العلماء ,و تجدر بنا الاشارة هنا الى توضيح مدلول لفظة الأوقاف :

---

[1] احمد توفيق المدني : هذه هي الجزائر , مكتبة النهضة المصرية , 1956 , ص 73.

و عليه اذا فالمقصود بالأوقاف أو الأحباس كل ما تم التنازل عنه من ممتلكات وأراضي عن طيب خاطر للهيئات الدينية (مساجد, زوايا ,كتاتيب أو لبعض المرابطين)، و تستغل في « تسديد تكاليف تسيير المؤسسات الدينية، و دفع رواتب الأئمة و المعلمين، و توفير المأوى لطلبة العلم القادمين من المنطقة النائية ، بل مساعدة الفقراء و عابري السبيل و إطعام ضحايا المجاعات...» [1]و في إعالة العائلات العاملة عليها , لأن « الوقف عقد عمل خيري ذي صبغة دينية، يقوم على توفر الواقف الذي له أهلية التبرع بما يملك من ذات أو منفعة، و على وجود الموقوف، و هو المنفعة التي تصرف على سبيل الحبس، فضلا على توفر الموقوف عليه، و هو المستحق لصرف تلك الذات أو المنفعة و لو كان مصلحة عامة كالمسجد و المدرسة و الزاوية ... و هذا مع اشتراط صيغة الوقف و لو كانت بكتابة على مسجد أو مؤسسة خيرية» .[2]

و نظرا للتطور النوعي للحياة الثقافية و الظروف السياسية آنذاك, انتقلت العلوم و المعارف و الحركة العلمية من المدينة إلى الريف و ذلك بتشييد الجوامع ,الكتاتيب و الزوايا العلمية و الدينية لقد كان الهدف المرجو منها هو نشر التعليم، تنوير النشأ والنهوض بالمجتمع، و خدمة العامة و في هذا السياق يقول المؤرخ الجزائري الشيخ المهدي البوعبدلي(1907-1992): « إن العصر العثماني امتاز في الجزائر بانتقال المراكز الثقافية من المدن إلى القرى، واشتهرت عدة معاهد انذاك في كامل القطر، كمعاهد بني يعلى العجيسي، عبد الرحمان البلولي ..و بني خليل، و المدية و معاهد الراشدية و مازونة...»

إن التعليم الذي كان سائدا ,هو تعليم عربي إسلامي محظ حيث يقوم أساسا على الدراسات الدينية واللغوية والفقهية وبعض من الدراسات العلمية, ومرافقه هي المساجد و المدارس والزوايا. هذه المرافق التعليمية النوعية هي التي كانت تشكل النسيج التربوي الجزائري آنذاك.

---

(1) عبد الحميد خميسي : مشكلة الغذاء و ثورات الخبز في الجزائر و فرنسا خلال القرن 18 و بداية 19 رسالة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة منتوري , قسنطينة 2006 ، ص 20 .

(2) ناصر الدين سعيدوني : الوقف و مكانته في الحياة الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية بالجزائر أواخر العهد العثماني و أوائل الاحتلال الفرنسي , مجلة الأصالة ، الجزائر 1981 ,العدد 85 , ص.ص 89,90.

❖ **المساجد:**

المسجد هو أول و أعظم المعاهد الفكرية لدراسة القرآن والحديث والفقه واللغة وغيرها من العلوم، وأصبح كثير من المساجد مراكز هامة للحركة العلمية. "فكان المسجد أول مدرسة جماعية منظمة في تاريخ العرب للتربية و لتعليم الكبار والصغار.

لقد كانت الناحية التعليمية اهم استخدامات المسجد, و بخاصة قبل ظهور المدرسة كمؤسسة تعليمية في المجتمع الاسلامي , وكانت المساجد افضل وكالات التعليم في التربية الاسلامية لعدم اختصاصها بفئة معينة , و للحرية المطلقة للطلاب و المعلمين في اختيار موضوعات الدراسة و اساليبها و اوقاتها. و جاء في صحيفة همام بن منية :"أن عدد المساجد التي بنيت في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة مساجد، وأن أكثرها اتخذ مدارس للتعليم.[1] وقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم على هذا الدور العلمي بقوله: "من غدا إلى المسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيراً أو يعلمه كان كأجر حاج تاماً حجه." (أخرجه الطبراني) , و إن المساجد كان بها تعليم عالي وراقي من قول الشافعي: كنت يتيما في حجر امي فدفعتني في الكتاب...فلما ختمت القرآن دخلت المسجد.

و لقد حظيت المساجد بالجزائر ابان العهد العثماني بمكانة خاصة فاعتبرت بمثابة نواة المرافق العلمية اذ انها ام المؤسسات التعليمية آنذاك فلم يقتصر دورها على اداء الفرائض اليومية بل اعتمدت على ان تكون منارات فكرية و هي بمثابة جامعات أو معاهد ايامنا , ففي المساجد عقدت دروس العلوم و البحث وداخل بهوها اقيمت المناظرات العلمية و حلقات الوعظ والإرشاد[2], حيث أن (الجامع الكبير) بالجزائر العاصمة بات دارا للمناظرة ولتبادل الآراء الفقهية , ويصف الرحالة فنتير دي بارادي (*Jean-Michel de Venture de Paradis*)

---

(1) صحيفة : همام بن منية.

(2) عبد العزيز فلالي : تلمسان في العهد الزياني ،المؤسسة الوطنية،2002 ،الجزائر ،ج1 ، ص145.

أنشطة الجامع الكبير، حيث يقول : "إن المفتيين والقاضيين كانا يجتمعان للحكم في القضايا المهمة التي لم يستطع الحاكم العام البت فيها".[1]

و لتلقي دروس العلوم الشرعية والنحو واللغة , تقوم جموع الطلبة بالالتفاف حول أحد الشيوخ الجالسين عند إحدى أعمدة المسجد [2]و فيه يلتقي ذوو المصالح العامة والخاصة ، وفي المسجد تذاع القرارات الهامة التي تتعلق بالصالح العام و البلاغات الرسمية للدولة [3], و ذكر محمد بن عبد الكريم في تقديم كتاب التحفة المرضية أن المساجد « قد كانت مرتعا لحلقات الدروس اليومية، و محطا لفنون العلم ، التي كانت تدرس لذلك العهد، لاسيما في القرى و المدن، حيث لا زوايا تقوم بدورها في بث ما أمكنها من العلوم» .[4]

استمرت العناية ببناء المساجد في العهد العثماني ،اين عرفت ازدهارا كبيرا في تشييدها فأقيمت المساجد الكبيرة منها و الصغيرة ويعود هذا الانتشار الواسع للمساجد إلى عناية القادة العثمانيين اذ انهم أوقفوا الأحباس الكثيرة عليها.

فالمساجد كانت تقوم بوظيفة التعليم إلى جانب الصلوات الخمس فقد كان عددها كبير جدا ويوجد في مدينة قسنطينة وحدها 35 مسجدا. اما مدينة عنابة وصل عدد مساجدها 37 وقد بين رشيد دوكالي في كتابه: **مساجد مدينة الجزائر في العهد العثماني**، مشيراً إلى وجود 166 معلماً دينياً عشية احتلال الفرنسيين لها عام 1830، منها: 13 جامعاً، 109مساجد منها 14حنفية ، 32 ضريحاً، 12 زاوية. إلا أنّ غالبيتها، كما يقول اندثرت وهدمت بفعل همجية المحتل الغاشم.

---

[1] *Venture De Paradis, Alger au VII Siècle, Rev. Afr., N° 41, 1897, pp106.107.*

[2] كمال السيد أبو مصطفي : جوانب من الحياة الإجتماعية و الإقتصادية و الدينية و العلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل و فتاوى المعيار المعرب, مركز الإسكندرية للكتاب , القاهرة 1997 ، ص 117 .

[3] أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي , دار الغرب الاسلامي ، بيروت 1998 , ج1 ، ص34.

[4] محمد بن ميمون الجزائري : التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تق و تح , محمد بن عبد الكريم، ش و ن ت، الجزائر 1972 ، ص 59 .

أما الأستاذ " ديميري"(*P. Demaret*) ، الذي درس طويلاً الحياة الجزائرية في القرن التاسع عشر، فقد أشار إلى أنه قد كان في قسنطينة وحدها قبل الاحتلال خمسة وثلاثون مسجدًا تستعمل كمراكز للتعليم، ويدرّس فيها أساتذة محترمون لهم أجور عالية.

كانت العناية بالمساجد السمة المميزة في للمجتمع الجزائري , اذ لم يوجد مسجد بلا مدرسة و لا زاوية تخلو من مدرسة و مسجد. و بما ان المجتمع الجزائري كانت له ظروفه الخاصة فان مساجده كذلك كانت لها مميزاتها الخاصة الشيء الذي ادى الى تمييزها عن بعضها البعض من حيث التشييد و التأسيس فظهرت انواع عدة اهمها:

- مساجد تم تأسيسها من قبل القادة الكبار كالأمراء و الولاة، ولربما ان هذه المهمة النبيلة كانت من بين اعمالهم الوظيفية نحو دينهم، او طلبا للشهرة، ومنهم من سعى لكسب محبة الشعب مثل :جامع ابن مروان و صالح باي (الجامع الجديد) بمدينة عنابة، جامع الباي بمدينة قسنطينة، الجامع الكبير العاصمة،
- مساجد قام بتشييدها الاعيان و الأغنياء طلبا للشهرة أو لنيل رضا الله، أو لتملك قلوب الناس مثل :(جامع سيدي الأخضر) قسنطينة، (سيدي عبد الرحمان الثعالبي) الجزائر،(سيدي الهواري) وهران
- مساجد أسستها فئات اجتماعية دينية، أوهيئات خيرية و حتى مؤسسات علمية و هي حال معظم مساجد الجزائر.[1]

و لقد أورد لامورسيير(*Louis Juchault de Lamoricière*) الذي كان يمقت التعليم الإسلامي قوله : « التعليم العام العمومي و المحاكم (...) هي مجرد تعبير عن المسجد، الذي يتحكم بشكل كبير في الحركة السياسية و الفكرية، فقد كان التعليم موجها لحماية الدين، إ ن تعّلم الكتابة بالنسبة لجميع المسلمين معناه

[1] يحيى بوعزيز: أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين التاسع عشر و العشرين, مجلة الثقافة, عدد 63 ماي1981 , ص 12 .

إعادة كتابة حروف الكتاب المقدس، و إن القرآن هو قاعدة حتى للتعليم الابتدائي، كما أنه صار فيما بعد النص المقرر في الدروس بالنسبة للتعليم الثانوي و هدف الدراسات العليا.» [1]

إن الأثر الذي يتركه المسجد في نفوس المسلمين عظيم وكبير سواء كان أثراً دينياً أو اجتماعياً أو علمياً أو سياسياً أو خلقياً أو غير ذلك، وليس أدل على هذا القول من استمرار المسجد كمركز إشعاع ديني وروحي ونفسي على الرغم من المحن التي تعرض لها المسلمون في مختلف العصور.

فالمساجد كما كانت من قبل بقيت منابرا للعلم و محاكما للعدل و مجالسا للبت في شتى أمور الحياة فمنها تخرجت جموع العلماء و الفقهاء و من صوامعها اعلن الجهاد و من محاريبها شحذت الهمم .

مما سبق يتضح لنا الدور التعليمي الذي كان يؤديه المسجد باعتباره جزءاً من دوره الحيوي في المجتمع الجزائري.

و عليه فإن هذا الدور – الدور التعليمي – سار جنباً إلى جنب وباتزان بديع مع الأدوار التربوية الأخرى التي كان يقوم بها المسجد في المجتمع الجزائري.

❖ **المدارس:**

قال" لابنيتز" *(Gottfried Wilhelm Leibniz)* : من يمسك بالمدرسة يتحكم في المستقبل، بل في الحاضر أيضا ، وحتى الماضي والتاريخ .

فيما مضى و بالتحديد ابان فترة الجزائر العثمانية لم تكن المدارس كما هي في ايامنا هذه والمختصة بالتعليم في مراحله المختلفة، كما أن هناك اختلاف بين المؤرخين في تحديد ماهية المدارس وعددها بدقة، وذلك نتيجة لعدم

---

[1] إيفون تيران : المجابهات الثقافية في الجزائر المستعمرة المدارس و الممارسات الطبية و الدين .1830-1880 . تر : محمد عبد الكريم أوزغلة . مراجعة و إشراف : مصطفى ماضي، دار القصبة للنشر , الجزائر 2007 , ص 126 .

استقلالها كمؤسسات معنوية تحت اسم مدرسة، بل كانت إما كتابا أو تابعة لمسجد أو زاوية ومنها ما سمي بالمسيد او الجامع و في مناطق اخرى و في فترة معينة اتخذت اسماء عديدة وفقا لظروف بيئية او اجتماعية .

و في دراستنا هذه سنتناول المدرسة بمختلف الهياكل التي كانت تجسدها على تعدد تسمياتها من كتاتيب و زوايا كما اسلفنا الذكر و ما توارثناه من امسنا , انه قبل وصول الاحتلال الفرنسي الى الجزائر كانت هناك مدارس كثيرة منتشرة في بعض المدن الجزائرية ولم تكن بهذه الكيفية و هذا التنظيم و اتخذت صفات متنوعة وقسمت المدارس الى اقسام عديدة كل حسب رؤيته فنجد مثلا الدكتور عبد الحميد زوزو في كتابه نصوص و وثائق قد ذكر أن "ديشي" المسؤول عن التعليم العمومي بالجزائر قد قسمها قسمين: المسايد و المدارس ,حيث يتعلم الطفل حفظ القرآن و الكتابة و القراءة في المسيد ثم ينتقل الى المدرسة بعد حفظه القرآن عن ظهر قلب و يحمل صفة طالب و بعدها يمكن للطالب ان يدرس القواعد و المنطق و الحقوق ,لينتهي بدراسة الفلك و علم الجداول و الهندسة.

في حين ذهب البعض إلى القول بان المدارس اتخذت عدة أشكال وهنالك تداخل بين أشكالها هذه ومنهم من حاول تقسيمها إلى: مدارس ممثلة في الكتاتيب كمدارس إبتدائية ومدارس بشكل الزوايا كمدارس ثانوية ينتقل إليها الطلبة بعد إجازتهم حفظ القرآن الكريم ورغبتهم التفقه في الدين ,و مدارس بشكل الرابطات وهي تشبه الزوايا في وظيفتها الاجتماعية والثقافية إلا أنها تكون في أطراف المدن، ومدارس بشكل معاهد و تسمى أيضا بالمدارس العليا التي تشبه اليوم الجامعات ، قد اشتهرت بمدينة الجزائر عدة معاهد ، أهمها المدرسة العليا بالجامع الكبير ، و المدرسة القشاشية ، و انتشرت هذه المعاهد أيضا بقسنطينة ، و عنابة و معسكر و تلمسان و مازونة (غليزان) و كانت تدرس فيها العلوم النقلية و العقلية و هي مستقلة في معظمها عن المساجد و تتولى فقط بتدريس العلم . و في مناطق اخرى كانت تتخذ اشكالا مغايرة لان صفة المدرسة تتبع خصائص المنطقة , فنجد احيانا مدارس تابعة للزوايا و احيانا العكس حيث تصبح الزاوية تابعة للمدرسة, واشتهرت الجزائر في هذه الفترة

بوفرة المدارس و العلماء رغم محدودية العطاء و النجاعة ، و كما ذكرنا إضافة إلى المدارس الابتدائية ، كان لها مدارس ثانوية و عالية .

وامتازت فترة الحكم العثماني بتشجيع بناء مثل هذه المدارس وحتى المساهمة في امور البناء، و الاهتمام بالعلماء و الاشادة بمكانتهم و تقريبهم ، ومن بين هؤلاء القادة العثمانيين نذكر منهم : محمد الكبير باي 1779-1791 () بإقليم الغرب ،الداي محمد بن عثمان باشا(1766- 1796) و صالح باي قسنطينة (1725-1795) ,[1] هذا الاخير الذي أسس مدرسة سيدي الكتاني [2] سنة 1774 ، كما شيد مدرسة سيدي الأخضر التابعة للجامع الأخضر في قسنطينة سنة 1779 لتعليم مختلف العلوم و الفنون، و قد شيد مدارس أخرى في عنابة، القل، جيجل و كان يلحق بها مكتبة و يوقف لها أوقاف مع المسجد.

وحذا حذوه محمد بن عثمان باشا الذي شيد في بايلك الغرب بعض المساجد و المدارس ,من بينها مدرسة معسكر، و مدرسة وهران واهتم بمدرسة مازونة لكن تبقى الأشهر هي مدرسة المحمدية في معسكر كما ذكر في كتاب«عجائب الأسفار » لأبو راس الناصر قائلا: : « المدرسة المتعارفة عندنا هي التي تبنى لدراسة العلم أي : لتعليمه و تعّلمه كمدرسة إبني الإمام بتلمسان، و القشاشية بالجزائر، و المحمدية بأم عسكر .و أن هذه المدارس لم تكن معروفة في أول الإسلام، و إنما كانت دراسة القرآن و سائر العلوم بالمساجد فقط ...» .[3]

[1] حميدة عميراوي : دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية (1827-1840) , ط1 ، دار البعث، الجزائر 1987 ، ص 63 .

[2] فاطمة الزهراء قشي : قسنطينة في عهد صالح باي البايات، منشورات ميديا بلوس، قسنطينة , الجزائر2005 , ص69.

[3] كمال خليل : المدارس الشرعية الثلاث في الجزائر :التأسيس و التطور 1850-1951, رسالة ماجستير في تاريخ المجتمع المغاربي الحديث و المعاصر, جامعة منتوري , قسنطينة2007/2008 ، ص13.

كانت مدينة قسنطينة في عهد الباي الحاج أحمد كانت تضم 86 مدرسة ابتدائية,أما تلمسان فقد كان فيها 50 مدرسة ابتدائية و عدد كبير من الزوايا. كما كان بها مدرستان للتعليم الثانوي و العالي هما مدرسة الجامع الكبير والأخرى مدرسة أولاد الإمام. وفي ضاحية تلمسان كانت أيضا مدرسة قرية عين الحوت[1] .

حتى ان الكاتب المغربي الحسن الوزان أشاد بمدارس تلمسان قائلا" : توجد بتلمسان مساجد عديدة جميلة صينة ، لها أئمة و خطباء ، خمس مدارس حسنة ، جيدة البناء ، مزدانة بالفسيفساء و غير ها من الأعمال الفنية ".[2]

و كان بعاصمة الجزائر، عدد ليس بالقليل من المدارس، مثل مدرسة سيدي أيوب بالقرب من الجامع الجديد، و مدرسة حسن باشا في جوار جامع كاتشاوة فضلا عن الزوايا العديدة .

و على ضوء ما جادت به قرائح المؤرخين يمكننا حصر مدارس الجزائر العثمانية في :

- مدرسة مازونة: اشتهرت مدينة ما زونة بمدرستها الدينية، و يعود الفضل في تأسيسها إلى الشيخ أمحمد بن الشارف البولداوي ,بلغت شهرة المدرسة الآفاق في العلوم المختلفة منها الشرعية و الفقهية ناهيك عن علم الحديث وعلم الكلام، و كانت مجالسها كثيرة و طلبته مشهود لهم بالنجابة و بالأخص علمائها الذين كانوا يشرفون على دروسها، حتى ان مدينة مازونة وصفت بكونها بلد العلم والفقه، قال فيها شيخ المؤرخين أبو القاسم سعد الله في تاريخ الجزائر الثقافي ‘‘ المعروف أنَّ مازونة كانت عاصمة إقليمية بعض الوقت في العهد العثماني الأَوَّل كانت مدينة العلم والعلماء بنزول العديد من الأسر الاندلسية بهاَ، ورسوخِ أشرافهاَ وشهرة مدرستهاَ، وقد ظل بصيص نورهاَ يضيءُ، أيضاَ الظلمات أثناء الاحتلال الفرنسيْ’’ واشتهر شيوخها

[1] ابو القاسم سعد الله : محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث , الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ,ط 3 , الجزائر 1990 , ص .164

[2] حميدة عميراوي : دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية 1827-1840 , ط1 ، دار البعث، الجزائر 1987 ، ص .63

بالتخصص في بعض العلوم الفقهية فكان منهم من تخصص في شرح الخرشي و شرح مختصر خليل وشرح الزرقاني في الفقه المالكي، كما تخصص آخرون في الأحكام والقضاء والفتوى، والبعض الاخر في الفرائض واخرون في رواية الحديث الشريف.

- مدرسة القيطنة : تم تأسيس المدرسة سنة 1787م على يد مصطفى بن المختار بعد ان عاد من مدينة العراق حيث كان ببغداد

عاصمة العلم ,حيث تقع مدينة القيطنة بالقرب من مدينة بو حنيفية بالقرب من مدينة معسكر ، وتعتبر مدرسة القيطنة من اهم المدارس التعليمية في الجزائر العثمانية، حيث جمعت مدرسة القيطنة بين جميع مراحل التعليم من الابتدائي الى اعلى مراحله، ومن بين اشهر العلماء الذين درسوا بها أبي راس الناصري.

- المدرسة الكتانية: اسسها صالح باي عام 1190هـ / 1776م لتعليم مختلف العلوم، وقد جعل لها نظاما خاصا ، فالحق بها

مسجدا صغيرا و مكتبة و اوقف لها الاوقاف و جعل منها مركزا للإشعاع الثقافي فقام بجلب العلماء و محبي العلم و مريديه فقربهم اليه و صرف لهم رواتب محترمة فتحولت الى منارة فكرية حتى نافست مثيلاتها في باقي ربوع الوطن و تونس و المغرب.(1)

- مدرسة المحمدية : وهي من أهم المدارس التي أسسها محمد باي، لقد كانت منارة علمية والتي كان ذاع صيتها في

العالم العربي والإسلامي و بالأخص بغرب البلاد، و اعتبرت أكبر معهد علمي يضم أساتذة أكفاء، وقد جاء على ذكرها في بعض المدونات التاريخية؛ خاصة منها مؤلفات العربي المشرفي، وهي التي أشار اليها صاحب الثغر الجماني أبو راس الناصري بقوله "(...) المدرسة التي كاد العلم أن ينفجر من جوانبها ". فقد

---

(1) نور الدين عبد القادر: صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى إنتهاء العهد التركي ، مطبعة البعث، قسنطينة 1965, ص161 .

انتقلت العاصمة من المحمدية الواقعة بمعسكر إلى وهران، وتوفي مؤسسها الباي محمد بن عثمان الكبير فكاد ان يفل نجمها.[1]

و أحسن دليل على كثرة مدارس الجزائر في فترة ما قبل الاحتلال ما شهد به الكتاب و المؤرخون الاوروبيون انفسهم, حيث اجمع الكل على ان دور العلم كانت كثيرة ,عامرة وغاصة بالطلاب , فلقد صرح الجنرال فلازي (*Valase*) مقرر اللجنة الخاصة بشؤون افريقيا امام مجلس النواب الفرنسي بتاريخ 20 جانفي 1830 قائلا: "ان جميع العرب تقريبا يعرفون القراء و الكتابة, و يوجد في كل بلدة مدرستان"[2]

على غرار الجنرال فلازي (*Valase*) اعترف الحاكم العام للجزائر بيليسيي (***Aimable Jean Jacques Pelissier***) هو الآخر بوجود منظومة تعليمية قائمة عند احتلال الجزائر حيث قال:" ان التعليم الاولي منتشر بينهم بقدر انتشاره عندنا , ففي اغلبية القرى و البلديات مدارس للقراءة و الكتابة "[3]

اما الكاتبة المشهورة ايفون توران (*Yvonne Turin*) فقد كتبت : وجد الفرنسيون بمدينة تلمسان عند احتلالها حوالي 50 مدرسة ابتدائية و ثلاثة معاهد للتعليم الثانوي و العالي , و في السياق ذاته قال "ديشي" – المسؤول عن التعليم العمومي في الجزائر–: "كانت المدارس بالجزائر والمدن الداخلية, وحتى في أوساط القبائل كثيرة ومجهزة بشكل جيد وزاخرة بالمخطوطات .

و قد ذكر مارسيل إميريت ***(M.Emerit)*** الذي درس طويلاً الحياة الجزائرية في القرن التاسع عشر :« إن تلمسان كانت مركزا ثقافيا و هذه المدينة التي كان يسكنها ما بين 12 ألف و 14 ألف نسمة، كانت

---

[1] عبد الحق شرف : تراجم لبعض علماء مدرسة الباي في وهران من خلال بعض الآثار المخطوطة , دورية كان التاريخية , العدد الثالث والعشرون , مارس 2014, ص. ص 106– 109.

[2] مصطفى الاشرف : الجزائر الأمة و المجتمع , تر : حنفي عيسى ,المؤسسة الوطنية للكتاب , الجزائر 1983, ص.ص240,241.

[3]عبد القادر حلوش : سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر ,ط1 , دار الأمة للطباعة و النشر, الجزائر 1999, ص 27.

تحتوي على خمسين مدرسة يتعلم بها ألفا تلميذ .أما التعليم الثانوي و العالي فكان يتبعه حوالي ستمائة تلميذ في مدرستي الجامع الأعظم و جامع بني الإمام[1] »

في حين ان الجنرال بيدو (*Marie-Alphonse Bedeau*) أكد وفرة المدارس و كثرة مرتديها خاصة بمدينة قسنطينة حيث كتب :« عند الإستلاء عليها سنة 1837 كان يوجد بها خمسة و ثلاثون (35) مسجدا، و سبع (7) مدارس، تتسع لعدد يتراوح بين 600 و700 تلميذ يتلقون فيها تعليما فوق التعليم الثانوي بالإضافة إلى دروس أخرى كان يلقيها أشخاص ذو سمعة واسعة. يحضرها جمع غفير من الطلاب و المستمعين حتى لتغص بكثرتهم المساجد (...) و كانت بالمدينة تسعون (90) مدرسة إبتدائية يتردد عليها حوالي1350 طفلا» [2] و هو نفس ما نقله لنا المؤرخ المرحوم ابو القاسم سعدالله اذ ذكر أنه عند احتلال مدينة قسنطينة سنة 1837 كانت بها حوالي 90 مدرسة ابتدائية ,و سبع مدارس للتعليم الثانوي و العالي.[3]

إن معظم المؤرخين الذين درسوا تاريخ الجزائر أجمعوا كلهم أن انتشار الزوايا ,المساجد والمدارس ,في كامل التراب الوطني خلال فترة ما قبل الاحتلال ، ما يدل على أن الحياة الفكرية والثقافية كانت مزدهرة رغم زيف إدعاء إدارة المحتل .و لم يعد هنالك أدنى شك أن آيالة الجزائر لم تكن على الصورة التي كانت تسوقها إدارة المحتل العسكرية و المدنية , لقد كانت الجزائر مفخرة للعلماء والمشايخ بما تزخر به من هياكل علمية وحركات فكرية ,و حتى المكتبات كانت متوفرة و منتشرة انتشار المساجد و المدارس فكانت مرتعا للمؤلفات و المخطوطات و منها ما يزال الى يومنا هذا يردد فضل أصحابه في كبريات المتاحف الوطنية و الدولية.

---

[1] ناصر الدين سعيدوني و المهدي البوعبدلي : الجزائر في التاريخ , العهد العثماني , وزارة الثقافة و السياحة , م .و .ك، الجزائر 1984، ص144.

[2] عبد الحميد زوزو : نصوص و وثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1900 - 1830 ، م .و .ك ، الجزائر 1984 .، ص209.

[3] ابو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ,المصدر السابق , ج 1, ص 276.

وعليه, قامت المدارس على إختلاف تسمياتها ,أشكالها و مواقعها بدور فعال في المجتمع فبفضلها تكون العلماء و الفقهاء و القضاة و الموظفين الشيء الذي كان له الأثر العظيم في تطور مختلف مجالات الحياة .و لقد إمتازت بعض المدارس بالدمج بين مختلف مراحل التعليم حيث لم يتم الفصل بين التعليم الثانوي و العالي و كانت تدرس جل العلوم من النحو و التراجم و الفقه و المتون و الحساب و الفلك و حتى الصيدلة العشبية.

كما لعبت هذه المدارس دورا كبيرا في تنمية الحركة الثقافية ، و تشجيع النهضة العلمية و الفكرية ، و إثراء التراث الثقافي في جميع جوانبه الدينية , الأدبية و الفلسفية وحتى العلمية و بالأخص المحافظة على مقومات الشخصية الوطنية و الدينية. كما سنراه في الفصول القادمة ببحثنا هذا.

قال الشيخ عبد الرحمن الكواكبي : " إن المجد هو إحراز المرء مقام حب واحترام في القلوب وهو مطلب طبيعي شريف لكل إنسان لا يترفع عنه نبي أو زاهد ولا ينحط عنه دنيء أو خامل. و بين جدران هذه المدارس الأصيلة صقلت امجاد الجزائر وعزتها وحافظت على دينها وحدتها ووحدة شعبها فكان النصر حليفها ولنا الحق في أن نعتز ونفخر ونعظم تاريخنا تاريخ أبائنا و أجدادنا الذين أناروا لنا الطريق ووهبوا لنا الحرية ولا مجد لنا غيره".

المبحث الثاني : النخبة المثقفة في الجزائر بداية الاحتلال

عرفت فترة ما قبل الاحتلال نوعا من الركود الثقافي مرده ان البنية التكوينية للدولة العثمانية و الظروف العامة التي ميزت تلك الفترة كانت تستدعي الاهتمام بالجانب العسكري و الحربي و التسليح . اضافة الى هذا فان الحياة الفكرية و العلمية في كامل الاقطار العربية تميزت بالذاتية و اعتماد النقل و الحفظ و التقوقع على كينونتها و اوكلت امور العلوم الى الدين فبعد ان كانت العلوم تخدم الدين , انقلبت الامور و اصبح الدين هو الذي يخدم العلوم , و ادت الاوضاع الداخلية للجزائر من اغتيالات و صراعات على الزعامة, الى عدم الاهتمام بأمور العلم و الثقافة , و كما سردنا في ما سبق فالتطور النوعي لبعض العلوم و انتشار القراءة و الكتابة بين

الشباب الجزائري يعود فيه الفضل الى عناية المجتمع الجزائري في تلك الفترة بتشييد المساجد و المدارس مع الانتشار الواسع للزوايا وكل هذا مرده للشيء الوحيد الذي كان استثناءً و هو الذي خدم العلم و المعرفة بكل المقاييس الا هو "الوقف" .

كانت أفكار المجتمع الجزائري منظمة فلا تصعب عليه الامور وكان يدرك الاشياء بكيفية عجيبة لهذا اعتنى هذا المجتمع بالفكر و الثقافة و الدين والآداب فكان نتاج هذا الجهد والاهتمام :العلماء, الشعراء و الاساتذة في شتى العلوم.

و عليه فقد ساهم هذا المجتمع من حيث لا يدري في اثراء التراث الثقافي العربي و كذا الحضارة الاسلامية و قد يعود الفضل في ذلك الى الدور الهام الذي لعبته صفوة العلماء الاندلسيين الذين فروا الى الجزائر هربا من جحيم محاكم التفتيش , و هذا بالرغم من الصعوبات الظرفية الآنية التي لا يسعنا المقام لذكرها. و في هذه البيئة العلمية و الثقافية نشأت نخبة من خيرة ابناء الجزائر فئة مشبعة بتعاليم الدين الحنيف ومثقفة ثقافة عربية اسلامية و كان لها شان عظيم في شتى مجالات حياة المجتمع , و بالأخص بداية عهد الاحتلال الغاشم فعانت ما عانته من ويلات ,فلم يعد يقتصر الواجب على التنشئة العلمية و الوعظ و الارشاد و الاصلاح الاجتماعي بل اصبحت المهمة اصعب و اشق مما كانت عليه, مما استوجب التفكير و التدبير لإعداد العدة لمجابهة الاحتلال بكل عواقبه لأنه احتلال بلباس و روح و عقل اوروبي اجنبي مقيت, ومنه بدأت المقاومة الوطنية بشقيها السياسي و الفكري بعد ان كانت تتبلور في شكلها المسلح فقط.

بدأت فترة جديدة من النضال و الكفاح الفكري لصد التحدي الاجنبي المسيحي من طرف كوكبة من العلماء و الفقهاء و المثقفين الذين اصطلح على تسميتهم بـ" التقليديين" الا ان سعد الله وصفهم في مجلة الثقافة يقول: ان كتاباتهم كانت تمتاز بمتانة الاسلوب و جزالة التركيب فكانت موضوعاتهم كلها تخص القضايا السياسية

و الاجتماعية التي طرأت على بلادهم منذ الاحتلال من جهة و من جهة اخرى حالة الفوضى التي عمت العالم الاسلامي[1].

و على ضوء المعطيات و الواقع الجديد انقسمت هذه الصفوة الجزائرية ذات المنهل الاسلامي العربي الى عدة نخب فمنها من هاجر الى خارج الوطن او فر الى المناطق الداخلية التي لم يصلها الاحتلال بعد , فيما رات فئة ثانية ان مصالحها مرتبطة بمصالح المحتل حيث وجدت نفسها مستفيدة من الظرف الراهن فأغلبيتها كانت لها خصومات مع الحكام العثمانيين او طمعا في وعود المحتل فكانت نعم العون له و راينا ان لا نعيل اي اهتمام لها لوضاعة مواقفها رغم ما لحقها في ما بعد من اذلال و مهانة و نخص بالذكر في موضعنا هذا بعضها فنجد مثلاً : شيخ الطريقة التيجانية – التي كانت تهيمن على الوطن ابان الاحتلال، فهي كانت تستمد جبروتها و قوتها من المحتل — صاحب السجادة الكبرى "محمد الكبير" يقول في خطبة ألقاها أمام العقيد الفرنسي يسكوني في زيارة له: "إن من الواجب علينا إعانة حبيبة قلوبنا مادياً وأدبياً وسياسياً ! ولهذا فإني أقول لا على سبيل المن والافتخار ولكن على سبيل الاحتساب والتشرف بالقيام بالواجب... أن أجدادي قد أحسنوا صنعًا في انضمامهم إلى فرنسا، قبل أن تصل إلى بلادنا. ففي سنة 1838 كان أحد أجدادي – سيدي محمد الصغير رئيس التيجانية يومئذ – قد أظهر شجاعة نادرة في مقاومة أكبر عدو لفرنسا الأمير عبد القادر الجزائري، ومع أن هذا العدو — عبد القادر – حاصر بلدتنا (عين ماضي) وشدد عليها الخناق ثمانية أشهر فإن هذا الحصار تم بتسليمٍ فيه شرف لنا نحن المغلوبين وليس فيه شرف لأعداء فرنسا الغالبين؛ وذلك أن جدي أبى وامتنع أن يرى وجهاً لأكبر عدو

---

(1) سعد الله , المدارس الثقافية العربية في المغرب العربي 1830/ 1954م ، مجلة الثقافة ، العدد 79 ، فيفري 1984, ص 13.

لفرنسا فلم يقابل الأمير عبد القادر.. وفي عام 1870 حمل سيدي أحمد تشكرات الجزائريين، وبرهن على ارتباطه بفرنسا قلبيًا، فتزوج من أوريلي بيكار"[1]

كما نجد رجلاً آخر من رجال الطرقية المنحرفة وهو الدوَّاجي عبد القادر إمام مدرس بمسجد شرشال، يخطب عند الاحتفال بتدشين احد المساجد فيقول : "وأعلموا أن هذه الدولة (أي فرنسا) رحمة من الرحمن، تحث على نشر العلوم وإصلاح ما فسد وقمع أهل البهتان. فلا يمكننا أن نتجاسر، فنلقي العداوة في قلوب حكومتنا، بل نبذل جهدنا في الطاعة والشكر لها، لمنافعها العظيمة"[2]

ونستشهد كذلك بما قاله بعض المرابطين " : إذا كنا أصبحنا فرنسيين فقد أراد الله ذلك، وهو على كل شيء قدير. فإذا أراد الله أن يكسح الفرنسيين من هذه البلاد فعل، وكان ذلك عليه أمرًا يسيرًا.. ولكنه كما ترون يمدهم بالقوة، وهي مظهر قدرته الإلهية، فلنحمد الله ولنخضع لإرادته[3] ."

وفي هذا المقام يقول شكيب أرسلان[4]: "إنه من الأسباب الموضوعية التي كانت من وراء بقاء دوام الاحتلال الغربي الصليبي، في ديار المسلمين، يعود إلى الخيانات الروحية، حيث كانت الطرق الصوفية العين الساهرة على حماية مصالح الاحتلال بما يلقاه شيوخ الطرق الصوفية من تبجيل وهذا بعد شراء ذممهم بدراهم بخسة"

وعليه فان أزمة المجتمع الجزائري المسلم تمثلت في خيانات روحية , عقائدية و فكرية سياسية، وقد مثلتهم شخصيات دينية وسياسية ربطت مصيرها بالإدارة الفرنسية أو شخصيات فكرية عميلة ساعدت على تزييف الوعي عند الجزائريين .

---

[1] انظر دراسات في التصوف لإحسان ظهير، ص 274 نقلاً عن نشرت جريدة (لابريس ليبر) وهي جريدة فرنسية يومية استعمارية كانت تصدر في الجزائر .

[2] مجلة الثقافة , تصدر عن وزارة الإعلام والثقافة. مطبعة بن بولعيد، الجزائر، نوفمبر 1972 ، س1، ع6 ، ص 33.

[3] جريدة الربيبليكان ليوم: 1938/06/22 عن مجلة الشهاب، ج7، م14 .

[4] سعد الله : الأمير شكيب أرسلان والقضية الجزائرية ،"أبحاث وآراء" , ج 4, ص.ص134,135 .

اما النخبة الثالثة فتمثلت في الوطنيين الغيورين على دينهم و بلدهم و منهم من بقي وفيا للعثمانيين حالما بعودتهم , فما كان من امر هذه النخبة الا الاسراع الى توحيد جهودها و الالتفاف حول بعضها البعض و البدء في مواجهة الوضع الجديد على نوع من اختلاف وجهات النظر و كما بينه احد المؤرخين حيث يقول :« وأحس الأهالي بالخديعة فراحوا ينَظِمُونَ المقاومة ويدافعون عن أرض أجدادهم وإلى جانب الكفاح المسلح ظهر الكفاح السياسي بعضه سلبي وبعضه إيجابي ، ترأس الجانب الأول السيد أحمد بوضربة وتزعم الثاني السيد حمدان بن عثمان خوجة وقد لعب كل من الرجلين دورا خطيراً في حياة البلاد غداةَ الاحتلال» [1]

رغم تضارب وجهات النظر بين هذه النخبة نفسها و انقسامها فيما بعد حتى ذهب البعض الى تخوين طرف من هذه النخبة الا ان هذا الوضع لا يمنع من الحديث عن الدور الجبار الذي لعبته هذه النخبة في تلك الفترة الحرجة الشيئ الذي ادى الى ضهور قيادات اتسمت بالحنكة و بعد النظر و من اهم هذه الهامات ,شخصية فذة كما جاء في كتاب المرحوم عبد الرحمن الجيلالي بقوله: زعيم الجزائر الكبير العلامة، سيدي حمدان بن عثمان خوجة » [2]

اما الكاتب بورنان فقد حاول التعريف بهذه الشخصية القطب فكتب ما يلي :

حمدان بن عثمان خوجة واحد من الشخصيات الجزائرية التي تصدت بالقلم واللسان للاحتلال الفرنسي في سنواته الأولى وقد بذل في ذلك جهودا وقدم تضحيات ربما لا تقل شأنا عن تلك التي قدمها رواد المقاومة المسلحة وبذلك فإن حمدان خوجة يعد مثالا للمثقف الذي يضع علمه وثقافته في خدمة وطنه وشعبه ويهب حياته فداء لها » [3]

---

[1] أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة : مذكرات أحمد باي حمدان خوجة أحمد بوضربة، تر: محمد العربي الزبيري، منشورات السهل، الجزائر 2009، ص.ص 91,90.

[2] الجيلالي عبد الرحمن : تاريخ الجزائر العام ، دار الأمة، الجزائر، ج 04 , د.ت , ص 230.

[3] بورنان سعيد : شخصيات بارزة في كفاح الجزائر1962-1830 , ط 2 ، دار الأمل، تيزي وزو, 2004، ج 1, ص 37.

و في المنطقة الغربية تجلت عبقرية احد الشبان المرابطين من أصل الشرفاء اسمه عبد القادر بن محي الدين ,بايعته جل قبائل المنطقة و اعترف به سلطانا لعرب الجهة الغربية و هو لم يبلغ من العمر الا الرابع و العشرين. فكان اول ما قام به اعلان النفير و الجهاد ضد المحتل الفرنسي[1]

لقد اتسمت هذه النخبة بميزات خاصة فهي كانت تحمل مشروعين متكاملين الأول يتمثل في العمل السياسي العسكري الذي تجلى في رفع السلاح و مقاومة الوجود الفرنسي في كامل أنحاء الوطن, أما الثاني فهو العمل السياسي الفكري الذي كان نتاج عن الاحتلال فكان في بادئ الأمر على شكل تيارات سياسية ويجدر بنا الإشارة إلى أن هذه النخبة لم يسبق لها أن مارست أي شكل من أشكال السياسة و قد لمع شخص حمدان بن عثمان خوجة و أحمد بوضربة و غيرهم ممن عمل جاهدا من أجل قضية بلده, فكانت هذه المجهودات أولى حلقات النضال الوطني في مسار تحرير الجزائر و ما الثورة التحريرية إلا تحصيل حاصل.

و كان حمدان خوجة ممن انتصب للتدريس حسب ما نقله عمر راسم و سافر طويلا في البلاد الاسلامية و الأوروبية و كانت له معارف واسعة في مجالات عديدة و كان يجيد اللغة الفرنسية.

من أبرز علماء الجزائر أوائل الاحتلال محمد بن الشاهد , محمد بن العنابي ,و علي المنجلاتي, و محمد السفار و مصطفى الكبابطي. و خلفهم جيل آخر نهل من نفس معين العلم أمثال حميدة العمالي و علي بن الحفاف و عبد القادر المجاوي فكان لهم جل الأثر في الحفاظ على المكتسبات العلمية و نقل نتاج ما كان عليه السلف لتنوير من سياتي من الخلف حتى أن البعض نقل أن الأستاذ و المفتي الكبير إبن الشاهد قد بكى [2]متألما ومتحسرا لما آلت إليه أوضاع دور العلم و العبادة في السنوات الأولى من الاحتلال كيف لا و هم الذين درسوا و

---

[1] شارل روبير اجيرون : تاريخ الجزائر المعاصرة , تر : عيسى عصفور , ط1 , منشورات عويدات , بيروت 1982 , ص 25 .

[2] انظر : رائد التجديد الإسلامي، ابن العنابي , ط 2، 1995 و " قضية ثقافية بين الجزائر وفرنسا : موقف ابن الكبابطي 1843" , في أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 2. وعن محمد بن الشاهد انظر " تجارب في الأدب والرحلة" ، 1983.

تخرجوا من الأزهر الشريف ثم عادوا إلى أرض الوطن من أجل تنوير المجتمع و نشر العلم و المعرفة و من بين هؤلاء الأزهريين نذكر ابن العنابي و ابن الامين و حمودة المقايسي.

يومها كانت الساحة الفكرية بالجزائر تزخر بما جادت به هذه النخبة من مؤلفات و مخطوطات منها ما ضاع و منها ما نهبه المحتل و منها ما يزال يرقى و يلقى رواجا إلى يومنا هذا و ما المرآة لحمدان خوجة لخير دليل هذا المرجع الفريد الذي كان بحق مرآة للجزائر آنذاك.

و لقد حاول هذا الرعيل من الصفوة المثقفة حمل لواء الاستمرارية و الإبقاء قدر المستطاع على مقومات الشخصية الوطنية و الدفاع باستماته قل نظيرها لا لشيء سوى لأن تبقى هذه الأمة عربية الهوى إسلامية العقيدة ,رغم كل ما حيك ضدها إلا أن الجزائر بقيت صامدة تتناقل جيلا بعد جيل وعائها الروحي و العقائدي و مقومات وجودها , و كل الفضل يعود لأمثال هؤلاء.

المبحث الثالث : المنظومة التعليمية الفرنسية

لما قام المحتل الفرنسي باحتلال الجزائر كان يعرف مسبقا قوة و صلابة تمسك المجتمع بحصنه المتين, و درعه الواقي الذي يقيه غدر ومكر الأعداء عقيدته السمحاء إلا أنها الإسلام. و ما زاده تيقنا بقناعاته استماتة هذا الشعب في رد العدوان , وحفاظه على مقومات وجوده , فتأكد للمحتل أن كل هذه الثورات و الإنتفاضات و عدم الرضوخ مردها تلك الشعلة التي تنير النفوس و تقيدها أنه الإسلام بكل آلياته من مساجد و مدارس و زوايا.

قد ورد في تقرير الملازم "بوسري "بعد إشتداد الانتفاضات والثورات سنة 1846 م : "إن مشايخ الزوايا يختارون في تدريسهم للقراءة نصوصا من القرآن معادية لنا، مما يحطم فيهم وبسرعة الشعور الذي سعينا لتطويره

فيهم من طرف مؤسساتنا وتعتبر التأثيرات الدينية من ألد أعدائنا والتي يجب أن نخشاها ونخطط لها سياستنا، ولقد كانت القبائل الأشد عداء لنا هي التي تلك التي ينتشر فيها التعليم الإسلامي"

و عليه فلقد سعت إدارة الاحتلال الى التفكير مليا في إيجاد طرق و أساليب جديدة من أجل القضاء نهائيا على كل ما من شانه إعاقة تجسيد سياسة المحتل التي تتمثل في تدجين و مسخ هوية المجتمع ليتحول الجزائري إلى حيوان بدرجة إنسان. فما كان على قادة الاحتلال إلا التفكير مليا في وضع آليات تنفيذ خططهم الجهنمية , فكانت أولى الحلقات هي التنصير مستغلين بؤس و جهل بعض العامة من الناس و في بعض الأحيان اختطاف الأطفال الصغار و التكفل بضحايا حروبهم النتنة ممن فقدوا أوليائهم, فتم تسخير هياكل لهكذا مهام قذرة لتنشئة الأطفال تنشئة مسيحية و خير دليل خطة الكاردينال لافيجري ***(Charles-Martial Lavigerie)*** الذي إعتمد على الأعمال الخيرية كإنشاء المستشفيات و مراكز إيواء الأيتام و المدارس و قد إستثمر هذا الملعون في مصائب الأهالي من المجاعة و الأمراض و الأوبئة التي حلت بالجزائريين سنتي 1867-1868 .فلما لجات إدارة الاحتلال إلى انشاء محتشدات "حشد فيها حوالي خمسمائة و أربعين ألف شخص"[1], عمد الى جمع اطفال الهالكين البالغ عددهم حوالي 1753 و تم ارسال جزء منهم الى روما لتعميدهم و آخرون الى مدارس بفرنسا و قام بإنشاء قرى فلاحية مسيحية بتمويل من الادارة الفرنسية و الكنيسة بالتعاون مع المعمرين لأجل تكوين اسر مسيحية من هؤلاء اليتامى و بعض المختطفين طبقا لمقولته:" سنجد فيها (في هذه القرى) بعد سنوات قليلة مجموعة كبيرة من العمال المفيدين الذين يساندون تعميرنا و يصيرون أصدقاء لنا أو بعبارة أخرى سنجد عربا مسيحيين» .

أما مصير السواد الأعظم من باقي افراد المجتمع فكان يخطط له في الغرف المغلقة بين كبار قادة الاحتلال بمعية نخبة مثقفيهم, و خلص الجميع الى انه يتوجب على فرنسا الحضارة ان تمدن و تعيد تأهيل المجتمع الجاهل

---

[1] بوعمران الشيخ: الأسقف لافيجري و نشاطه التبشيري, مجلة الأصالة , الجزائر .العدد : 61/60 , ص57.

المتخلف الهمجي, رغم معارضة و تحفظ البعض من الذين نادوا بتدريس ابناء المعمرين دون ابناء المسلمين الجزائريين[1] .

الا انه اتفق الجميع على فتح مؤسسات تعليمية لنقل الثقافة و الروح و الفكر الاوروبي الى الشعب الجزائري الذي يكابد وقتها الامرين , و سارع المحتل الى فتح المدارس ,الثانويات و المعاهد الفرنسية , هاته الهيئات التي اتخذت اشكالا عدة وتحت اغطية مختلفة بهدف مخادعة النخبة المتنورة و الوفية من ابناء الشعب الذين كادت تنطلي عليهم الاعيب المحتل الغاشم بوعوده الرنانة البراقة و حيله الشيطانية لاستمالتهم .

و لإدراكهم مدى ارتباط الدين بالتعليم ,فقد تنكر المحتل لوعوده و لما جاء في وثيقة المعاهدة ,فعمدت الى تنفيذ مشروعها الذي قسمه منظروها الى قسمين :

- فرنسة المجتمع الجزائري بالقضاء نهائيا على اللغة العربية واعتبارها لغة اجنبية
- تنصير الشعب و تثبيت المسيحية محل دين التوحيد الاسلام

يجدر بنا الذكر ان الإدارة الاحتلالية سعت جاهدة الى تكوين نواة تستقطب وتستميل كل من تتوفر فيهم قابلية الخيانات الفكرية والسياسية، ممن هم شخصيات دينية وسياسية لربط مصيرها بالإدارة الفرنسية أو شخصيات فكرية عميلة تساعد على تزييف الوعي عند بني جلدتهم و تتولى المناداة بالاندماج لتسهيل مهمة الاحتلال هذا من جهة و من جهة أخرى نظمت إدارة الاحتلال سنة 1938 رحلات إلى باريس للأعيان ولبعض الأطفال للتأثير على اتجاهاتهم وأفكارهم، وبالفعل ساهم ذلك في ظهور أدب الرحلات ذي الأهداف الدعائية، ومن أبرز تلك الأعمال رحلة محمد ولد القاضي المعنونة "الرحلة القاضية في مدح فرنسا وتبشير البادية."

و أول ما قام به المحتل هو مصادرة الأوقاف و غلق و هدم كل ما له علاقة بالعلم و العبادة و حولت بعض المساجد و المدارس التقليدية إلى كنائس و ثكنات أو مخازن و قصور إدارية و مساكن لضباط جيش

---

[1] Mohammed Ben Cheneb, Notions de pédagogie musulmane. Résumé d'éducation et d'instruction enfantine, Rev. afr., XLI, 1897, p. 267 .

الاحتلال . بعدها قامت سلطات الاحتلال بالتفكير في تشييد مدارس مزدوجة عربية فرنسية الهدف منها انصهار المجتمع تدريجيا في الثقافة الفرنسية و سلخه من هويته.

و جاء على لسان احد المسؤولين الفرنسيين و هو الدوق دومال (*Henri d'Orléans, duc d'Aumale*) أن" فتح مدرسة في منطقة آهلة بالسكان الجزائريين لا يقل شأنا عن قيمة فرقة من الجيش"[1]

وقد عرف التعليم ابان فترة الاحتلال نوعا من التنظيم و التسلسل في و حتى التكامل نوعا ما منتسبا في اطاره الشكلي الى ذلك التعليم المتبع في فرنسا خاصة و ان هذه الفترة شهدت تغيرات جذرية في المنظومة التربوية و التعليمية بفرنسا كون التعليم كان من صلاحيات الكنيسة , اما في الجزائر فيمكننا القول انها كانت حقل تجارب لبعض الراى و النظريات ليست العلمية بل السياسية و لقد تميزت هذه المنظومة التعليمية بالجزائر بخاصية المراحل التي لم تكن موجودة في التعليم التقليدي العثماني و هكذا قسم التعليم الى ثلاث مراحل وظيفية هي : التعليم الابتدائي ثم الثانوي و في الاخير العالي.

- **التعليم الابتدائي:**

فيما نجح المستوطنون في اقامة مدارس لأبنائهم و هياكل تعليمية ,كانت فئات ليست بالقليلة بحضرها و منعها عن الجزائريين, حتى قام نابوليون الثالث بإصدار مرسوم بتاريخ 14 مارس 1857 لفتح اول مدرسة عربية – فرنسية للتعليم بالعاصمة للجزائريين و الاجانب تلتها عملية انشاء مدارس مشابهة سنة 1865 بكل من قسنطينة و وهران ,الا ان هذه المدارس تعرضت الى كل انواع التضييق من طرف الاوروبيين ,الشيء الذي ادى الى مقاطعتها من طرف الجزائريين ناهيك عن نفور الاهالي خوفا منها على مصير ابنائهم.[2]

---

[1] عمار بوحوش : التاريخ السياسي للجزائر من البداية و لغاية 1962, دار الغرب الإسلامي , بيروت 1997 , ص 179.
[2] نفس المصدر , ص.ص 180,179.

فبعد ان كانت سياسة التعليم الفرنسية تعتمد في بادئ الامر على تعليم ابناء الطبقة الارستقراطية للاعتماد عليهم مستقبلا في تسيير الشؤون الداخلية و رغم تصريحات رئيس مجلس الوفود المالية حيث قال " اننا نرفض تخصيص الاموال للمدارس الجزائرية لان بناء مدارس للمسلمين هي عملية مكلفة و خطيرة"

كان الغرض من نشر التعليم الابتدائي تكريس شعار تنوير عقول الجزائريين ولكن ليس بمعنى التنوير بل ترسيخ وتعميق التفكير الاحتلالي في أذهان المجتمع الجزائري ,وقد جاء في التقارير الفرنسية ما يلي : إن التعليم يهذب الأخلاق ويلين القلوب القاسية جدا فيربطها بالحكومة الفرنسية .

وترافق هذا المشروع الاحتلالي مع مشروع تغريبي ما زالت الجزائر تعاني من أثاره إلى يومنا هذا . لكن وقع ما لم تحسب له ادارة الاحتلال اي حساب ,وهو مقاطعة الاهالي للمدرسة الفرنسية و ليس مقاطعة التعليم بل انهم يقاطعون اللغة الفرنسية , لا لأنها لغة بل لكون صاحبها كان رجائه من نشرها القضاء على الفكر و الثقافة المحلية وبالأخص اللغة العربية لهذا هلع الكل بما فيهم من مشايخ و علماء و مصلحين بمعية الاهالي الى انشاء مدارس خاصة بهم و بناء كتاتيب و مساجد لإعادة احياء التعليم الاهلي و قاطعوا كل ما من شانه ان يبعدهم عن ماضيهم و هويتهم بما في ذألك العادات و التقاليد و انواع السلوك و كل ما حاول المحتل غرسه في مختلف الاوساط.[1] من اجل تغيير البنية الوجودية للشعب المسلم و يتجلى ذلك في استثماره في تشجيع المشعوذين و اصحاب الطرقيات المختلفة و لقد نجح في بعض المناطق.

في الجانب الآخر كان الأمير عبد القادر قد تنبه لمكانة العلم كيف لا و هو العلامة الكبير فامر بتشييد هياكل في سائر المدن القرى لاستقبال الاطفال ووظف علماء لتدريس جميع فنون العلم الموجودة آنذاك، وخص المعلمين برواتب كل حسب درجة علمه وتخصصه، إضافة إلى امتيازات أخرى منها :كفرض الاحترام لكل من يشتغل في العلم وتحصيله، إعفاء أهل العلم من جميع الأوامر والمطالب. و استمرت العملية في باقي المدن و في

---

[1] محمد الطيب العلوي : مظاهر المقاومة الجزائرية 1830-1954,ط 3 , منشورات وزارة المجاهدين , د.ت , ص22 .

السنوات التي تلته و حمل من بعده المشعل خيرة شباب الجزائر و بقي التعليم العربي الاسلامي منتشرا في كامل ربوع الوطن و على مدى السنين و مر بعدة مراحل تطور من خلالها الا ان اصبحت له مدارس خاصة تميزت بنظامها الوطني ,العربي, الاسلامي بالأخص في فترة اشراف العلماء المسلمين على احياء مقومات الامة .

اما المدارس الفرنسية التي تميزت بمرحلتين مرحلة السياسة العسكرية الى غاية 1870 و السياسة المدنية بدآ من 1871 ففي المرحلة الاولى لم يعرف التعليم أي تطور يذكر وحورب التعليم التقليدي حتى كادت تقضي عليه خاصة بعد مصادرة الاوقاف, و لو لا طبيعته الذاتية التي ساعدته على البقاء.

حاول المحتل كما ذكرنا سالفا تغيير البنية الاجتماعية للمجتمع بتبنيه فتح مدارس للتعليم المتبادل او المشترك ثم تلتها عملية الشروع في نشر التعليم العمومي المتمثل في تعليم الاطفال اللغة العربية و الفرنسية و الكتابة و الحساب و هو نفس النظام المطبق في فرنسا بفارق وحيد هو اللغة العربية.

و بهذه الطريقة حاول المحتل القضاء على التعليم التقليدي العربي الاسلامي بإدماجه في منظومته و السيطرة على مضمونه و توجيهه من اجل ابعاد المجتمع شيئا فشيء عن مقوماته.

و نجح نوعا ما المحتل في تشييد مثل هذه المدارس في كامل الرقع التي كان يسيطر عليها فتشير بعض الإحصائيات الى ان هذه المدارس انتقل عددها من52 سنة 1946 الى ان بلغ زهاء 223 سنة 1851.

و قامت سلطات الاحتلال بتعيين فرنسيين يتقنون اللغة العربية بمساعدة بعض الجزائريين في التدريس وتسيير المدارس و لقد بذلت مجهودات جبارة من اجل انجاح سياسة الادماج لتذويب المجتمع حتى ان هذه الادارة وقعت في صدامات كبيرة مع المستوطنين الاوروبيين الذين عارضوا بشدة سياسة التعليم المنتهجة رافضين جلوس ابناءهم مع ابناء الاهالي في نفس القسم , اما الاهالي فكان خوفهم اشد لطبيعة التربية و التعليم الملقن بالمدارس خوفا من تنصير ابناءهم على ايدي المدرسين المسيحيين . و في الوقت الذي ترافق فيه المشروع الاحتلالي مع المشروع التغريبي الذي لا تزال الجزائر تعاني من أثاره إلى يومنا هذا , تقرر الزيادة من حدة سياسة نشر الهياكل

التعليمية الى ان فاق عددها 700 مدرسة موجهة كلها لتعليم ابناء الاوربيين في حين نجد ان عدد المدارس الخاصة بتعليم ابناء الاهالي عددها لا يتعدى 21 اما منتسبوها من الاوربيين فكان يناهز 5366 مقابل 3112 تلميذا من الاهالي[1] حيث ساهمت الأوضاع على اختلافها كما ذكرنا آنفا في عزوف و مقاطعة هذه المدارس.

و أكثر ما ميز هذه المرحلة هو فشل السياسة التعليمية لمعارضتها من الطرفين و لطابعها العنصري في حين كانت سلطات الاحتلال تصرف على تعليم الاوروبيين اموال معتبرة مع اجبارية التعليم , الا انها لا تجد حرجا في التهاون و اللامبالاة تجاه تعليم ابناء الاهالي مع التقليل قدر المستطاع من الانفاق عليها, حتى يتسنى لها التحكم في مصير المجتمع الجزائري وفقا لما صرح به رئيس مكتب الشؤون السياسية " فيلمان" (*Georges Julien Fellmann*) بباريس سنة 1846 قائلا:" إن الداعي لكل هذه الجهود هو إعداد رجال يساعدوننا من خلال نشاطهم مع المواطنين من بني جلدتهم على تغيير المجتمع العربي وفقا لمتطلبات حضارتنا" [2]. و مع سقوط النظام الامبراطوري الغيت هذه المدارس المشتركة و انتهت المرحلة الاولى و بدأت المرحلة الثانية مع بداية العهد الجديد للحكم المدني و هذا بقيام الجمهورية الثالثة.

تميزت هذه الفترة الحرجة و المصيرية بالنسبة لتعليم الاهالي بالضبابية في بادئ الامر حيث ان ادارة الاحتلال المدنية الجديدة قامت بغلق جل المدارس التي اسستها ادارة الحكم العسكري و الغاء التعليم المشترك و طال التخريب العديد منها من قبل بعض الاوروبيين و المتشددين من الموظفين المعاديين للأهالي , اما التعليم العربي الاسلامي الحر فقد تعرض لشتى انواع المضايقات و تشديد الرقابة و المنع و الحضر. الا ان هذه الاوضاع لم تدم طويلا فبعد طرح الملف الجزائري على طاولة المناقشات البرلمانية بباريس اوكلت امور التعليم بالجزائر الى وزير التربية و الفنون الجميلة جيل فيري الذي وضع تشريع مدرسي جديد تضمن إنشاء مدارس لتعليم الجزائريين و شملت تغييراته التعليم الابتدائي الفرنسي . و في 14 ماي 1882 م أرسلت إلى الجزائر لجنة مكونة من خبراء و

[1] سعد الله : : تاريخ الجزائر الثقافي 1954/1830 ,ط 1, دار الغرب الاسلامي ، بيروت 1998 , ج 3 , ص .296.

[2] أيفون تيران : المصدر السابق , ص 80 .

مفتشين عامين، و قد أثمرت زيارتها بإصدار مرسوم 13 فيفري 1883 الذي نص على إلزامية التعليم و مجانتيه للأهالي و للأوروبيين على حد سواء رغم انه جعل اجباريا في فرنسا سنة 1872 و من بعده سنة 1873على الاوروبيين بالجزائر ، و لقي المرسوم ترحيبا من قبل الجمهوريين باعتباره أنجع وسيلة لإدماج الاهالي و هذا بعد توحيد البرامج المدرسية لتتناسب مع الأهداف السياسية المسطرة طبقا لتوصيات قادة جيوشها القائلة : "علموا لغتنا وانشروها حتى تحكم الجزائر فإذا حكمت لغتنا الجزائر فقد حكمناها حقيقة.[1] و تمت اعادة هيكلة نظام التعليم فأوجدت في كل مدينة مراقب عام للتعليم ,و مراقبون ابتدائيون , ومجلس عمالي للمراقبة [2], و عليه كان يتوجب وجود في كل بلدية مدرسة عمومية واحدة على الاقل و التعليم اجباري على كل البنين و البنات من سن السادسة فما فوق خاصة فيما يخص السكان الاوروبيين , اما بالنسبة للأهالي فالتعليم اختياري الا في حالة ما اذا صدرت اوامر فوقية بذلك.

رغم كل الظروف الصعبة الا ان التعليم الابتدائي الفرنسي بالجزائر تمكن من الانتشار بسرعة و بقوة خاصة بداية الحرب العالمية الاولى و ما تلاها فيما بعد ,الشيء الذي شجع الجنرال كاترو سنة 1944 على طرح فكرة ان المدرسة باللغة الفرنسية هي السبيل الوحيد للتفاهم بين الاهالي و الفرنسيين و اقترح وضع خطة من عدة بنود لتعميم التعليم حتى يشمل البنات ايضا.[3]

لكن بعد سنوات ثلاث فقط صدر قانون 1947المعروف بدستور الجزائر الذي نص على جعل اللغة العربية رسمية و توسيع التعليم بها رغم انه لم يتم تطبيقه الا ان هذه الفترة عرفت اقبالا منقطع النظير على المدارس بما فيها الحرة التابعة لجمعية العلماء المسلمين.

---

[1] رابح تركي عمامرة : أصول التربية والتعليم، ط2 ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1990 ، ص 359 .

[2] احمد توفيق المدني : كتاب الجزائر ,المطبعة العربية , الجزائر 1931, ص .ص 294,293.

[3] سعد الله : : تاريخ الجزائر , المصدر السابق , ص.ص 298,297.

➢ **التعليم الثانوي**

هو الآخر مر بمراحل متباينة فالبداية كانت سنة 1836 و اصطلح بتسميته بالكوليج بعد تطويره ليصبح ثانوية فرنسية و كانت هذه الثانوية الوحيدة في الجزائر و كان كل رواده من الاوروبيين أما منتسبوه من التلاميذ لم يتجاوز عددهم الثمانين طالبا سنة 1837, ثم ظهرت ثانويات اخرى بكل من قسنطينة و وهران و سمح للجزائريين بالالتحاق بمثل هذه الكوليجات إلا أن التعليم ليس مجانيا و اللغة العربية تكاد تكون معدومة و هي إختيارية ويشرف على تدريسها بعض شيوخ المساجد . و كان وقتها دولاكروا مديرا للأكاديمية و كان يحظى بمكانة مميزة في إدارة الاحتلال . و بحلول سنة 1848 تم تغيير إسم الكوليج الذي كان يطلق على المؤسسات التربوية للتعليم الثانوي إلى إسم الثانوية (ليسي) و عليه تم فتح أول ثانوية بالجزائر و سميت (ليسي دالجي *Lycée D'Alger*) في نفس السنة كانت موجهة للأوروبيين فقط غير ان المؤرخ ابوالقاسم سعد الله ذكر أنها لم تكن ثانوية بالمعنى الحقيقي , و الجدير بالذكر أن الاحتلال رصد أقساما خاصة تسمى أقسام الأهالي داخل بعض هذه الثانويات أما التعليم بها فكان لا يرقى إلى مستوى الثانويات الفرنسية الأمر الذي دفع بالعائلات الفرنسية المقيمة بالجزائر إلى إرسال أبنائها إلى فرنسا لمزاولة دراستهم هناك.

ومع بداية عهد الجمهورية الثالثة وبالضبط انتفاضة 1871 م التي اتخذها المعمرون حجة لإبداء سخطهم من السياسة التعليمية التي كانت سائدة قبل ذلك، اقدموا على حرق معهد الفنون والحرف , والمدرسة العربية والفرنسية بتيزي وزو[1] ,مما دفع بالمعمرين الى إظهار مدى حقدهم و كراهيتهم للطلبة المسلمين في المعاهد الثانوية العربية الفرنسية بالحواضر الجزائرية الثلاثة، حيث قاموا بتقديم اقتراحات تدعو إلى دمج هذه المعاهد الثانوية بذريعة التقليل من التكاليف والنفقات الموجهة للمؤسسات التعليمية التي كانت البلديات هي من يتكفل بمصاريفها.

[1] شارل روبير أجرون: الجزائر المسلمون وفرنسا1871- 1919م ، دار الرائد للكتاب ، الجزائر 2007 ، ص 595.

كانت اللغة العربية لغة اختيارية في التعليم الثانوي عكس ما هو عليه في التعليم الابتدائي حيث انه فرنسيا خالصا و اتسم التعليم الثانوي بتحديد عدد الطلبة الجزائريين و هذا نتيجة الصعوبات المختلفة التي وضعها المحتل لعرقلة مزاولة الجزائريين للدراسة ناهيك عن المصاريف الكثيرة فكان جد مكلف يفوق امكانيات معظم الاسر الجزائرية حتى أن أحد أعمدة الاحتلال "اوجين فورميسترو" (*Eugene Fourmestraux*) صرح قائلا: " لقد فرطنا في تعليم الاهالي حتى نزل الى مستوى هو ادنى بكثير مما كان عليه قبل الاحتلال" [1] . و هذا ما يفسر العدد القليل جدا من الطلبة الجزائريين الذين تمكنوا من متابعة دراساتهم بالمدارس الثانوية, حيث لم يبلغ عدد الطلبة الجزائريين في سنة 1900 سوى 84 طالبا فقط لكن العدد قفز الى 150 طالبا سنة 1914 وهي السنة التي شهدت تتويج 34 طالبا جزائريا بشهادة البكالوريا .[2]

وكان إلزاميا انتساب هؤلاء الطلبة الى شريحة معينة من اذناب و بعض اتباع و مؤيدي الاحتلال كما ذكره سعد الله في كتابه "و إن العدد القليل الذي دخل المدرسة الفرنسية الثانوية من الجزائريين، إنما كان من فئة معينة لا تخرج عن أبناء" الخيام الكبيرة "و العائلات التي تولى أربابها المناصب الفرنسية (القيادة و الأغوات...الخ) و كذلك الموظفين كأبناء الخوجات و المترجمي و العائلات المتنفذة التي تبنت الأفكار الفرنسية "[3].

و بلغة الأرقام يقول نفس المؤلف عن عدد الثانويين الجزائريين بعد مرور قرن على الاحتلال أي عام1930 :

"...و في هذه المؤسسات كلها كان عدد التلاميذ الفرنسيين حوالي 11.000 من سكان عددهم أقل من نصف مليون نسمة، بينما عدد التلاميذ الجزائريين 776 فقط من سكان عددهم خمسة ملايين نسمة..."[4]

---

[1] مصطفى الاشرف : المصدر السابق , ص 414.

[2] عبد الحميد زوزو : تاريخ الاستعمار والتحرر في افريقيا وآسيا، د م ج، الجزائر 1997 ، ص .ص 73, 74 .

[3] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي 1954/1830 ,ط 1, دار الغرب الاسلامي ، بيروت 1998 , ج 3 ، ص303.

[4] نفسه ، ص 302 .

اذا فالتعليم الثانوي كانت احواله اسوء بكثير مما هي عليه في التعليم الابتدائي على كل عيوبه و نقائصه و الارجح انه من نفس احوال التعليم العالي .

➢ التعليم العالي

لم يكن هو الآخر احسن حال من الاطوار الاخرى , فحظ الجزائريين يكاد يكون معدوما عكس ما هو عليه بالنسبة لأبناء المحتلين . رغم تردد قادة الاحتلال و خوفهم من تحول مثل هذه المؤسسات الى انتاج فكر تحرري ليس لدى الاهالي بل لدى المعمرين الاجانب ,حيث حاولت الابقاء على التعليم العالي بفرنسا فقط حتى تضمن استمرارية العلاقة بالجزائر كيفما تم التخطيط لها. فقامت سلطات الاحتلال بإنشاء اول مدرسة خاصة بالطب بقرار 4 اوت 1857 بمبادرة من المارشال راندون الحاكم العام في الجزائر[1]

و يذهب بعض المؤرخين الى اعتبارها النواة الاولى للجامعة الجزائرية و كان قانونها يسمح للجزائريين بالالتحاق بها , و من بين من درس بها سنة 1867 نذكر :قدور بن محمد وعلي بن محمد بولكباشي حيث كان يشترط على كل من يرغب متابعة تحصيل العلوم بها معرفة اللغة الفرنسية و العلوم الطبيعية للالتحاق بها , و ذكر في جريدة المبشر الرسمية عدد 21 لسنة 1869 انه بعد عشرة اعوام من انشاء مدرسة الطب لم يتمكن من الالتحاق و التخرج منها سوى ثلاثة جزائريين ممن توفرت فيهم الشروط , و لم يتمكن من الالتحاق بهذه المدرسة الطبية الوحيدة سنة 1872 سوى خمسة طلبة جزائريين فقط و بعد ان تم تأسيس المدارس العليا الاخرى سنة 1879 اضيفت لمدرسة الطب فرع للصيدلة اما المدارس العليا فهي الآداب و الحقوق و العلوم و لقد اعطى المؤرخ توفيق المدني لهذه المدارس اسم كليات تابعة لما اصطلح على تسميته جامعة الجزائر العلمية التي انشئت سنة 1905و تكاد تكون هذه المدارس العليا حكرا على الاوروبيين فقط, فبمناسبة الاحتفال بمئوية احتلال الجزائر تم

---

[1] نفسه , ص 305.

اجراء جرد للجامعيين فكان عدد الطلبة الجزائريين بالجامعة لم يتعدى 77 فقط في حين تجاوز نظرائهم من الاوروبيين 1813طالبا.[1]

وعليه فان الحضارة و العلوم و الثقافة و الانسانية التي جلبتها فرنسا لأولئك المساكين و التي لاتزال تتشدق بها فرنسا الى غاية يومنا هذا ما هي في حقيقة الامر الا خداع و مراوغة لإخفاء وجهها القبيح الملطخ بدماء الابرياء من ابناء شعب كان قبيل مجيئها المشؤوم شعب متعلم يحسن القراءة و الكتابة على غرار الفرنسيين و ربما احسن.

في الاخير لا يسعنا الا ان نقول ان معظم الجزائريين الذين حالفهم الحظ في الالتحاق بالمدارس الفرنسية لم يتجاوزوا المرحلة الابتدائية نظرا للظروف الصعبة التي احاطتها بهم ادارة الاحتلال من اجل تسهيل عملية استعبادهم, و نزولا عند رغبة السكان الاوروبيين , الذين كانوا يطمحون في ان تكون لهم هذه الادارة جيلا من اليد العاملة المؤهلة لخدمتهم , اما من تمكن من مواصلة التعليم الثانوي او العالي من الجزائريين فهم قلة تعد على رؤوس الاصابع و جلهم من ابناء اصدقاء المحتل و اعوانه, و كل امل ادارة الاحتلال تخرج جيل من المثقفين الذين ينتمون للجزائر بأرواحهم و لفرنسا بقلوبهم

[1]أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي , المصدر السابق ,ص 310 .


الفصل الثاني
دور التعليم الفرنسي في
تكوين النخبة الجزائرية

الفصل الثاني : دور التعليم الفرنسي في تكوين النخبة الجزائري

يقول المفكر الهاييتي ريني دوبستر :" الوضع الاستعماري اذا علاوة على انه يصير الانسان غريبا عن شخصه فهو يجعله حاقدا على نفسه بل مخجلا منها فبعد ما نزع مني اسمي و سلب مني ماضي و ذاكرتي صار يسرق مني ايضا كياني النفسي و اساطيري و كل اسرار جمالي كانسان".[1]

إنطلاقا من مقولة هذا المفكر فان المحتل عمد الى تمرير افكاره و مختلف النظريات الثقافية العرقية التي تفسر كل شيء بالفوقية الاحتلالية و التركيب الايديولوجي الخاص لدى رجال الاحتلال بينما يفسر التخلف الثقافي لأهل البلاد بالتخلف البيولوجي الذي لا سبيل الى الخلاص منه و بهذا يتم التمهيد لإيصال هؤلاء و بصورة متعمدة المثقفين الجزائريين الى مركب النقص و الشعور بالدونية و القبول بالوضع القائم بل و بمنة الاحتلال.[2]

إن حادثة السؤال الذي طرحه خليل قوت باشا على نفسه قبل ان ينسحب من ليبيا عائدا الى بلاده قائلا: "ماذا أعطى السلاطين (...) لهذه القطعة الافريقية العثمانية غير السجون المخصصة للأحرار" و عليه الشيء الوحيد الذي يذكر بالاحتلال ليس المدرسة او الاكاديمية او المنتديات الثقافية اكيد هي السجون و المعتقلات و المناجم اللاإنسانية و لعل المضحكات المبكيات في كل الامر هو مفارقة عجيبة تتمثل في ان عدم قيام قادة الاحتلال بإدخال الاطفال الى المدارس و بالتالي تعليمهم لغتهم بطريقة منهجية صحيحة كان وراء بقاء اللغة الوطنية و استمرارها رغم انهم بذلوا كل جهودهم للقضاء عليها.[3]

أما المثقفين الجزائريين فكان لهم النصيب الاوفر من كل هذا التنظير و التخطيط , فلم يجد المحتل الغاشم أحسن و أفضل من هؤلاء الشيوخ و أصحاب الفكر المغلوب على أمرهم , المقهورين المتطلعين لغد أفضل من

---

(1) عماد حاتم : الثقافة العربية في ظل الاستعمار , مجلة الثقافة , ع 70, بتاريخ 1 أوت 1982, ص 71.

(2) نفس المصدر , ص 72.

(3) نفسه.

أجل تنمية حقول تجاربه, فعمدت إدارة الاحتلال منذ الأيام الأولى للغزو إلى تجنيد العلماء الجزائريين لخدمة مشاريعها التدميرية فتمكنت من مخادعة الكثير من هؤلاء الجزائريين الذين قدموا لها يد العون في مختلف المجالات إيمانا منهم أنه ليس للعلم وطن و استغل المحتل النوايا الطيبة لهؤلاء المثقفين و الطلبة العباقرة.

و ذكر غيستاف مارسييه (*Gustave Mercier*) أسماء عدد من الجزائريين الذين كان لهم دور فعال في أعمال الجمعيات العلمية الفرنسية و قال أن لهم " ثقافة فرنسية اسلامية و روحا في البحث جعلتهم أمثلة ممتازة" و من بين هؤلاء : محمد بن ابي شنب و ابنه سعد الدين , بلقاسم بن سديرة , محمد صوالح ,سليمان رحماني , محمد الاخضر, العربي المسعودي , ابوبكر عبد السلام بن شعيب ,عبد الحميد حميدو , محمد الصالح الصادق, عبد السلام مويان" مع ذكره كذلك لاسم صاحب المنمنمات محمد راسم.[1]

و بذلك أصبح المتعلمون الجزائريون في خدمة اللغة و الثقافة الفرنسية على حساب لغتهم و ثقافتهم و من الصعب تصنيف المادة التي ساهم بها الجزائريون في ذلك, لانهم لم يتركوا مجالا إلا و خاضوا فيه الى حد البراعة مما أدهش المحتل.[2]

حيث يقول البشير الإبراهيمي في هذا الصدد "من المؤسف حقا أن أبناءنا في التعليم الجامعي انكبوا على الجانب المادي أكثر من الروحي والأخلاقي فتخرج جيلين بضع عشرات تناهز المئة من الأطباء والصيادلة ومثلها المحامين، ودون العشرة من المهندسين ,إلى جانب ذلك كله دون العشرة في الآداب ولم نرى إلى جنب هذا العدد واحدا تخصص في الفلسفة أو في علم النفس أو في الأخلاق أو في فلسفة الاجتماع والتشريع، وتعليل هذا الاتجاه معقول من روح الأمة وحالتها المادية" [3] .

---

[1] ابو القاسم سعد الله , المصدر السابق ,ج 6 , ص 103.

[2] نفسه , ص173.

[3] أحمد طالب الإبراهيمي : آثار الإمام البشير الإبراهيمي 1940/1952 , ط 1, دار الغرب الاسلامي, الجزائر ,1997, ج 2 , ص129.

المبحث الأول: التعليم العربي الحر تأثيره في النخبة الجزائرية

يقول غوتليب يوهان فيخته (*Johann Gottlieb Fichte*) في كتابه "نداء إلى الأمة الألمانية" عن العناصر المكونة للأمة: أن وجود أمة من الأمم هو بوجود أنيتها(هويتها) التي هي شخصيتها، وأن هذه الشخصية تتكون من عناصر ثلاث: الدين، اللغة حب الوطن[1]

و هذه هي العناصر الثلاث التي دأب العلماء الوطنيين و المثقفون الجزائريون آنذاك على غرسها في الاجيال اللاحقة, فكان لزاما عليهم تبني رؤية نهضوية فكرية تجديدية لمجابهة سياسة الاحتلال الرامية الى طمس الهوية و الشخصية الجزائرية ,و عليه تم الشروع في احياء المنظومة التعليمية التي كانت رائجة قبل الاحتلال و اعادة تهيئة الهياكل المتبقية و التي لا تزال قائمة خاصة ما كان منها في منأى عن جبروت المحتل كبعض المدارس المتمثلة كما ذكرنا سابقا في الزوايا و الطرق و الكتاتيب, رغم مصادرة الاوقاف و شح المصادر و انعدام التمويل .لان التعليم الديني لم يكن مقبولا لدى المحتل و باسم سياسة الدمج و العلمنة قام بتحديد المدارس القرآنية بدقة, و وضعت تحت الرقابة مدارس الزوايا ومنها ما اغلق او تم التضييق عليها. و لهذا السبب تقلص عدد معلمي القرآن و المدرسين, و بعدها تقهقرت معرفة اللغة العربية الادبية, اذ اصبحت لا تكاد تدرس .[2]

وقد سجل المؤرخ و السياسي الكسيس دو توكفيل (*Alexix de Tocqueville*) سنة 1847 قائلا: " ان المسلمين في افريقيا الشمالية (يقصد الجزائر) لم يكونوا غير متمدنين, و انما مدنيتهم ضعيفة و ناقصة. كانت لديهم املاك محبسة ينفق ريعها على التعليم و على المشاريع الخيرية, فصادرناها و امناها و حولنا وجهتها , فأنقصنا من المشاريع الخيرية , و تركنا معاهد التعليم تتساقط و كذلك الزوايا , فكانت النتيجة ان

---

(1) مولود قاسم نايت بلقاسم : أصالة أم إنفصالية، المؤسسة الوطنية للكتاب، ج2، ص367.

(2) شارل روبير اجيرون: تاريخ الجزائر المعاصرة , تر : عيسى عصفور , ط1 , منشورات عويدات , بيروت 1982, ص.ص .107,106

بصيص النور الذي كان حولنا اعقبه الظلام ".[1]و قد ابدى بعض الفرنسيين قلقهم و على راسهم مارسي لاكومب (*Mercier Lacombe*) من خطورة ترك الجزائريين بدون تعليم فرنسي, لان ذلك يجعلهم عرضة لتأثير رجال الدين و المدرسين الذين ينشرون بينهم أفكارا معادية للاحتلال[2] , و قد صدر مرسوم 14 جويلية 1850 يقضي بتأسيس المدارس العربية الفرنسية لوضع حد للتعليم الحر.

أصدرت إدارة الاحتلال مرسوم 9 اكتوبر 1857 يقضي بإجبارية التعليم في المدارس الفرنسية ليس حبا في ترقية و نشر العلم بين أبناء الاهالي البؤساء و انما خشية من مفعول العلوم التي تنشر في المدارس العربية الحرة التي كانت نتيجة لظروف الجهل و الأمية التي قصدتها فرنسا من خلال سياستها التعليمية، و التي لم تكن تهتم بنشر الثقافة الأوروبية – كما كانت تدعيه – بقدر اهتمامها على" خلق آلات ذات كفاءة محدودة "[3] و من اجل وضع حد لنشاط التعليم العربي الحر, و خير دليل على مكر وكيد المحتل ما جاء في التقرير الصادر عام 1858 عن الحاكم العام لمدينة قسنطينة الذي يقول:" (...) و اعطاؤه (الشباب) بعض المعارف و المبادئ من لغتنا, التي تمكنه من التكيف مع عاداتنا و نظمنا. و للوصول الى هذه الغاية يجب ان نخفض من عدد المدارس العربية الحرة, و اقناع الاسر الجزائرية بان هذه المدارس تقدم تعليما مخادعا", و بعدها جاء مرسوم 1892 الذي يمنع المدارس القرآنية من استقبال التلاميذ في اوقات الدراسة, و لا يسمح لها بالتدريس الا بترخيص مسبق من الولاية, الذي يتضمن سلسلة من الشروط التعجيزية.

لقد تعرض التعليم العربي الإسلامي الذي كان سائدا في الجزائر إلى حرب شرسة فحوصر بجملة من الاجراءات ، اهمها تحريم او عرقلة فتح المدارس بمقتضى عدد من القوانين و القرارات الجائرة تحت طائلة العقوبات

---

(1) السبتي بن شعبان : الحركة الوطنية في منطقة قالمة 1954/1919 , رسالة ماجستير , جامعة قالمة , السنة الجامعية :2009/ 2010 , ص 21.

(2) السبتي بن شعبان: نفسه.

(3) مالك بن نبي : وجهة العالم الإسلامي، تر :عبد الصبور شاهين، ط 5 ، دار الفكر ،الجزائر1986 , ص65.

بالحبس و التغريم[1] , وعليه استهدفت كل مؤسسات التعليم الحر من مساجد و مدارس , وكما ذكر في الفصل الاول فانه بعد دخول المحتل الفرنسي الى الجزائر عمل على محو القيم الاسلامية تدريجيا باستهدافه كل الهياكل التي تقوم عليها وهذا بحملة "الروح الصليبية" ودعوات التنصير التي ظللت بعضا من المسلمين، حيث حول الفرنسيون عددا من المساجد إلى كنائس، وتم هدم المقابر الإسلامية حتى ان هناك من لمح الى أخذ عظام موتى المسلمين وشحنها إلى فرنسا لتُستخدم في صناعة الفحم وتبييض السكر!!

لقد قام الجيل الاول من المدارس الحرة الموروثة عن الحقبة العثمانية بزرع بذورا أينعت لاحقا نخبا مجددة عملت من منطلقات متعددة و مختلفة الروافد على بلورة اطروحات فكرية جديدة للتواصل مع المحتل و التخفيف من وطأته و وضع تصورات للمستقبل وصيغ لبناء العلاقات الاجتماعية، و أدت هذه المؤسسات التعليمية من الجيل الاول دورا متميزا ,فهي إلى جانب أنها منابع لتعلم القرآن والكتابة والقراءة فهي كذلك مواقع للجهاد و للتشويش على المحتل.إذ ان انتشار هذه المراكز وتواجدها في كل ربوع الوطن حافظ و ساهم بشكل كبير في احياء و صقل مقومات الشخصية الوطنية و العقائدية الشيء الذي يدل على مدى اهتمام الجزائريين بتربية وتعليم أبنائهم، وامتازت هذه المؤسسات بتنوع المواد التي كانت تدرس بها. [2]

أما من جانب المحتل ,فكانت تناقش بعض النظريات لوضع سياسة منسقة ترسم الخطوط لمناهج النظام التعليمي لمدرسة الاحتلال ,من اجل ضرب الشعب المسلم في صميم مقوماته , و ادماجه لغويا و ثقافيا ثم روحيا فعقائديا بسلاسة دون ممارسة اي عنف مهما كانت طبيعته بعد فشل مخططاته الاولى ,فعمد المحتل لخلق و رعاية

---

(1) بشير بلاح : تاريخ الجزائر المعاصر من 1830 الى 1989, دار المعرفة, الجزائر 2006 , ج 1, ص270.

(2) جمعية أول نوفمبر في الاوراس : تاريخ الأوراس ونظام التركيبة الاجتماعية والإدارية في أثناء الاحتلال الفرنسي، دار الشهاب، باتنة، ب.ت ، ص 106.

طبقة دينية اسلامية رسمية مأجورة و مهمتها إقامة العبادة في المساجد و تقديم من العلم ما يخدم المحتل[1], اِلا ان كل هذه الحيل باءت بالفشل لأمرين اثنين مردهما المعارضة الشديدة من قبل الكولون و مقاطعة شبه تامة للمدارس الفرنسية من جانب الاهالي مفضلين المدارس العربية الحرة رغم تدني مستوى التعليم المقدم فيها آنذاك لا لشيء سوى للحفاظ على هويتهم وانتمائهم القطري خوفا على معتقداتهم المقدسة, و بقيت المؤسسات التعليمية تمارس نشاطها التعليمي الذي كان يغلب عليه في الحقيقة علامات مرحلة الانطواء الفكري و الحضاري, اين كان القائمون عليها ينتابهم نوع من التململ و السخط لما حققته المدارس الفرنسية من انتشار و تفوق لنوعية التعليم الذي تقدمه سيما بعد اقتناع بعض الاسر الجزائرية بحتمية الحاق ابنائهم بها.[2]

هذه المؤسسات التعليمية بدائية التشييد ,قليلة النفقات , حيث كان يكفي لفتح اي مدرسة بيت من طين او خيمة و بأثاث بسيط يتمثل في فراش من الحصير المصنوع من الحلفاء مخصصة للجلوس اما وسائل التعليم كانت متمثلة في ألواح مسطحة والاقلام المصنوعة من القصب ، و يستعمل السمق المصنوع من حرق الصوف وقطع حجر الصلصال و بعض الالواح و هو الشيء الذي حافظ ,شجع و ساعد على بقاء و انتشار مثل هذا التعليم الذي يعود له الفضل في اتقاء ويلات مخططات الاحتلال التغريبية التخريبية التي تمكنت من اصحاب النفوس المريضة في مناطق عديدة ,حيث هجر بعضهم هذا التعليم التقليدي و الحقوا ابنائهم بالمدارس الفرنسية الحديثة النشأة , يرى البعض ان هذه الفئة الضئيلة من الجزائريين انبهرت و تأثرت بالنمط الغربي و بالتفوق الاوروبي , فأبدت الرغبة في العيش على النهج الاوروبي خاصة و أن البورجوازية آنذاك, اضحت تدير ظهرها بشكل تدريجي للثقافة العربية الإسلامية. كما تؤكد وثائق أخرى أن منهم من عارض تمدرس أبنائهم إلى جانب

---

(1) شارل روبير اجيرون: المصدر السابق, ص .ص 107,106.

(2) عمر لرجان, المدرسيون: مصير نخبة, مركز البحوث العربية و الافريقية ,مصر, يناير 2004 ,ص 587

أبناء بني جلدتهم، حيث اعتبروا أن :"مرافقة أبنائهم لصغار الفرنسيين أكثر نفعا واستفادة من وجودهم بالمدارس العربية – الإسلامية"[1]

رغم الأساليب الوحشية القمعية و كل اشكال التضييق و المنع و الممارسات اللاأخلاقية المنتهجة في حق المؤسسات التعليمية العربية الحرة بما في ذلك القائمين عليها , الا ان مثل هذه الممارسات هي ما قوى من شكيمة الاهالي الذين اقدموا بجهودهم الخاصة الضئيلة ,على انشاء المدارس العربية الاسلامية الحرة ,و شيدت منها ما يزيد عن 170 مدرسة , و قد تباهى الاهالي على فقرهم المدقع ببناء المدارس [2]ودعمها و التف الشعب من حولها فاستمرت هذه المؤسسات في اداء مهمتها النبيلة غير مبالية بكل ما اعترضها و ما يخبأ لها من اضطهاد و دسائس , الجدير بالذكر ان هذه الحصانة التي تمتعت بها الهياكل التعليمية الحرة هي عصارة تقاليد ثقافية و دينية قديمة ميزت جل مناطق البلاد و بالأخص الداخلية بل كل الشمال الافريقي حيث حفظت تلك التراكمات الثقافية الدينية التي تعود الى قرون مضت كينونة و روح شعوبها حسب ما ذكرته فاني كولونا (*Colonna Fanny*) في كتابها :"آيات العصمة"[3], و هو الشيء الذي سمح للمجتمع الجزائري بخلق روابط متميزة بموروثه الديني و الثقافي , هذا الموروث الفكري العقائدي التقليدي الذي عشعش في المخيال الذهني للأهالي استمر في الوجود و التحكم في جل الاعتبارات ,الأدبيات و الاخلاقيات لدى فئات واسعة من الشعب الجزائري.

و بقيت المؤسسات التعليمية تمارس نشاطها التعليمي الذي كان يغلب عليه في الحقيقة علامات مرحلة الانطواء الفكري و الحضاري, اين كان القائمون عليها ينتابهم نوع من التململ و السخط لما حققته المدارس

[1] http://www.zagorapress.com/details-25910.html 2016/12/05 تمت زيارة الموقع بتاريخ

[2] احمد توفيق المدني : هذه هي الجزائر, مكتبة النهضة المصرية, القاهرة, ب.ت ,ص 144.

[3] عمر لرجان : المصدر السابق , ص 562.

الفرنسية من انتشار و تفوق لنوعية التعليم الذي تقدمه سيما بعد اقتناع بعض الاسر الجزائرية بحتمية الحاق ابنائهم بها.[1]

امتاز التعليم التقليدي الخاص بالمجتمع الجزائري و الذي اصطلح على تسميته بالتعليم العربي الحر بميزات عديدة مكنته من الاستقلال بذاته ,حيث كان الجيل الأول من التعليم الحر يتضمن مرحلتين : الأولى و هي بمثابة الابتدائي و تتمثل في الكتاتيب و هي منتشرة في كل حارات المدن و القرى و الخيام و المداشر حيث كان التعليم بسيط جدا فيتلقى الاطفال في هذه المرحلة القراءة و الكتابة و حفظ القرآن الكريم, أما المرحلة الثانية و المتمثلة في التعليم الثانوي الحر فكانت هياكله المساجد و الزوايا الا انه اخذ في الانكماش و التراجع الرهيب على مر السنوات حتى اضحى شبه مفقود , وبقي محصورا في بعض الزوايا و المعاهد الكبرى كمعهد الهامل ببوسعادة و مساجد ميزاب وزوايا الجنوب وزاوية سيدي منصور بالقبائل, و لولا الزوايا لكان التعليم الحر نسيا منسيا ,وفي هذا الصدد صرح دوماس :"الزاوية هي مدرسة دينية ودار مجانية للضيافة وهي بهاذين الوصفين تشبه كثيرا الدير بالعصور الوسطى."[2]

لقد أضحت الزوايا تستقطب قلوب العامة من الناس، فهي مدارس دينية ودور ضيافة مجانية حيث يجد فيها القادم إليها الكمال الروحي واحتياجاته الدنيوية, و يقوم عليها مدرسون و شيوخ مشهود لهم بعلو المكانة و الدراية بمختلف العلوم امثال الشيخ الكبير ابو عبد الله البوعبدلي و فضيلة الشيخ الطيب المهاجي بوهران. المرحلة الثالثة و هي التعليم العالي الحر , ان هذا التعليم قبل تأسيس جمعية العلماء لم يكن له وجود و عليه فالفضل يعود لها في ظهور هذا التعليم العالي و تمثل في تأسيس أول كلية تعنى بتكوين علماء اللغة و الدين .[3]

---

(1) عمر لرجان : المصدر السابق , ص587.

(2) محمد نسيب : زوايا العلم والقرآن بالجزائر، دار الفكر، الجزائر، د.ت، ص.2 .

(3) احمد توفيق المدني: المصدر السابق , ص 307.

كانت بمثابة الانطلاقة للجيل الثاني من التعليم الحر ,هذه الانطلاقة لم تأتي من العدم بل هي نتاج ذاك التعليم التقليدي الذي و رغم كل نقائصه على كل الاصعدة الا انه انتج جيلا لا ينكر فضله الا جاحد جيل من العلماء و الفقهاء الذين هاجروا الى مشارق الارض و مغاربها لنهل العلم من مصادره ,فكانوا يذهبون الى فاس و تونس و القاهرة ليتلقوا تعليما اسلاميا تقليديا, و كان الازهر دوما يضم من الطلاب الجزائريين اكثر مما تضم المنظومة التعليمية الجزائرية.[1]

و بعد عودة الفئة المثقفة من شيوخ و أئمة الى الديار تألموا لما آلت إليه الاوضاع مما اضطر هؤلاء بمعية فريق من الاصلاحيين و الوطنيين إلى اعادة النظر في التعليم الحر الذي كان قائما من اساسه, وانكب الجميع على خلق نظام تربوي تعليمي يواكب التطور ,فتولوا قيادته و الاشراف عليه بأنفسهم ولقد شجعتهم تجربة ابن حمانة في المدارس القرآنية ومجهودات الشيخ مصطفى حافظ الذي حاول الاستفادة من التجربة المصرية حيث يقول احمد توفيق المدني ان العلامة الفاضل مصطفى حافظ هو اول من فكر في اقامة هذا النوع من التعليم القرآني المنظم , فما فتئ ان بلغ عدد المنظومة التعليمية الحرة ثلاثون مدرسة و إن أحدثها تأسيسا مدرسة بجاية التي شيدها فضيلة الشيخ الهادي الزروقي و تلتها مدرسة جمعية الإخاء ببسكرة و عليه فقد بلغ عدد الطلبة ثلاثة ألاف بهذه المدارس الثلاثين. [2]

و إذا ما إعتمدنا حديث حمدان بن عثمان خوجة فإن المجتمع الجزائري قد امتاز آنذاك بصفات قل نظيرها في باقي المجتمعات حيث كان يتمتع بطاقات فكرية كانت تكمن في جل أوساط المجتمع , و المهم في الجانب الفكري هو أن الفئة المتنورة ذات الصفة التقليدية هي التي تصدت للتحدي الأوروبي (المسيحي) عبر كامل

[1] شارل روبير اجيرون: المصدر السابق , ص 114.

[2] احمد توفيق المدني : المصدر السابق, ص 305.

أنحاء الوطن. و عليه نلاحظ أن هذه الفئة و في حاضنة كالمجتمع الجزائري تمكنت من الحفاظ على شيء من التعليم الخاص بهم , و الذي أعتبر لزمن ليس ببعيد كموروث عقائدي و كجانب من التقاليد الذاتية.[1]

و هذه الفئة من مثقفين و شيوخ كان لها الفضل في الحفاظ على التعليم الحر فانكبت على تكوين الأجيال اللاحقة في تلك الحقبة العصيبة وبوسعنا في هذا المقال ذكر الشيخ بلقاسم المجاجي الذي تولى القضاء الاسلامي و العلامة الكبير حميدة العمالي مفتي العاصمة و قد كان يقدم دروسا بالمسجد الأعظم و الشيخ عمار ابن شريط القسنطيني الذي كان يجمع بين الإفتاء و التدريس و على غراره العالم الكبير الشيخ محمد الشاذلي القسنطيني أما العلامة الكبير الشيخ حسن ابريهمات فقد كان موسوعة علمية حيث اشتهر بكثرة علومه و المامه بجل العلوم النقلية و العقلية و كان مدرسا عظيما و تتلمذ على يده علماء كبار منهم العلامة الشيخ على بن الحفاف مفتي العاصمة لاحقا و جدير بنا في هذا المقام ذكر العلامة الشيخ محمد الطيب بن بوداود الزواوي الذي كان من كبار المدرسين, أما الشيخ الفذ الذي ذاع صيته داخل وخارج البلاد العالم الجليل محمد بن يوسف اطفيش كان من أعظم علماء زمانه بالجزائر ببني يزقن بوادي ميزاب حيث عمل على التأليف و التدريس و هو لم يبلغ العشرين من العمر فليس غريبا ان تزيد مؤلفاته الثلاثمائة مخطوطا في مجالات متعددة وهو من أهداه نياشين الافتخار كل من سلطان زنجبار و سلطان عمان و السلطان عبد الحميد[2], هؤلاء هم خيرة أبناء الجزائر ممن داوم على نشر العلوم الدينية و اللغوية و بقاء التعليم الحر منتشرا في رقع متفاوتة بالتراب الوطني نعم الفضل كله يعود لجهود هؤلاء العلماء الأجلاء الذين ذاقوا الأمّر من نفي و حبس و تغريم و هذا من أجل الحفاظ على استمرارية المنظومة العلمية التي كادت تضمحل و تندثر كليا.

---

(1) حميدة عميراوي : جوانب من السياسة الفرنسية و ردود الفعل الوطنية ,دار البعث للطباعة و النشر , قسنطينة 1984 , ص.ص39-45.

(2) احمد توفيق المدني : المصدر السابق, ص.ص 94-96.

إنتقل التعليم العربي الحر الى مرحلة الحيوية فتميز بانطلاقة جديدة في ميدان التعليم بفضل الحركة الإصلاحية الوطنية المتأثرة أصلا بأفكار حمدان خوجة وأعمال الامير عبد القادر, ومؤلفات و أعمال الشيوخ : المجاوي ابن سماية, و محمد اطفيش. و حركات التحرر التي ظهرت بعد هزيمة عبد الكريم الخطابي بالمغرب و كفاح الحزب الوطني بزعامة مصطفى كامل ثم ثورة 1919 المصرية ,أما بتونس فقد شكل الاصلاح الإسلامي قاعدة لتقويم التعليم برفقة خير الدين باشا فأسسوا مدرسة الصادقية و بعدها ظهر الى الوجود حزب الدستور بزعامة الثعالبي سنة 1920 ,و كان التأثير الاكبر من حركة الاصلاح الديني و الجامعة الاسلامية في المشرق بزعامة الشيخ جمال الدين الافغاني ,و زيارة الشيخ محمد عبدو الى الجزائر, في السياق نفسه كانت الحركة الاصلاحية الجزائرية قد ظهرت في بادئ الامر تحت اسم "حركة الجزائر الفتاة" بقيادة محمد برحال ذو النزعة المشرقية المؤمن بالقومية الاسلامية ,وبمعية الامير خالد و القاضي بن حبيلس , يمكننا اعتبار هؤلاء آباء الحركة الاصلاحية و التجديد الفكري و الديني و نتيجة لهذا الجو الذي شجع على الإصلاح جاءت حركة العلماء المسلمين التي تأسست في5 ماي 1931 فركزت جهودها على نشر اللغة و تنقية الدين من الشوائب و اصلاح العقيدة[1] ,بعدها انتقلت الحركة الى المطالبة برخص لفتح مدارس لتعليم النشء و بعض الحقوق المدنية و الدينية , و بدأت تظهر الى الوجود بعض من مظاهر الرفض و التحدي لسياسة المحتل و انتقل اهتمام المثقفين و المصلحين الوطنيين الى ميادين التعليم و كانت الانطلاقة الجديدة بتأسيس المدارس و تحديث القديم منها و انعاش الزوايا من جديد حيثما وجدت, وقامت الحركات الوطنية و خاصة جمعية العلماء بإيفاد بعثات علمية الى الدول العربية كتونس و المغرب و مصر لتكوين إطارات المستقبل لمواصلة المسيرة و حسب بعض المؤرخين الفرنسيين فان عدد الطلبة الذين

---

(1) مصطفى راجعي : ظهور الإصلاح الصوفي في الجزائر الكولونيالية , مجلة الحوار الثقافي ,عدد خريف وشتاء 2013, ص153.

سافروا لتلقي العلوم الإسلامية في الخارج قد بلغ 1270 طالب في خمسينيات القرن التاسع عشر[1] . لم يكتفي العلماء الاصلاحيين بتشييد المدارس فقط بل انصبت جهودهم على انشاء النوادي و المعاهد المختلفة و استنبطت مناهج تعليمية تتماشى و البيئة المحلية مستوحاة من العقيدة و الواقع المعاش عكس ما تتبعه المدارس الفرنسية التي بقيت غريبة بالنسبة لشرائح واسعة من الشعب الجزائري.

ويقول محمد البشير الإبراهيمي وهو من مؤسسي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ومن زعماء الحركة الإصلاحية واصفا الطريقة التي ارتضاها وابن باديس لتربية النشء "هي ألا نتوسع له في العلم، وإنما نربيه على فكرة صحيحة، ولو مع علم قليل، فتمت لنا هذه التجربة في الجيش الذي أعددناه من تلامذتنا" [2]

أما فيما يخص المدارس التي أسست في إطار التعليم العربي الحر نذكر:

- سنة 1913 أسست مدرسة الصديقية بمدينة تبسة .
- سنة 1917 أسست مدرسة تابعة لجمعية التربية و التعليم الاسلامية بقسنطينة, واعتبرت النواة الاولى للتعليم الحر.
- سنة 1937 شيدت مدرسة دار الحديث بتلمسان و هي من كبريات مدارس التعليم الحر التابعة لجمعات العلماء.
- سنة 1929 فتحت بمدينة سكيكدة المدرسة الموفقية .
- سنة 1921 أنشأت بمدينة الزيبان بسكرة مدرسة الإخاء.[3]

---

[1] آسيا بلحسين رحوي : وضعية التعليم الجزائري غداة الاحتلال الفرنسي , دراسات نفسية و تربوية، مخبر تطوير الممارسات النفسية و التربوية, عدد 7 ديسمبر2011 , ص 78.

[2] مصطفى محمد حميداتوا : عبد الحميد ابن باديس وجهوده التربوية، " سلسلة دورية تصدر كل شهرين عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية" ع 57 , س17, 1997 ، قطر , ط1 , ص 137.

[3] نفسه , ص 120.

عمدت جمعية العلماء بمعية ثلة من الاصلاحيين و المثقفين المدركين لأهمية التربية و التعليم إلى إحيائه و تطويره و إنشاء المدارس في كل مناطق الوطن من مدن و قرى و أرياف وفقا للنظرة التجديدية في سياق الشخصية الوطنية الدينية , بذلت جهود جبارة في المجال رغم المضايقات ,كان لها كل الفضل في ما آلت اليه الاوضاع فيما بعد من انتشار التعليم الحر و كثرة المدارس التي حددها الشيخ الابراهيمي ب: 125 مدرسة في شهر اكتوبر من سنة 1950, اما عدد الطلبة فقد قارب 37 طالب , اما المعلمين فزهاء 275 معلما ,و قامت الجمعية بفتح معهد خاص بتكوين المدرسين بقسنطينة عام 1947 و كذلك لأجل تأهيل الراغبين بالالتحاق بالمدارس العربية خارج الوطن كالزيتونة[1].

نجحت حركة الاصلاح في المحافظة و انعاش التربية و التعليم الاصيل و الثقافة الوطنية بهياكل حاول المحتل تدميرها بكل عزم , فأتاحت للأجيال اللاحقة ان تعي حقيقة انتماءاتها ,و هكذا انبعثت حركة التعليم الحر كمورد من موارد العمل التحرري و أخذت تشكل ملامح جديدة لما ستكون عليه المدرسة الجزائرية مستقبلا, خاصة و ان المجتمع الجزائري كان يكافح المحتل بكل ما أوتي من وسائل و كله ايمانا بصدق قضيته واعيا بعظيم مصابه فأخذ يكون و يحضر الاجيال استعدادا لما هو أعظم و اجل.

في الأخير لا يسعنا سوى التذكير بما كتبه الاستاذ محفوظ قداش , و هو يشخص تلك الفترة الغنية بالأحداث على ما لها و ما عليها من مآخذ حيث يعود بنا الى أحد أهم منابع التعليم القومي الذي صوره في نزعة تجلت في الاتجاه الذي دشنه الامير عبد القادر حيث وجد تجسيدا له في الجمعية التي تتألف في معظمها من خريجي الزيتونة و الأزهر التي قامت بحصر مقاومتها في الجانب الثقافي فحسب. و انصبت جل المجهودات في تلقين مبادئ الاسلام و تعاليمه و في تعليم اللغة العربية ,فالتعليم كان بالنسبة للجمعية جزءا من كل و الكل هو

(1) بشير بلاح : المصدر السابق , ص 276.

اصلاح المجتمع برمته. لقد كان التعليم هو نقطة البداية و الشرط الذي لابد منه في سبيل تحرير العقول و بتحرير هذه العقول يسهل تحرير الوطن. لقد كان اعضاء الجمعية يشجعون على اكتشاف الوطن اكثر مما كانوا يشجعون على دخول الجزائريين في الوطن الفرنسي.[1]

المبحث الثاني : المدارس الشرعية الرسمية في الجزائر

في سنة 1864, رفع أحد القادة الغزاة من إدارة الاحتلال و منظريها في بلادنا الجنرال دوكرو (*Ducrot*) تقريرا إلى نابوليون الثالث يقول فيه: " يجب أن نضع العراقيل أمام المدارس الإسلامية و الزوايا كلما استطعنا إلى ذلك سبيلا (...) و بعبارة أخرى يجب أن يكون هدفنا هو تحطيم الشعب الجزائري ماديا و معنويا" . [2]

بعد أن منيت السياسة التعليمية الفرنسية بفشل ذريع على مختلف الأصعدة , وتوجه الأهالي إلى التعليم العربي الحر , اهتدت الإدارة العسكرية إلى تبني خطوة جديدة لاستمالة الأهالي من جهة و محاربة التعليم الحر من جهة أخرى ومن أجل منع الطلاب من الالتحاق بالجامعات الإسلامية بالخارج. و عليه قررت سنة 1850 إنشاء مدارس على شاكلة المدارس الحرة فهي إسلامية حكومية رسمية و كانت تسمى "المدارس الحكومية الثلاث" , وأطلق عليه المحتل الاسم العربي المدارس ***Mederssas*** و كانت تقع تحت إشراف الحاكم العام.

[1] Kedache .M, Histoire du mouvement national , 2°eme édition , Alger , ENAL 1993 , p5 .

[2] مصطفى الاشرف : المصدر السابق , ص 192.

عند انشائها كانت تعيش فوضى عارمة , لم يتم تحديد السن و لا حتى المستوى الدراسي, و نفس الشيء بالنسبة للمعلمين و دامت هذه الاحوال الى غاية 1876.

بصرف النظر عن ما سبق , فان الادارة العسكرية ايقنت وقتها انها بحاجة ماسة الى تكوين فئة من الفقهاء و الائمة لتولي المناصب الشرعية كالقضاء و الافتاء و التدريس فأصدرت مرسوم في 30 سبتمبر 1950 يقضي تأسيس هذه المدارس العربية الاسلامية في كل من مدينة تلمسان و قسنطينة و المدية الا ان مدرسة المدية حولت من بعد الى مدينة البليدة سنة 1855 و من بعد الى مدينة الجزائر سنة 1859, رغم ان مصالح التعليم الحكومي العام ترتبط بوزارة التعليم العام , الا أن هذه المدارس بقيت تابعة لوزارة الحربية.[1]

و في سنة 1892 تم طرح مشروع إعادة هيكلة التعليم العالي و تم اقتراح استئناف التعليم بالمدارس الثلاث وفق برنامج منهجي خاص, حيث تم التطرق الى فشل التعليم الفرنسي في المدارس الحكومية. والجدير بالذكر ان الحكومة الفرنسية كانت تعتبر هذه المدارس الوحيدة التي بإمكانها تقديم تعليم عالي خاص بالمسلمين.

كانت اكبر نسبة من المقبولين في المدارس من الطبقات الاجتماعية المتوسطة أما ابناء البورجوازيين فكانوا قلة بحيث ان معظم هؤلاء يتجهون للدراسة في الاختصاصات المفرنسة و بصورة خاصة في مدرسة ترشيح المعلمين, طبقا لما جاء في كتب المؤرخين الفرنسيين الا ان الواقع كان عكس ذلك , لان شروط الالتحاق بها يمكن اعتبارها تعجيزية , حيث تشترط الحيازة على شهادة الابتدائية الفرنسية و ليس بوسع كل طالب قد انهى بنجاح الدراسة الابتدائية الالتحاق بالقسمين العاليين بما ان عدد الطلبة كان محدودا جدا , حيث يقدر بعشرة

([1]) احمد توفيق المدني: المصدر السابق , ص 300.

طلاب[1] في كل مدرسة و على حد قول بعض المؤرخين فان المدرسة بطوريها الابتدائي و العالي تتسع لخمسمائة تلميذ.

بعد نهاية كل دورة تدريبية تكميلية و النجاح في الامتحانات , يمكن للتلاميذ الالتحاق بالمدارس الشرعية او الالتحاق بالمدرسة العمومية الفرنسية. ان معظم المنتسبين لهذه المدارس الشرعية , رغم أن هذه المدارس وجدت اصلا لاستقبال التلاميذ المنحدرين من المتشبعين بالعادات الثقافية العربية. وهذا ما ارادت ادارة الاحتلال ترويجه الا ان العكس هو الصحيح فالأغلبية من ابناء الاعوان و مساعديها و المتعاونين معها , خاصة و ان المدارس كانت تصرف منح نقدية لكل الطلبة المزاولين للدراسة بأقسامها و عليه , فقلة هم الطلبة الذين فتحت لأجلهم أبواب هذه المدارس.

و لقد كتب المؤرخ بولار(*Poulard Maurice*) ما يلي:" جل هؤلاء الشباب (المدرسيين) ينتمون الى عائلات فقيرة او احوالها عسيرة و ليس بإمكانها دفع تكاليف تمدرس ابنائها في المدارس الفرنسية ,مما يدفعها الى التوجه لهذه المدارس الشرعية لتستفيد من منحة تمدرس ابنائها فهي اهم مدخول لها."[2]

حسب بولار (*P. Maurice*) فان مناهج المدارس تحتوي في طياتها بعض خصائص المجتمع الجزائري ,فهي تأخذ بعين الاعتبار الاحتياجات الاخلاقية و الثقافية لأربعة ملايين من الاهالي, هذه الاحتياجات المستمدة من لغتهم, عاداتهم, و من شخصيتهم و بالأخص عقيدتهم.

---

[1] نفس المصدر, ص301.

[2] Aissa Kadri ,Ahmed Ghouati ,Enseignants et instituteurs en Algérie, Institut Maghreb Europe (Paris 8) ;UNSA/Education, 2006 HAL ,pp 36- 82.

فالمناهج الدراسية الخاصة بهذه المدارس كلها تدرس باللغة العربية, و هي معدة اصلا وفق التركيبة الاجتماعية للسكان المحليين.

حري بنا ان ننبه هنا ان برامج شعبة الدراسات العليا في المدارس تشمل :العقيدة الاسلامية, تفسير القرآن, الادب العربي ,الشريعة الاسلامية, تاريخ الحضارة الفرنسية و شيئا من القانون الفرنسي, البلاغة و المنطق , التشريع الجزائري.

و منذ ظهور هذه المدارس الى الوجود , عرفت اوقات عصيبة متفاوتة , خاصة انها غير معروفة و فريدة من نوعها , و لقد مرت المدارس الشرعية بعدة مراحل مختلفة منذ تكوينها الا انه يمكن حصرها في ثلاثة مراحل كبرى :

- المرحلة الأولى من سنة 1850 الى غاية 1876 اي من بداية تأسيس هذه المدارس الى غاية ادخال بعض الاصلاحات عليها ,نتيجة لما عرفه القضاء الاسلامي من اصلاحات سنة 1865 , و هي فترة عرفت فيها المدارس نوع من الاستقلالية في التسيير حيث ان كل من المدير و المدرسين كانوا من الاهالي .

- المرحلة الثانية بدأت مع اصلاحات 1876 الى غاية سنة 1895 فهي فترة استعادة السيطرة بعد أحداث التمرد عام 1870 على مستوى التسيير حيث اصبح المدير فرنسيا و تم الخفض من السن المطلوب , و تم كذلك الرفع من مستوى التدريس , كما عرفت هذه المرحلة ادخال مادة القانون الفرنسي .

- المرحلة الثالثة تمتد من سنة 1896 الى سنة 1951,حيث لم تعرف المدارس في هذه المدة الا حدثين اثنين المتمثلين في الحربين العالميتين.[1]

رغم كل هذه الأحداث التي عرفتها المدارس الشرعية الا ان مسيرتها لم تتوقف عند هذا الحد خاصة انها عرفت اعادة هيكلة جذرية, فبمقتضى مرسوم صدر في 10 جويلية من سنة 1951 تحولت المدارس الشرعية الى ثانويات فرانكو اسلامية (*lycées franco-musulman*) وبعد سنوات ثماني اي في عام 1959 تحولت الى ما اصبح يعرف بالثانويات الوطنية (*lycées nationaux*).

و قد نشر مدير المعارف المدعو جونمير (*Jean Maire*) في شهر ديسمبر من عام 1894 تقريرا له عن هذه المدارس جاء فيه ما يلي:" ان هذه المدارس لم تعط النتيجة التي كانت تتوقعها الحكومة منها , و ذلك نظرا لقصر سنوات الدراسة و لانحطاط مستوى التعليم, و اثر ذلك وقع ادخال تنقيحات عديدة على نظام المدارس الثلاث, و جاء في تصريح لارشي ما مفاده ان هذه المدارس بمرتبة التعليم الابتدائي من حيث المستوى رغم كونها تابعة للتعليم العالي"[2] .

و عليه فقد عمدت إدارة الاحتلال الى إدخال بعض التغييرات لتنظيم المدارس فصار يشترط الحيازة على الشهادة الابتدائية الفرنسية واصبحت مدة الدراسة اربع سنوات بعد ان كانت من قبل ثلاث سنوات فقط , اما المدرسين فهم من المسلمين والمستشرقين و تولى اداراتها الفرنسيين بعد أن كانت محصورة في أشخاص العلماء و الشيوخ الجزائريين المشهود لهم بعلو المقام و الرسوخ في العلم.

---

[1] Ibid, pp.36- 82.

[2] احمد توفيق : المصدر السابق , ص 300.

و بمقتضى مرسوم 23 جويلية 1895 الممضي من طرف وزير التعليم العمومي و الفنون الجميلة و الديانات آنذاك ريمون بوانكاري(*R.Poincaré*) المكون من 13 مادة و قسم الى فرعين, حيث تناول الأول المدارس الشرعية الثلاث في حين تناول الثاني القسم الأعلى لمدرسة الجزائر و قد نص هذا المرسوم تأسيس قسم أعلى حددت به مدة الدراسة بعامين و اعادة التذكير بمرسوم 30 سبتمبر 1850 الذي نص في فصله الثاني في المادة الرابعة على مجانية التعليم للأهالي و يشمل ثلاث مواد فقط الى أن جاء مرسوم 23 جويلية 1895 الذي نص في مادته الثالثة على ان هذا التعليم يشمل المواضيع التالية :

- دروس اللغة العربية.
- الحساب , مبادئ في الهندسة العلوم الفزيائية الطبيعية.
- الشريعة الاسلامية و تطبيقاتها.
- اللغة الفرنسية, مبادئ في التأريخ و الجغرافيا و القانون المعمول به و التنظيم الإداري .
- علوم الدين الإسلامي.

اما فيما يخص القسم العالي لمدرسة الجزائر , فقد نص الفصل الثاني من نفس المرسوم في مادته التاسعة ان التعليم يتناول المواضيع التالية:

1-علوم الدين الإسلامي و تفسير القرآن.

2-الشريعة الإسلامية و مصادرها.

3-الأدب العربي، البلاغة و المنطق.

4-تاريخ الحضارة الفرنسية.

5-مبادئ القانون الفرنسي و التشريع الجزائي.

برغم كل القوانين و النصوص التي اصدرت التي كانت توحي بصدق نوايا ادارة الاحتلال الا أن هذه المدارس امتازت بصبغة سياسية اساسا و تخضع لمراقبة السلطة العسكرية , و يتم تفتيشها دوريا بموجب إجراءات تضمنها مرسوم تأسيسها, كانت السلطات الفرنسية تجري عليها تفتيشا سنويا , يقوم به مفتش فرنسي له علاقة بالشؤون العربية , بمساعدة من احد المستشرقين القائمين على حلقات اللغة العربية.[1]

و قد كتب الجنرال بيدو(*Marie-Alphonse Bedeau*) في تقرير من تقاريره قائلا:" هناك تطور بدأ يظهر لدى المعلمين عن كيفية تصورهم للتعليم الذي سيعطى للأجيال الصاعدة, و عليه يبدو بأن الوقت الذي سنتوصل فيه الى القضاء على نفورهم من كل ما هو غير متصل بالقرآن من دراسات أو من كتب تقليدية , غير بعيد , و من ثمة تدريس اللغة الفرنسية بالمدارس الأهلية التي كم هي ضرورية بالنسبة للذين سيحتكون بالسلطة الفرنسية , و تعليم مبادئ التاريخ العام بنية توسيع الأفق الفكري للأشخاص الذين سيساعدوننا ."[2]

وأصبحت مدة الدارسة بها في النهاية أربع سنوات بالقسم الابتدائي وسنتان بالقسم العالي في مدرسة واحدة هي الثعالبية بالعاصمة انطلقت الدراسة العليا فيها عام 1901, حيث الحق بها قسم تجاري , اسسته غرفة تجارة الجزائر [3].

و في تقرير مفصل و دقيق لعبد الحق الناصري الجزائري ألقي امام جمعية الطلبة بالمدرسة الخلدونية الذي اشار فيه عن وضعية المدارس الشرعية حيث قال عنها أنها عالية عند الحكومة الفرنسية الا أنها تعتبر مدارس ابتدائية لسوء برامجها و انعدام التعليم العربي بها. و طالب بإضافة مادتي التاريخ الاسلامي و الفلسفة الاسلامية ضمن

---

(1) ابو القاسم سعد الله : المصدر السابق , الجزء 3 , ص.ص 367-400.

(2) عبد الحميد زوزو: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1900/1830, موفم للنشر و التوزيع, الجزائر 2009, ص 227.

(3) أحمد توفيق المدني : المصدر السابق , ص 301.

برامجها و تحسين نوعية اللغة العربية الملقنة للطلبة, وفتح الأفاق أمام الجزائريين لخوض غمار التدريس في هذه المدارس الثلاث[1] حيث لا يوجد بها سوى 28 معلما فقط.

و كانت الدروس مقدمة من طرف شيوخ و اساتذة مشهود لهم بعلو المكانة و العلم امثال: سي المكي بن ساعد البوطالبي مدرس الفقه سي الشاذلي مدير مدرسة قسنطينة و يقدم دروس القواعد, الحاج مبارك يقدم دروس في التوحيد, عمر بريهمات في الفقه الاسلامي, عبد الحليم بن سماية في الادب العربي, عبد القادر المجاوي في النحو و الصرف, احمد بن البشير في التوحيد و كان مديرا لمدرسة تلمسان قبل سنة 1876.و فيما بعد فحسب ما ذكره الدكتور رابح تركي فاغلب المعلمين يتم تعيينهم من خريجي المدارس الفرنسية او خريجي معهد اللغات الشرقية بجامعة باريس او من معاهد اسلامية كجامع الزيتونة.[2]

و نظرا لكثرة التعديلات التي طرأت عليها و نوعية تعليمها و نتيجة للإهمال و المعارضة الشديدة التي لقيتها من طرف الكولون زد على ذلك ان الاهالي آنذاك كانوا ينفرون من كل ما هو اجنبي , فان هذه المدارس ظلت لمدة طويلة ينتابها اللبس و الغموض حتى ان الكثير من الساسة ابدوا معارضتهم و امتعاضهم منها , الى ان صدر قرار يقضي باخراج هذه المدارس من سيطرة الادارة العسكرية , و تحولت بمقتضاه الى معاهد عليا للفقه الاسلامي تتولى اعداد المترشحين لشغل المناصب ذات الصلة بأمور الاهالي.

---

(1) أحمد مريوش : الحركة الطلابية الجزائرية ودورها في القضية الوطنية و ثورة التحرير1954 , رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر ,جامعة الجزائر, السنة الدراسية 2006/2005.

(2) رابح تركي : الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم ،ط 2 ، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، ص.ص 149-152.

قال المستشرق الفريد بيل (*Alfred Bel*) الذي تولى ادارة مدرسة تلمسان لمدة طويلة " ان الهدف من انشاء المدارس الشرعية , هو اعادة الثقة للمغلوبين (الأهالي) , و جلب الطلبة الذين كانوا من قبل يتوجهون للدراسة في الجامعات الاجنبية , و خصوصا المغرب".[1]

الا ان اماني المستشرق بيل لم تجد لها طريقا للتحقيق ,وعليه يمكننا القول ان هذه المدارس الشرعية كانت لها نتائج عديدة سلبية و ايجابية فهذه الاخيرة قدمت خدمات جليلة لإدارة الاحتلال فحاربت التعليم العربي الحر طيلة وجودها , ورغم ان اسمها المدارس **Mederssas** من الاسم العربي مدارس فهي في الحقيقة وجدت لمخادعة الاهالي لأجل استقطابهم و نيل نوع من رضى المجتمع بهدف فرنسة الاهالي بطريقة تدريجية باستمالتهم من جانب اللغة و الدين ,كان الرجاء تكوين فقهاء و قضاة و علماء اللغة لخدمة المشروع الاحتلالي و منافسة علماء الزوايا او العصاميين الذين اخذوا علوم السلف فاصبحوا الذين يشكلون خطرا على المحتل, و هوجمت من قبل عرابيها و انتقدها المثقفون الفرنسيون امثال اوغستين بارك(*Augustine Berque*) , الا ان النتيجة جاءت عكسية فاغلب خريجي المدارس الشرعية التحق بالحركة الاصلاحية و باقي التنظيمات الوطنية ثم ثورة التحرير, و من ابرز خريجي هذه المدارس مصطفى الاشرف و المفكر الكبير مالك بن نبي و احمد بومنجل الذي تمكن من الالتحاق بالجامعة الفرنسية بعد النجاح في مسابقة الدخول و المرور عن طريق " معهد اللغات الشرقية" بباريس.

لم ينتج النظام المدارسي علماء او مفكرين و مثقفين و لا حتى مفتيين كبار ,بل خريجين ذوو تأسيس ثقافي مقبول و اطارات متوسطة تقوم بوساطة بين ادارة الاحتلال و بني جلدتهم قليل هم من تمكن من الوصول الى

---

(1) ابو القاسم سعد الله : المصدر السابق , ص 370 .

منابع العلم و المعرفة الاوروبية ونهلوا داخل قاعات الجامعات الغربية مختلف المعارف و العلوم كما كان الحال لكل من مصطفى لشرف و مزيان عبد المجيد....الخ[1]

لا يسعنا ان ننهي هذه الاسطر دون الاشادة لعدد لا يحصى لشخصيات كثيرة من جريجي هذه المدارس و التي لعبت ادوارا حاسمة في اعداد و تكوين و تربية النشء في لحظات عصيبة , دون الاشارة للدور البارز كذلك لهؤلاء الشجعان المناضلين الذين ارتبطت شخصياتهم بمواقف بطولية اتخذت ازاء المواطنين و الوطن فقدموا اكثر من اسم من بينهم ممن قدموه فداءٌ للوطن كالقائد الشهيد الرمز العقيد لطفي و اسمه الحقيقي بن علي دغين قائد الولاية الخامسة رفقة صديقه الضابط احمد جلاد و المجاهد عبد الرحمن بن حميدة مسؤول سابق عن منطقة الجزائر و اول وزير للتربية الوطنية في حكومة عمارة رشيد في الجزائر المستقلة و هو كذلك من خريجيها و كان يلقب ايام الثورة بالكيميائي, [2]و حيحي المكي و الطيب بن قبي الاثنين من قسنطينة سقطا في ميدان الشرف والقائمة طويلة بأسماء ممن كانت فرنسا تبني عليهم امالا كبيرة في زرع افكارها بين الاهالي.

المبحث الثالث : الطلبة الجزائريين و التعليم العالي

جاء في بعض الدراسات ان بعض الاهالي الجزائريين ممن تمكنوا من الهجرة الى فرنسا, قاموا بتسجيل ابنائهم بالمدارس الفرنسية لمواصلة تعليمهم حيث ورد في احصائيات سنة 1910 أن مجموع الطلبة الجزائريين بالجامعات و المعاهد الفرنسية قد بلغ ما عدده 25 طالبا من حملة شهادات الطب و المحاماة. نفس الاحصائيات تتحدث عن مجهودات المستشار الثقافي بالجزائر جيل فيري (*Jules Ferry*) الذي عمد الى تشجيع ابناء

---

[1] عمر لرجان : المصدر السابق , ص 571.

[2] Mohammed Khettaoui, Le rôle des Médersas, le jeune musulman du : 01 août 2014.

الأهالي لمواصلة تعليمهم العالي, مما أدى إلى ارتفاع عدد الجامعيين الجزائريين ليصل حدود61 طالبا ثم استقر العدد في حدود 100 طالب ما بين 1929 و 1932 و ارتفع فيما بعد الى 142 طالبا سنة 1941, الا ان اكبر عدد سجل سنة 1951 حيث بلغ عدد الطلبة الجامعيين الجزائريين 368 طالبا, وبعدها عرفت سنوات الخمسينيات قفزة نوعية في أعداد الطلبة الجامعيين الجزائريين بمؤسسات التعليم العالي الفرنسية حيث وصل عدد الطلبة سنة 1955 الى 589[1] و هذه الاعداد تدخل ضمن موجات الهجرة التي عرفتها تلك الفترة, إلا أن المفكر مالك بن نبي شكك في وجود دراسة احصائية دقيقة لعدد الطلبة الجامعيين حيث قال:" فلنذكر أن عدد الطلبة الجامعيين يبلغ تقريبا 300 ألف طالبا بفرنسا , بينما لا يبلغ عددهم في الجزائر 300 على وجه التقريب , و إذا كان لهذا الرقم معنى من حيث الكم فإن الواقع يكشف وراءه حقيقة الأمر من حيث الكيف." [2]

الشيء المؤكد ان الحالة الاجتماعية للطلبة الجزائريين كانت اكثر سوءا و بؤسا من نظرائهم الاوروبيين , فليس من المفارقة ان تساهم مثل هذه الظروف في بلورة بيئة ترعرعت فيه مطالب عديدة للطلبة حتى الاجانب منهم. فهي شبيهة بالعمل النقابي داخل لجان الاحياء الجامعية بهدف اصلاح احوالهم الاجتماعية, مما نتج عن هذا العمل النقابي تكوين جمعيات و حركات طلابية حملت على عاتقها النضال الطلابي داخل المؤسسات الجامعية.

و حسب دراسة للمؤرخة فاني كولونا (*Fanny Colonna*) فان عدد الطلبة الذين يقصدون جامع الازهر يفوق بكثير نظرائهم ممن كانوا يزاولون دراستهم بالجزائر و حتى ان عدد الطلبة الذين يتوجهون للدراسة بالجامعات الاسلامية يتجاوز بكثير عدد الطلبة الذين يواصلون دراساتهم بفرنسا.

---

[1] عبد الله حمادي : الحركة الطلابية الجزائرية 1962/1871, ط 2, المؤسسة الوطنية للنشر و الاشهار , الجزائر 1995 , ص 18 .

[2] مالك بن نبي : في مهب المعركة, مشكلات الحضارة, ط 3 , دار الفكر , سوريا1981 , ص 35 .

و لعل الدارس للظاهرة المتمثلة في الطلبة الجامعيين الجزائريين يجد انها مقسمة الى تيارين اثنين كل حسب توجهاته الايديولوجية , التيار الاول و هو المتشبع بالثقافة و الفكر الغربي و هو المتأثر بالثورة الفرنسية , أما التيار الثاني فهو ذو النزعة العروبية المتشبع بالمبادئ الاسلامية المؤمن بجدوى المدارس التقليدية, و عليه فان التركيبة الفكرية و النمط الحضاري ينعكس بصفة بارزة على بلورة الرؤى المستقبلية و التوجهات السياسية مع مطلع النهضة الفكرية في نهاية القرن التاسع عشر.

ان الاختلاف في منابع التكوين العلمي و الثقافي و حتى الرقعة الجغرافية بما فيه المحيط العائلي قد كان له الاثر الكبير في اتجاه نمو الحتمية الفكرية الطلابية , مما ادى بها احيان ان لم نقل دوما الى صدامات و تآكل داخلي, و هذا نتاج الاختلافات و الاختلالات على مستوى الطروحات و المناهج و ما كان له الاثر الكبير هو كل ما مصدره التباين في المبادئ الذي وسع الهوة بين مختلف اجنحة الحركات الطلابية حول جل القضايا المهتمة بالفكر كما بينه المستشرق الفرنسي المشهور اوغستين بارك(*Augustin Berque*) في كتاباته حيث يقول:" انهم هنا يفكرون ليس من أجل التفكير و إنما ضد بعضهم البعض"[1]

لقد تجمعت كل الظروف معا لتصعب من امكانية تغيير الطالبة الجزائريين لأوضاعهم الاجتماعية, لم تكن امامهم خيارات كثيرة بل مجرد طريقين اثنين , فكان عليهم اما الانتقال الى الجانب البورجوازي او جانب النضال, الخيار الاول لم يكن متاحا نظرا لاعتبارات عديدة اهمها الخلفية الاجتماعية للطلبة , لهذا فانهم انصرفوا الى العمل على تنظيم أحوالهم بغية تحصيل بعض حقوقهم المادية و المعنوية, و بما أنه كان من الصعب الانتساب او الانخراط ضمن الحركات الطلابية الفرنسية , فكان لزاما عليهم التجمع في تنظيمات خاصة بهم باعتبارهم أجانب مهاجرين خاصة انهم كانوا يتلقون الدعم المعنوي من الجماعات الاصلية

[1] صالح جديد : الانتليجانسيا الشابة و الزمن نحو التحرر ، رسالة الأطلس, عدد 235 ليوم 1999.04.11.

كان الطلبة المسلمين يصطدمون بصعوبات و اقصاء في شتى الميادين , من تجاهل لمشاكلهم و حتى التمييز بصفتهم مهاجرين مسلمين, فهم ممنوعون من مزاولة بعض الاعمال الحرة طبقا لاختصاصاتهم المهنية أو تقلد بعض الوظائف أو حتى المشاركة في مسابقات معينة , و منذ سنة 1919 ارتأى بعض الطلبة ضرورة التكتل في اطار ودادية لتكون لهم ذخرا و سندا ,حري بنا التأكيد ان اول تنظيم طلابي مغاربي ظهر سنة 1919 بالجزائر تحت شعار "جمعية الطلبة المسلمين لشمال افريقيا" هدفه الدفاع عن مصالح الطلبة و ابراز الشخصية الاسلامية للشمال الافريقي و كان من بين ابرز أعضائه : المفكر مالك بن نبي, الذي تولى الامانة العامة,كان لهذا التنظيم دور فعال وطنيا و مغاربيا, حيث عقد ندوات و مؤتمرات عديدة , و ساهم في تأسيس اولى الجمعيات الطلابية الجزائرية بمعية جمعية العلماء المسلمين سنة 1934, لينتقل الطلبة بعدها الى الانضواء تحت لواء جمعية الطلبة المسلمين لشمال افريقيا .

الملفت للنظر ان الاحوال المادية للطلبة كانت مزرية بالنظر للنقص الفادح في مرافق الاقامة وقلة المنح الجامعية و نفس الظروف كان يقاسيها الطلبة في فرنسا حيث يضطر اغلب الطلبة الى العمل من اجل كسب لقمة العيش بالتزامن مع مواصلة الدراسة نظرا لانعدام اي دعم من جانب الحكومة. (1)

تم سنة 1953 حل الاتحاد الإسلامي للطلبة المغاربة , نظرا للأوضاع التي شهدتها كل من تونس والمغرب مما أدى بالطلبة الجزائريين إلى التفكير في تكوين (تشكيل) تنظيم طلابي جزائري، فتأسس أول تنظيم بباريس تحت اسم "اتحاد الطلبة الجزائريين بباريس " **UEAP**" كحل مؤقت.

إن اتحاد الطلبة بباريس , أول عمل قام به سنة 1953-1954 مع بروز الاتحاد العام و إجراء المؤتمر التأسيسي الأول له في جويلية 1954 ، هو إيفاد خطاب في الموضوع إلى جمعية الطلبة المسلمين في شمال إفريقيا

---

(1) غي برفيي : النخبة الجزائرية الفرانكفونية 1962/1880 , تر: م حاج مسعود , أ.بكلي , ع.بلعربيي , دار القصبة للنشر الجزائر , 2007 , ص. ص 83,82.

بالجزائر، فانعقدت الجلسة العامة السنوية في ديسمبر 1953 لجمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا. إن التطورات السياسية والعسكرية التي كانت تمر بها الجزائر والوضعية المزرية التي كان يعيشها الطالب الجزائري ، كانت وراء التفكير في إيجاد تنظيم يدافع من خلاله الطلبة عن مصالحهم المادية والمعنوية أينما كانوا . فكان ميلاد الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين في الرابع من شهر جويلية 1955، أي بعد مرور تسعة أشهر على اندلاع الثورة التحريرية.

ومن الرواد المؤسسين نذكر ؛ الطالب: عبد السلام بلعيد ، أحمد طالب الإبراهيمي ، محمد بن يحى ، عيسى مسعودي، محمد منور مروش، عبد الحميد مهري ، ومن الشهداء طالب عبدالرحمان ، بن زرجب ، ابن بعطوش ، عمارة لونيس . و في 19 ماي 1956, قرر الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين إضرابا عاما عن الدراسة والامتحانات ، البيان الصادر لهذا الغرض يدعو الطلبة للالتحاق بصفوف جيش التحرير الوطني ، لخوض غمار الكفاح المسلح . و بعها في شهر ديسمبر من نفس السنة اعلن الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين عن قطع علاقاته بالاتحاد الوطني لطلبة فرنسا ، بسبب موقفه الحيادي من القضية الجزائرية

و لعل خصوصيات الحياة الطلابية في المعاهد و الجامعات الحديثة هي التي اكسبتهم نوع من التنظيم, و البحث عن وسائل جديدة لان يوميات الطالب في المدارس الحديثة اهلته اكثر مما كان عليه سابقا للخوض في مثل هذه المسائل الخاصة.

في خضم الكم الهائل من الصعوبات و المشاكل الاجتماعية التي كان يتخبط فيها الطلبة الجزائريين , كان من الضروري الفصل بين شريحتين من صفوف الطلبة ,فئة قليلة تمثل طلبة النخبة التي ساعفها الحظ في مواصلة الدراسة النظامية الى غاية الجامعات او المعاهد العليا بأوروبا خاصة بباريس, اما الفئة الثانية فتمثل من كان نصيبها من التعليم بالزوايا و المدارس الحرة و خاصة مدارس جمعية العلماء المسلمين و هذه الفئة هي الاكثرية لكن قلة منها من استفاد من مزاولة الدراسة بالجامعات و المعاهد العربية الاسلامية, رغم وجود بعض الابحاث التي مفاده

ان الجمعية أعلنت في سنة 1955 عن الحاقها ل:1000 طالب بالزيتونة , اما القرويين فكان العدد 120 طالبا و في الازهر ما يربو عن 150 طالبا, و قبله كانت قد نشرت مجلة "الشاب المسلم" الناطقة باسم الجمعية خبرا مفاده أن اجمالي الطلبة المتواجدين بالمشرق هو 150 طالبا [1], أي أن العدد يفوق بكثير إجمالي المتمدرسين بالجامعات الفرنسية.

قامت الجمعية بإرسال بعثات إلى العديد من البلدان الشقيقة مثل تونس ومصر، المغرب وسوريا وتخرج منها قبل الاستقلال حوالي 1270 إطار تلقوا تعليما في مستوى الجامعي وهو ضعف ما تخرج من الجامعة التي أنشأتها فرنسا في الجزائر. [2]

ان الطلبة الجزائريين الذين حالفهم الحظ في مواصلة دراساتهم العليا في الجامعات التقليدية او الحديثة في مشارق الارض او مغاربها على اختلاف توجهاتهم الفكرية و الثقافية على مختلف المراحل واكبوا نشأة و تطور الحركات الوطنية فمنهم من شاركها همومها و حركيتها في الداخل كما في الخارج فكان منهم من تأثر بمسارها فواكبها و ناضل ضمن صفوفها او لأجل نفس مبادئها و عكسهم كان هنالك فصيل ليس بالقليل عدده يناوئه و يعاديه المواقف رغم مشاركتهم نفس الوطن و الدين و حتى القضية, فاصبح الطلبة الجزائريين الجامعيين كما وصفهم عبد الله حمادي انهم وجدوا انفسهم مثل الايتام بين حضارتين[3] و في نفس السياق الكاتب الاشتراكي جون جوريس(*Jean Jaurès*) يصف احوالهم قائلا :"لقد مزقنا الشبان الجزائريين بين حضارتين و سرعان ما فقدوا الاتصال بحضارتهم , و لكنهم غير قادرين على الدخول في حضارتنا الا بصعوبة". [4]

---

[1] نفس المصدر , ص 41.

[2] محمد العربي ولد خليفة : الثورة الجزائرية معطيات وتحديات، ط 1، م وك، الجزائر،1991 , ص 76.

[3] عبد الله حمادي , المصدر السابق, ص 71

[4] ابو القاسم سعد الله :الحركة الطلابية الجزائرية 1930/1900 , ش.و.ن.ت ، الجزائر1983 , ج2 , ص161.

و من هنا انطلق العمل الطلابي او ما اصطلح بتسميته النشاط الطلابي و الذي يقصد به التنظيم الذي يقتصر فقط على الطلبة الذين كان لهم الحظ في الالتحاق بالمعاهد و الجامعات الشيء الذي ميزهم عن غيرهم من المناضلين من مختلف الشرائح الاجتماعية حيث ان مثل هذا التنظيم الطلابي لم يكن له وجود قبل سنة 1900.[1]

و في ظل الظروف العنصرية التي ميزت الوسط الطلابي بين الجزائريين و الاوروبيين ,انطلقت اولى بوادر النشاط الطلابي , خاصة و ان الاحوال خلقت جوا لعب دورا هاما في بلورة جملة من المطالب دأب الجامعيين على تجسيدها في هيئات بالحياء الجامعية للتحسين من اوضاعهم الاجتماعية, و تطورت مثل هذه الهيئات الى جمعيات طلابية عمدت الى العمل في المؤسسات الجامعية .مما ادى الى ظهور سنة 1931 ما يسمى بالطلبة الجزائريين و هي هيئة ينظوي تحتها كل الطلبة المسلمين الجزائريين و اتخذت هذه الجمعية الطلابية الجزائر مقرا لها.بعد ان كانوا ضمن التجمع العام للمسلمين لشمال افريقيا حيث ظهر كتنظيم سنة 1919 , ولقد ورد عن الاستاذ احمد مريوش ان العمل الطلابي بدايته تعود الى ميلاد الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين الذي أضحى فيما بعد اهم فصيل للثورة التحريرية[2], الى غاية فترة ما بعد الحرب العالمية كان العمل الطلابي بعيدا عن السياسة.

تجدر بنا الاشارة هنا الحديث على اهم الاسباب التي ادت بالطلبة الجزائريين الى الهجرة الى الخارج فزيادة عن نقص مرافق التعليم و نوعيته ,كان لقانون التجنيد الاجباري سنة 1912 تداعيات جمة, فكانت الوجهة المفضلة لجل الطلبة هي ,المعاهد و الجامعات العربية حيث يتلقون دروسا في شعبتين رئيسيتين : العلوم الوضعية و علوم الشريعة ,مما صقل الشخصية الوطنية و العقائدية لدى هذه الفئة من الطلبة و ارسيت مبادئ النهضة و التجديد لديهم متأثرين بالعلاقات الاخوية و الحنين الى الخلافة الاسلامية .

---

(1) احمد مريوش , المصدر السابق.

(2) نفسه .

قلة هم الطلبة الجزائريين الذين توجهوا للدراسة في الجامعات الفرنسية بادئ الأمر , الا ان هذه الفئة من الطلبة تأثرت بصفة خاصة بالنمط الحضاري الاوروبي و طريقة عيشهم ,خاصة بما كان يسود الوسط الجامعي الذي لم يألفه الطالب الجزائري من قبل , و عليه وجد الطالب الجزائري نفسه في فسحة و لو ضيقة من الأمل و الحرية في التفكير و الحركة مما ولد لدى هذه الفئة قبس من هواجس التحرر و الرقي و هذا ما ذهب اليه الكاتب الفرنسي شارل آندري جوليان *(Charles-André Julien)* فكان يرى ان باريس كانت مصدر الهام للطلبة العرب مما ادى بهم الى الالتحاق بمعاهدها و مدارسها.

و أكد البشير الابراهيمي دور و مساهمة الطلبة المهاجرين في بعث و إحياء حركة النهضة الفكرية و تجديد روحها و لقد عبر عن ذلك بقوله:" رجع أفراد من الإخوان الذين كانوا بالشرق مهاجرين أو طلابا للعلم, و جماعة من تلامذة الأستاذ ابن باديس الذين أكملوا معلوماتهم بجامع الزيتونة ,تنطوي نفوسهم من أستاذهم على فكره و روحه, و من جامع الزيتونة على متونه و شروحه , فاستقام الصدد , و انفتح السدد , و تلاحق المدد (...) و كانت تلك بداية النهضة بجميع فروعها , و الثورة الفكرية بتمام معانيها ".[1]

و في خضم هذه الاوساط العلمية و الحركية الطلابية النشطة و الاحتكاك بمختلف التيارات الثقافية و بعض الاحداث السياسية ناهيك عن الحرب الكونية التي غيرت منحى اتجاهات و معطيات فكرية كثيرة كل هذا رسم افق جديد للطلبة الجزائريين تمخض عنه تشكيل فضاء ذو ميزات خاصة يضم كل الطلبة المسلمين على غرار باقي الفضاءات الخاصة بالطلبة الاجانب , في كامل المؤسسات التعليمية سوآءا كانت بالدول العربية او بالجامعات الفرنسية ,فتقرر عقد مؤتمرات للطلبة المسلمين لطرح و مناقشة القضايا الفكرية و الثقافية الخاصة بمنطقة شمال افريقيا, و من بين اهم هذه المؤتمرات نذكر:

---

(1) أحمد طالب الإبراهيمي: أثار الإمام محمد بشير الإبراهيمي 1954/1940, دار الغرب الإسلامي، بيروت،1997, ج 5 , ص 140.

1- : المؤتمر الأول في تونس من 20 أوت إلى 24 أوت1931

تطرق المؤتمرون فيه النقاط عديدة أهمها :أحوال التعليم المهني و التعليم العالي , تعليم و نشر اللغة العربية ,تعليم المرأة.

2- : المؤتمر الثاني في الجزائر من 25 إلى 28 أوت 1932

انعقد المؤتمر بنادي الترقي و ترأسه فرحات عباس و نوقشت عدة نقاط أهمها :

خلق آليات جديدة و إيجاد سبل نشر اللغة العربية , تطوير مناهج لأجل تدريس التاريخ الإسلامي ,بلورة حلول لتوظيف الطلبة المتخرجين.

3-: **المؤتمر الثالث في باريس أواخر ديسمبر 1933**

و تطرق المؤتمرون إلى نقاط عديدة نذكر منها :قضية تحضير المعلمين لدول شمال إفريقيا , إعداد بعثات طلابية الى المشرق و الغرب , توسيع نطاق التعليم الأولي (الابتدائي) بالمغرب, التأكيد على أن اللغة العربية هي اللغة الرسمية ,تعديل و تطوير التعليم بجامعتي فاس و الزيتونة.

4-: المؤتمر الرابع بتونس في الثاني من شهر اكتوبر سنة 1934

كان لهذا المؤتمر وضعية خاصة حيث دارت اشغاله حول بعض التوصيات الخاصة الحركة الوطنية المغاربية , العمل من أجل وحدة الشمال الإفريقي ,إحياء تاريخ الشمال الافريقي و نشر اللغة العربية , توحيد الشباب المغاربي , تطوير و نشر التعليم العربي الحر.

5-: المؤتمر الخامس بتلمسان من الأول إلى العاشر من سبتمبر 1935

اعتبر هذا المؤتمر الاخير في تاريخ مؤتمرات الحركة و ذلك مرده أن المؤتمر السادس منع لما اتجه اغلب الطلبة الى النضال السياسي , ولقد حضر المؤتمر الخامس ما يزيد عن الفي مشارك, و بذل البشير الابراهيمي مجهودات

جبارة الى جانب كل من محمد غرسي , محمد الزميرلي , حميد بن ونيش , قدور ساطور و مفدي زكريا. و تمت فعاليات المؤتمر بنادي السعادة و النادي الإسلامي و كلاهما تابع لجمعية العلماء بتلمسان , و لقد مثل الاخوة التونسيين كل من الحبيب تامر , علي البلهوان , عثمان الكعاك ,الشاذلي النيغر, الصادق المقدم و محمد المالقي , اما البعثة المغاربية فتمثلت في : ابراهيم الكتاني و مولاي أحمد الوزاني طالب بباريس.[1]

الواضح أن مطالب المؤتمر الخامس لم تخرج في مضمونها عن سابقاتها ,و دارت فعالية المؤتمر حول نقاط كثيرة اهمها :ترسيم اللغة العربية , مطالبة حكومة الاحتلال الفرنسي بتدريس تاريخ الشمال الافريقي و اجبارية المادة في الامتحانات , دعوة جمعية العلماء الجزائرية الى عقد جلسات دورية و التنسيق فيما بينها بهدف توحيد نمط التعليم و خاصة الكتب المدرسية.

6-: المؤتمر السادس بالمغرب 21 إلى 27 أكتوبر1936

كان من المفروض ان ينعقد هذا المؤتمر بمدينة فاس حيث قامت السلطات الفرنسية بمنع انعقاده فقامت بعرقلة النشاط الطلابي و بحسب اقوال الدكتور أحمد مريوش فانه تقرر فيما بعد نقل اشغال المؤتمر الى مدينة تطوان بعد الجهود الكبرى لعبد الخالق الطوريس الذي تمكن بصعوبة من اقناع السلطات الاسبانية و حضر المؤتمر كل من خليفة السلطان الحسن بن المهدي و ممثل السلطات الاسبانية و غاب عن اشغاله كل من الطلبة المغاربة و الجزائريين لمنعهم من طرف السلطات الفرنسية من الحضور, اما انشغالاته فقد تمثلت في: تقوية الاواصر بين المغرب العربي و العالم الاسلامي ,تعميم التاريخ المشترك للشمال الافريقي و توحيد البرامج التعليمية , دعم الجهود المبذولة لتطوير النهضة الفكرية , تكوين انسان المغرب العربي فكريا.

---

[1] أحمد مريوش : المصدر السابق.

و كان لهذا المؤتمر الاثر الكبير على المؤتمرين ما أزعج السلطات الفرنسية. لقد قيمت الاستعلامات الفرنسية نشاط الطلبة في مؤتمر تيطوان بأنه قوى من روابط التعاون الثقافي و السياسي بين المناضلين الدستوريين ومناضلي مسلمي شمال إفريقيا.

يعتبر مؤتمر تطوان آخر مؤتمرات طلبة مسلمي شمال افريقيا , الا انه انطلقت روح جديدة و ارادة قوية و سواعد شابة رغم ان احداث الحرب العالمية الثانية قد أدت الى تجميد اشغال و نشاطات جمعية الطلبة , خاصة بعد أحداث مجازر الثمن ماي 1945 حيث تشير بعض المعلومات ان عدد الطلبة لم يكن يتجاوز وقتها الثلاثين طالبا. مع نهاية الأربعينات و في أوائل سنة 1950 تم إعادة بعث النشاط الطلابي ، و تجسد ذلك في اجتماع مشترك في تونس ، توصل فيه المؤتمرون إلى رسم برنامج جديد للم شمل طلبة شمال إفريقيا الذين يزاولون دراساتهم في الجامعات و المعاهد الفرنسية و العربية كلها و ذلك لتمتين الروابط و الدعوة إلى تغيير التسمية الى " الاتحاد الإسلامي للطلبة المغاربة."

و مع التطور الذي عرفه التنظيم و ظهور الائتلاف الوطني خاصة إثر ميلاد الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية و احترامها في أوت 1951 ، تصاعدت اهتمامات جمعية الطلبة بالقضايا المصيرية ، و تجلى ذلك في جلسة تشاورية عقدت بقاعة الأفراح بالجزائر العاصمة في 9 ديسمبر1951 و قد عالج الطلبة في هذا اللقاء مشاكلهم الخاصة، كما تناقشوا في التقريرين الأدبي و المالي للسنة الفارطة، كما احتوى اللقاء على طرح جانب من القضايا السياسية و الثقافية تخص مصير القضية الوطنية.

و بعدها سلطت الإدارة الفرنسية جل اهتماماتها لإبطال مفعول العمل الطلابي الذي أصبح جزء لا يتجزأ من عمل الأحزاب السياسية في أقطار المغرب العربي بعد تبلور الاتجاه التحريري للطلبة و الذي توافق إلى درجة كبيرة مع دعاة تيار الجامعة الإسلامية، و لذلك بادرت .الإدارة الفرنسية من جديد إلى إبطال عقد المؤتمر

الطلابي المزمع عقده في تونس سنة 1952و برغم ذلك كله، فإن النشاط الطلابي كان أقوى من قرار المنح الفرنسي بعد تعميق التعايش بين طلبة مسلمي شمال إفريقيا و المنظمات الطلابية العالمية بما فيها جمعية الطلبة الفرنسيين، و لذلك فقد احتضنت الجزائر العاصمة مجددا مؤتمر الطلبة في 23 جويلية 1952 و خلص اللقاء إلى الإعلان عن ميلاد " الاتحاد الإسلامي للطلبة المغاربة " الذي اقترحه لقاء تونس سنة1950 .

و قد جعل هذا الاتحاد من الجزائر العاصمة مقرا له بعد أن اختير على رئاسته أمير محمد بحضور معيزة الطاهر ممثلا عن جامعة تولوز ،و زريق قاسم ممثلا عن الطلبة الزيتونيين الجزائريين و محمد الأطرش ممثلا عن طلبة القرويين بفاس و قائد الطاهر و عبد الحميد الضيف ممثلا عن سائر المدارس و الثانويات بالجزائر و قسنطينة.

لقد أشار فرحات عباس من خلال تطرقه إلى إسهامات الطلبة في العمل الوطني بقوله": ساهمت سياسة الزج و الاضطهاد في بث بذور الاستقلال الوطني في جميع أنحاء البلاد دون أن تشعر أو تعي، و كذلك في الكليات و الثانويات خاض الشباب غمار الحركة الوطنية فاتسعت الشقة بين الآباء و الأبناء نعم فلكم جيل أخلاق[1] " .

إن الدارس لأطوار نمو نشاط الحركة الطلابية الجزائرية في الداخل كما في الخارج بمقدوره الاستنتاج أن معظم اهتماماتها كانت بالدرجة الأولى مركزة حول هموم المجتمع الجزائري و قضاياه الثقافية و تاريخ الأمة ناهيك عن القضايا السياسية و الإجراءات التعسفية لإدارة الاحتلال، أن ميلاد الجمعية الودادية للطلبة المسلمين لشمال إفريقيا لا شك فيها انه كان بداية الفرز الحقيقي بين صنفين من الطلبة ،التغريبين و الوطنيين .[2]

---

[1] فرحات عباس : حرب الجزائر وثورتها، ليل الاستعمار، تر: أبو بكر رحال، مطبعة فضالة المغرب الأقصى, المحمدية , المغرب , د.ت , ص 246.

[2] أحمد مريوش : المصدر السابق .

و عليه ,فإن مطالب الحركة الطلابية عبر مراحلها المختلفة كانت تصب في قضايا اللغة العربية، و المطالبة بإجبارية تعليمها و تنظيم أطوارها، و لعل هذا المطلب يعبر بحق عن استرداد و ترسيم الهوية الوطنية التي أوشكت أن تمحى من جهة، و من جهة أخرى العناية باللغة يعني بالتأكيد العناية بالدين الاسلامي.

كانت اللقاءات الطلابية سواء في الجزائر أو تونس أو المغرب الأقصى، فرصة هامة لتبادل الآراء و تدارس وجهات النظر في قضايا مصيرية خاصة منها الظاهرة الاحتلالية، بعدما أضحت الحركة الطلابية أكثر دعما من طرف رجال السياسة و الدين.

بعد اندلاع ثورة التحرير التحق بها معظم الطلبة الجامعيين الجزائريين و سقط منهم العدد الكثير في ساحات الوغى و هم الذين كان بإمكانهم الالتحاق بركب الحضارة و التطور و حياة الترف و البذخ لكن الوازع الديني و الاخلاق الحميدة و عادات و تقاليد ضاربة بجذورها في أعماق التاريخ كانت و لا زالت الدفة التي توجه كل ابناء هذه الامة العظيمة لتحيا و يحيا كل من حولها.


الفصل الثالث
النخبة الجزائرية المفرنسة

الفصـــل الثالث : النخبــة الجـــزائرية المفـــرنسة

المبحث الأول : مفهوم النخبة الجزائرية المفرنسة

حتى نتمكن من الإلمام و لو بصورة بسيطة بمفهوم النخبة المفرنسة, حري بنا أن نوضح فحوى عبارة النخبة أولا لما لهذه الكلمة من اعتبارات , رغم أن دراسة النخبة تعني إلقاء الضوء على مكون جوهري في صناعة الوضع السياسي و الثقافي و حتى الديني في أي مجتمع كان.

رغم أن ظهور مصطلح النخبة ليس بالجديد فهو ضارب في القدم حيث إن أفلاطون كان مصمم على ضرورة أن تقود المجتمعات طبقة من النابهين ,فضلا على أن النخب وجدت قديما في كافة المجتمعات فهناك كهنة المعابد و السحرة المصريون والذين إلى جانب الفرعون كانوا يمثلون صفوة المجتمع المصري بصفتهم مندوبين مفوضين من قبل الملوك لخدمة الآلهة في المعابد , و يذهب فصيل من أصحاب الاختصاص إلى اعتبار أن الأنبياء كذلك هم من صفوة المجتمعات التي بعثوا فيها , إلى جانب قادة الجيوش, الأمراء والحكام وعلى هذا المنوال يمكن التأكيد على أن ظاهرة النخبة ظاهرة اقترنت بالإنسان منذ سيدنا آدم عليه السلام, وإن اختلفت مظاهرها ونوعياتها , فإن النخبة في حد ذاتها هي مقترنة بسياق زماني وسياق مكاني زد على ذلك ما ترتب من ظواهر أدت الى بروز النخب و هو الشيء الذي يحدد نوعها ودورها .... إلخ.

أما الدكتور محمد مالكي يعتبر مصطلح النخبة من بين المصطلحات الأكثر رواجا في المناقشات و المعاملات و الكتابات ليس مع اقتحامه ميدان الإستخدام الأكاديمي والفكري في العقد الثالث من القرن التاسع عشر (1832) كما قدر ذلك بوتومور(*Tom Bottomore*) في قاموس اكسفورد ولكن منذ تشكل الفلسفة السياسية وتكون إدراك الظواهر مناط اهتمامها ففي القديم وكما سبقت الإشارة إليه يؤكد الدكتور مالكي على أن أفلاطون دافع عن لزوم قيادة المجتمع من طرف شريحة من العقلاء و النبهاء حددها في طبقة الفلاسفة أما الكونت الفرنسي سان سيمون (*Claude Henri de Rouvroy, comte de Saint-Simon*) يعتبر أول

من أدرج السياق العام لدراسة الصفوة حيث رأى أن المجتمع عبارة عن هرم توجد في قمته صفوة سياسية و قال أن هذه الصفوة حقيقة لا مفر منها لأي مجتمع كان وأن تقويم نظام حكم ما لا يتأتى سوى باستبدال النخبة و عليه يستوجب اسناد السلطة إلى العلماء و المبدعين وكبار رجال الصناعة , فصاحب النظرية مقتنع بضرورة اعتماد النخبة على الكفاءات وليس النسب الأسري[1]

غير أن الاستخدام الأول للعبارة (النخبة) كان في القرن السابع عشر لتمييز البضائع ذات الجودة و النوعية الممتازة ثم ما فتأ أن توسع ليشمل الجماعات العليا مثل الوحدات الحربية و العسكرية أو المناصب العليا من السمو و النبالة قبل أن يتم تأصيله في بعض اصول البحوث السياسية و الاجتماعية مع حلول القرن التاسع عشر اما الفضل كله في هذه القفزة العلمية لمفهوم النخبة فيعود لفريق من العلماء والمفكرين من أمثال باريتو (*Vilfredo Federico Damaso* Pareto) و توماس(*William Isaac* Thomas) ، وتوم بوتومور (*Tom Bottomore*) ، ورايت ميلز (Charles *Wright Mills*)، وروبرت دال. (*Robert* Alan Dahl)[2]

لقد كان تعريف النخبة خلال مدة ليست بالقصيرة موضع امتناع و رفض من قبل الفكر الماركسي الذي اضفى عليه عدة مصطلحات أخرى تخدم أكثر قضيته الايديولوجية بالأخص لدى المفكر الشيوعي أنطونيو غرامشي (*Antonio Gramsci*), أما في الجانب الآخر في ما سمي بالقطب الديمقراطي فقد عمد إلى توظيف عبارة المثقف للإشارة للنخبة بكل اطيافها, اما ابو العلاء المودودي ابو الصحوة الاسلامية في الهند فهو من استعاد فكرة الدعاة لوصف المثقفين و المدربين و المختصين الملتزمين بالدين .

(1) محمد نبيل الشيمى : النخبة في العالم العربي , دراسة وصفية نقدية , صحيفة الحوار المتمدن , العدد: 3113 ليوم :2010/09/02.

(2) نفسه.

الظاهر ان تاريخ النخبة عرف تغييرات و تعديلات على مراحل ظهورها, فليس من الصحيح تعميم مفاهيم تحليلية تكون صالحة لكل الاوقات و الازمنة لان ادوار النخبة تتغير وفق متطلبات المجتمع و ظروفه الراهنة , و لا يجوز اضفاء نفس صفات مفاهيم النخبة لمجتمع ما لمجتمع آخر في زمن محدد.

أما المفهوم الحديث للنخبة فيرى الكثير من المفكرين ان مرده الى الباحثين الايطاليين موسكا (*Gaetano Mosca*) و باريتو (*Vilfredo Federico Damaso Pareto*) من خلال اعمالهما في مجال علم الاجتماع في بداية القرن العشرين , حيث أثبتا ان المجتمعات في أغلب الاحيان تنقسم الى شريحتين : فالأولى هي الحاكمة اما الثانية تكون محكومة[1].

و عليه فكلاهما يرى بان النخبة هي القلة من الاشخاص الذين يمتلكون شروط موضعية كالقوة و الثروة وشروط ذاتية تتمثل في الموهبة بحيث تضفي عليهم صفات التميز عن باقي المجتمع.

إلا أن العالم لاسويل (*Harold Dwight Lasswell*) فيرى بأنها: الطبقة التي تتميز بقدرتها على التأثير أكثر من غيرها مع حصدها لنتائج ملموسة بفعل هذا التأثير. في حين يركز رايت ميلز (*Charles Wright Mills*) في دراسته على مجتمعه الامريكي حيث اقام رابطة قوية بين النخبة و حيازة امكانية اتخاذ القرار , بعد ان خلص الى وجود عدد من المؤسسات تسيطر على مسار بلده حصرها المؤسسة العسكرية, الهيئات السياسية و الشركات الكبرى, و هذا من وراء نخبة تسيطر داخل هرم على صنع القرار داخل هذه المؤسسات.

أما المعاجم و القواميس فنجدها متباينة في تحديد مفهوم النخبة , فالقواميس الانجليزية تعرفها على انها: أقوى مجموعة من الناس في المجتمع و تحضي بمكانة متميزة وذات اعتبار في حين نجد القواميس الفرنسية تحدثت في

[1] محمد نبيل الشيمى : النخبة وتأثيرها في تكوين واستقرار المجتمعات وتشكيل نسق الحكم والفكر, تقديم: المركز الديمقراطي العربي تم الاطلاع عليه يوم 2017/03/21 على موقع : http://democraticac.de/?p=26489

هذا الشأن عن أشخاص وجماعات تتيح لهم إمكانية امتلاك القوة أو التأثير ، المشاركة في صياغة تاريخ جماعة معينة عبر وسائل وسبل عديدة (اتخاذ القرارات ، اقتراح الأفكار ، إبداء المشاعر).

ويرى أن هناك مجموعة من الاعتبارات الذاتية (الذكاء ، الإبداع ، الاجتهاد ، الطموح) والموضة (الإمكانيات الاقتصادية والعلمية والوظيفية) التي تجعل النخبة . باعتبارها أقلية تتحكم في فئات عريضة من المجتمع ، ولعل أبرز ما تتميز به هذه الأقلية هو تلك القوة أو القدرة على التأثير على الآخرين فتقنعهم أو تغريهم أو تهددهم وتنتهي إلى توجيههم وقيادتهم والاستفادة منهم حسب أهداف معينة مسطرة مسبقا لغاية ما.

بالرغم من استحالة تحديد مفهوم محدد و نهائي للنخبة بالنظر لتعدد التعريفات كما راينا سابقا الا انه بإمكاننا القول ان المصطلح يهتم بمجموعة من الاشخاص الذين يتمركزون في مواقع عليا سواء كانت اجتماعية , سياسية او اقتصادية او مجتمعة ضمن مجتمع حيث يصبحون من صناع القرار في شتى المجالات او التأثير في صياغته , و بغض النظر عن درجة تطور و تحضر المجتمع , فمن الطبيعي وجود نخبة تحظى بأهمية كبرى على مستوى مواقع قيادته العليا.[1]

كما نرى انه من المهم ان نلفت الانتباه الى ان تصنيف مركز انماط الصفوة متباين من حيث المكانة والقوة من مجتمع إلى آخر كما يختلف في المجتمع الواحد من فترة إلى أخرى ففي المجتمعات القديمة كانت الشجاعة والفروسية و كثرة الاولاد والشعر والثروة وحدها تشكل قيم و إمكانات الصفوة اما في مجتمع أكثر تطوراً وتحضراً يصبح أهل العلم والرأي والحكمة والفراسة هم صفوة المجتمع و تحت رعايتهم ومشورتهم تجري عملية ربط و حل القضايا .

[1] محمد نبيل الشيمى : نفس المصدر .

النخبة لغة :

وقد جاء في القاموس المحيط: نخب ينخب نخبا: أخذ نخبة الشيء، أي: المختار منه – الصيد: نزع قلبه، ويقال: جاء في نخبة أصحابه: أي في خيارهم. وجاء ايضا: انتخب الشيء: اختاره. والنخبة: ما اختاره منه. ونخبة القوم ونخبتهم :خيارهم. قال الأصمعي: يقال هم نخبة القوم، بضم النون وفتح الخاء. قال أبو منصور وغيره: يقال نخبة، إسكان الخاء، واللغة الجيدة ما اختاره الأصمعي .ويقال: جاء في نخب أصحابه، أي في خيارهم.

وجاء في لسان العرب لابن منظور، أن كلمة نخبة مصدرها الفعل انتخب وانتخب الشيء، أي اختاره، والنخبة ما اختاره منه، ونخبة القوم، ونخبتهم خيارهم، ويقال: نخبة القوم (بضم النون وفتح ال خاء) وإذا قيل جاء في نخب أصحابه، أي خيارهم.[1]

وقد أشار معجم المصطلحات السياسية والدولية، إلى أن (*Elite*) يقابلها بالعربية الصفوة، أي: عُلية القوم، وهم أقلية ذات نفوذ تحكم الأغلبيةً، وتلعب هذه الصفوة دورا قياديا، وسياسيا لإدارة جماعاتهم من خلال الاعتراف التلقائي بهم بصفتهم.[2]

وفي اللغة الإنكليزية أشتق مفهوم النُّخبة (*Elite*) اشتق من الفعل اللاتيني (*Eligere*) وتعني (يختار)؛ أي العنصر المختار. وجاء في قاموس أوكسفورد أن النُّخبة" :*Elite* أقوى مجموعة من الناس في المجتمع ولها مكانتها المتميزة وذات الاعتبار"[3]. ويتضح عبر هذه الرؤية اللسانية أن النُّخبة تشير إلى الفئة الاجتماعية التي

---

[1] ابن منظور: لسان العرب، ، دار صادر، بيروت1955، المجلد الأول, ص.ص751, 752.

[2] علي أسعد وطفة : في مفهوم النُّخبة , مقاربة بنائية ,نشرت يوم :السبت, 24 يناير 2015 , على موقع أنفاس نت , تم الاطلاع يوم : 2016/11/12 , على : 14:30 http://anfasse.org/2010-12-30-16-04-13/2010-12-05-17-29-12/5842-2015-01-24-15-35-56

[3] نفسه.

يعتقد أنها الأفضل والأهم بين غيرها بفضل امتلاكها السلطة أو الثروة أو مهارات عقلية مثل: النُّخبة الحاكمة، والنخبة المثقفة[1] .

وجاء في القواميس الفرنسية، أن النُّخبة أقلية متميزة عن الجماعات التي تنتمي إليها بامتلاكها لخاصية التفوق والقدرة بما تمتلكه من قدرات وخصائص وسمات ومميزات، ويعرف قاموس روبرت الفرنسي ***Le Robert*** النُّخبة بأنها "مجموعة من الأشخاص المتفوقين في الممارسة الاجتماعية في حقل اجتماعي معين، وهم يمتلكون القدرة على التأثير في المجال السياسي والاجتماعي".[2]

ويرى كثير من الباحثين أن استخدام كلمة النُّخبة (*Elite*) حديث نسبيا في اللغتين الفرنسية والإنكليزية، حيث استخدمت هذه الكلمة لأول مرة في القرن السابع عشر- كما يورد بوتمور(*Tom Bottomore*) في كتابه الصفوة والمجتمع[3]. ومن ثم استخدم هذا المفهوم في عام 1823 لوصف النُّخب الاجتماعية وأوضاع الحياة الطبقية في أوروبا بصورة عامة، ومن ثم شاع استخدام هذه الكلمة بين صفوف المفكرين والباحثين في نهاية القرن التاسع عشر ليعبر عن الفئات الاجتماعية الأكثر تميزا في المجتمع تلك التي تحتل مكانا مميزا في الهرم الاجتماعي ولاسيما في المجالات السياسية والعسكرية والثقافية.[4] و تأسيسا على ما تقدم يمكن القول: إن النُّخبة "*Elite*" "تعبِّر عن طبقة معينة أو شريحة منتقاة من أي نوع عام. وهي تعني أيضا الأقلية لمنتخبة

---

[1] The Oxford English Dictionary, Vol .III , Great Britain, Oxford University Press, 1969. p 90.

[2] Akoun André et Autres. Dictionnaire de sociologie, Le Robert, seuil, France, Editions: les presses de Mama, Octobre 1999, p 175.

[3] علي أسعد وطفة : المصدر السابق.

[4] نفسه.

أو المنتقاة من مجموعة اجتماعية، تمارس نفوذا غالبا في تلك المجموعة، بفضل مواهبها الفعلية، أو الخاصة المفترضة". [1]

يشير الأستاذ : معن حمدان على في دراسته ‘‘نظرية النخبة والسلطة السياسية’’ [2] في شأن المدلول اللغوي لمصطلح النخبة في القواميس العربية نجد أن انتخب الشيء اختاره والنخبة ما اختاره منه ونخبة القوم ونخبتهم خيارهم والانتخاب . الانتزاع . والانتخاب . الاختيار والانتقاء ومنه النخبة وهم الجماعة تختار من الرجال فتنتزع منهم ومن هنا تعرف النخبة بأنها جماعة (أو جماعات) من الأفراد الذين لهم خصائص مميزة تجعلهم يقومون بأدوار أكثر تميزاً في حياة مجتمعاتهم ومؤثر هذا التميز في الأدوار يجعل لهم تأثير بالغ على مجريات الأمور وتوجيهها كما ينعكس في تأثيرهم على عمليات صنع القرار المهمة في مختلف مجالات الحياة.

أما الدكتور منير السعيداني فيرى في دراسته النخب الفكرية العربية : بحث في إجرائية المفهوم في قضايا تسمية المصطلح [3], إن المعاني الاشتقاقية للفظ نخبة في لغات مختلفة تدل على الندرة والقلة إذ هي تحيل على الاصطفاء والاختيار والانتخاب والقطف والانتزاع من رأس الشيء أو من أساسه وتمتد تلك الإحالة إلى ما يمثل خصيصة الشيء الأكثر تمييزاً له عما عداه وعلى أساس التميز والنقاوة والصفاء والرفعة وعدم الاختلاط مع ما هو عام ومبذول ومبتذل وعادي ويضيف أنه في العربية يستخدم مصطلحان في ما نحن بصدده وأولهما النخبة من نخب الرجل الشيء نخباً وانتخبه أي اختاره وانتقاه وأخذ نخبته وتأسيساً على ذلك تكون النخبة وجمعها نخب المختار من كل شيء بحيث تجمع النخبة وجمعها نخبات المنتخبين من الناس في مجال أما ثاني المصطلحين هو

---

(1) شاكر النابلسي : السياسة بين الجماهير "الدهماء" والنخبة , الوطن، 2013/11/8 على الموقع الرسمي للصحيفة , تم الاطلاع يوم:2017/2/21 على 17:00 .
http://www.alwatan.com.sa/Articles/Detail.aspx?ArticleId=18871

(2) محمد نبيل الشيمى: المصدر السابق.

(3) نفسه.

الصفوة وهو ينحدر اشتقاقاً من صفا فلان القدر أي أخذ صفوها واستخلص ما فيها فالمصطفى هو المختار والصفى هو النقي من كل شيء.

أما في غير اللسان العربي فأصل الاشتقاق كلمة النخبة في الفرنسية يعني قطف واختيار وجمع... أما ويكيبيديا الموسوعة الحرة تعرف النخبة على النحو التالي :

" النخبة مفردة جمعها (النخب) وتعبر كلمة النخبة عن طبقة معينة أو شريحة منقاه من أي نوع عام. كما أن هناك مصطلح التزاوج الانتخابي في علم الأحياء .وهي تعني أيضاً الأقلية المنتخبة أو المنتقاة من مجموعة اجتماعية (مجتمع أو دولة أو طائفة دينية أو حزب سياسي) تمارس نفوذاً غالباً في تلك المجموعة عادة بفضل مواهبها الفعلية أو الخاصة المفترضة ". [1]

والنخب تختلف من عسكرية إلى سياسية وثقافية ودينية وعلمية , وقد تمتد الى كل مجالات الحياة حتى ما لم يعرفه الانسان بعد.

للنخب صفات تتسم بها وأهمها :[2]

- قلة العدد نسبياً باعتبارهم الصفوة ومن ثم فهي متجانسه متحدة وواعية وتتميز بخاصية الحفاظ علي ذاتها.
- التمتع بمكانه اجتماعية مرموقة (السياسيون ورجال الدين والمثقفون ورجال الأعمال.
- الإمساك بمصادر القوة السياسية (النخبة السياسية) ولها دور فاعل في صناعة السياسة وتنفيذ برامجها.
- القدرة على صنع القرارات.
- توجيه المواطنين إلى القيم الاجتماعية التي تؤمن بها.
- تشكل عناصرها وتؤيدها لتولي المناصب المهمة في المجتمع (مقاليد السلطة).

---

[1] ويكيبيديا الموسوعة الحرة:تم الاطلاع يوم: 2017/01/28 على 15:30
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%86%D8%AE%D8%A8%D8%A9

[2] محمد نبيل الشيمي: المصدر السابق.

– القدرة على توجيه المشاركة في توجيه النشاط الاقتصادي من خلال السيطرة على وسائل الإنتاج.

– التأثير في العقيدة من خلال الدعاة أو النخبة الدينية.

– القدرة على تعديل سلوكيات المواطنين وترويج الأفكار التي تخدم النظام الحاكم وإضفاء الشرعية على أدائه وهناك من يرى في النخب أنها خليط فئات وتناقضات. تدافع عن مصالح كما تدافع عن أفكار وتوجهات.

– الاستقلالية بمعني أنها لا تسأل عن أفعال أمام أي طرف أخر فهي وحدها تتولي حسم القضايا وحل المشكلات حسب مصالحها وتصوراتها

النخبة المثقفة :

للتعبير عن النخبة المثقفة عادة ما يلجأ المفكرون الى استخدام عددا من المصطلحات أهمها: مصطلح "الأنتلجنسيا"[(*)] بصبغته الماركسية، ومصطلح " المثقف العضوي "وفقا لنظرية غرامشي (*Gramsci*)، ومصطلح المفكر الرسولي" صاحب الرسالة وفقا لمصطلح إدوارد سعيد، ومصطلح "المفكر النقدي" وفقا لمنظور نيتشة *(Friedrich Nietzsche*) وسارتر(*Jean-Paul Sartre*). ومن هذه الزاوية ينظر جوليان بندا (*Julien Benda*)إلى النخبة من المثقفين "باعتبارهم نخبة ضئيلة من الملوك الفلاسفة من ذوي المواهب الفائقة والأخلاق الرفيعة الذين يشكلون ضمير البشرية(...) ,ويعرف الجابري نخبة المثقفين بأنهم يشكلون الفئة الواعية التي اكتسبت، بحكم ثقافتها، موضوعية التفكير ووضوح الرؤية، والقدرة على التحليل والمحاكمة المنطقية، مما يجعلهم في حصن من أن تنطلي عليهم أساليب البرجوازية ومن أن يخيفهم تحكم المتسلطين، إن المثقفين هؤلاء،

[(*)] مصطلح أطلقه الروس على المثقفين قبل ثورة عام 1917 م والشيوعيون يستخدمونه الآن لوصف الطبقات المثقفة البورجوازيّة في الدول الرأسماليّة والمصطلح مشتق من الأصل اللاتيني Intelliyers ومعناه الفهم.

هم وحدهم القادرون على تصحيح تلك الصورة في الوعي الجماهيري، ورسم الطريق الصحيح لتحقيقها في حيز الواقع الملموس.[1]

ويضم تعريف النُّخب المثقفة الفئة الأكثر تأثيرا في مجال الانتاج الثقافي والرمزي في المجتمع، ولاسيما الكتاب وأساتذة الجامعات والأدباء والشعراء والمفكرون والمنظرون والإعلاميون .ويتسم هؤلاء بطاقاتهم الانتاجية في مجال الفكر والثقافة كما يتميزون بتأثيرهم الكبير في الروح المعنوية والثقافية لشعوبهم. وغالبا ما يميز الباحثون بين النخبة الثقافية والمثقفين، فالمثقفون يشكلون طبقة واسعة من العاملين في حقل الثقافة ولكن النخبة منهم ترمز إلى أكثرهم تميّزا وتأثيرا وحضورا في الحياة الاجتماعية والثقافية للمجتمع. وهذا يعني أن النخبة الثقافية تتشكل من كبار الأدباء والكتاب والمؤرخين والشعراء والفنانين الذي يلعبون دورا مميزا وحيويا في مجال اختصاصاتهم الفكرية والمعرفية.

النخبة المثقفة الجزائرية:

لقد عرفت الجزائر عبر تاريخها المشرق نخبا عديدة ربما حتى اكثر من ما عرفه الغرب نفسه , فيكفينا قراءة الياذة الجزائر لصاحبها الشاعر الفذ مفدي زكريا رحمه الله حتى نتعرف على كل هذه النخب التي سطرت تاريخ الجزائر بعزة و افتخار عكس ما يروج له المحتل , فالقديس اوغستين (*Aurelius Augustinus Hipponensis*) و المجدد المسيحي دونات الكبير(*Donatus Magnus*) صاحب المذهب الدوناتي خير دليل , لم ينقطع العطاء رغم سقوطها تحت براثن الاحتلال فظهرت وقتها نخبة من خيرة ابناء هذا الوطن من امثال حمدان خوجة و بوضربة و الامير عبد القادر و الكثير الكثير من امثالهم لا يسع بنا المقام لذكرهم كلهم , الا ان هذه النخبة أفل نجمها رغم كل محاولاتها فبعد انتهاء الاحتلال من بسط سيطرته على كامل الوطن تكون

[1] محمد عابد الجابري : مفهوم الثقافة ... وقاموس الخطاب العربي المعاصر, 2007/12/11 , مركز دمشق للدراسات النظرية وحقوق الإنسان تم الاطلاع يوم : 2017/03/26 على 21:35. http://www.mokarabat.com/s3011.htm

قد انتهت احدى اهم مراحل هذه النخبة الجزائرية التي اصطلحنا على تسميتها بالتقليدية و سبب اختفائها يعود الى تغيير في التركيبة و البنية الاجتماعية للمجتمع، حيث تغيرت وظيفتها و مكانتها , ونتيجة لفشل النخب التقليدية و ضعفها أمام السياسة الاحتلالية التي فاقتها قوة و سلطة , ظهرت نخبة جديدة ذات الرؤية المختلفة للحياة و المطالب الجديدة ،الا ان هذه النخبة نفسها منقسمة الى نخبتين , الاولى متكونة تكوينا تقليديا في المدارس العربية و المساجد ثم في أكبر المعاهد الإسلامية في المغرب و المشرق العربيين، فمنهم الإداري، الإمام، المحاسب، الأستاذ، ومنهم المعلمين في المدارس العربية– الحرة خاصة –خريجي هذه المدارس و المشكلة للنخبة المعربة الجديدة و هذه النخبة نفسها ساهمت بقدر كبير في تكوين النخبة المصطلح على تسميتها بالمفرنسة . النخبة الثانية فهي متعلقة و متكونة في المدارس الفرنسية فمعظم افرادها هم خريجي المدارس الشرعية و المعاهد و الجامعات الفرنسية.

و عليه يمكننا تعريف النخبة المثقفة الجزائرية على انها "الطبقات الوسطى، التي ضمت شرائح اجتماعية متعددة، يعود أصول البعض منها إلى فترة الحكم العثماني في الجزائر، والبعض الآخر ظهر خلال فترة الاحتلال الفرنسي، الأمر الذي جعلنا نقسمها إلى قسمين : نخبة تقليدية وريثة فترة الحكم العثماني، و التي استمرت خلال فترة الاحتلال الفرنسي، ضمت بورجوازية حضرية(حرفيون، تجار، ملاكين، قضاة،...)، وبورجوازية ريفية (ملاكين، أصحاب العقارات...)، وأرستقراطية ريفية (نبلاء السيف، الأجواد، المرابطون...)، هذه الشرائح الاجتماعية لا تعنينا في هذا البحث، إنما الذي يعنينا هو النخبة الجديدة التي ساهم الاحتلال الفرنسي في نشأتها و ظهورها، لا سيما عن طريق التعليم العلماني، وتفاديا لإشكالية المفهوم، فضلنا أن نطلق عليها تسمية جامعة وهي" :"النخبة الجزائرية المفرنسة"، أي النخبة المثقفة ثقافة فرنسية، لأنها تناسب مع دراستنا هذه.[1]

---

[1] خالد بوهند : الاصول الاجتماعية و الخلفيات السياسية و الثقافية للنخبة الجزائرية الفرنكفونية, مجلة المقتطف المصري التاريخية, العدد الاول, الثلاثي الاول جويلية 2014 , ص. ص 140,139.

على أهمية الادوار التي لعبها المحتل في نشأة و ظهور هذه النخبة الا أنه من الخطأ الاعتقاد أن هذه النخبة ظهرت من الفراغ , في واقع الأمر هي امتداد للنخبة التقليدية التي قاومت الاحتلال ابان الغزو , غير ان تكوينها , و نموها في وسط عصراني , هو ما جعلها مختلفة عن سالفتها في طريقة التفكير و الممارسة[1] و عليه نقدم هذا التعريف لهذه النخبة.

تعريف النخبة المفرنسة :

يقول الكاتب المفرنس شريف بن حبيلس واصفا هذه النخبة التي في الاصل هو احد اقطابها الاوائل :" انهم اولئك الشباب الناشئ في الجامعات الفرنسية و الذين استطاعوا بفضل عملهم ان يرتقوا فوق العامة و يتموقعوا في الجزائر الحاملين للحضارة عن جدارة"[2]

و يكمل وصفه لهذه النخبة في موضع آخر من كتابه قائلا: "بأنها ثريات الشبان الجزائريين المتخرجين من الجامعات الفرنسية، الذين تميزوا عن بقية العامة من المجتمع الجزائري واستحقوا أن يصنفوا ضمن زمرة الفئات المتحضرة الحقيقية، مثلها مثل الفئات الأوروبية بالجزائر، وذلك بفضل ممارستهم لمهامهم الحرة، كأطباء وصيادلة وجراحي أسنان و مح امين، أو في الإدارة والمؤسسات الاحتلالية، كأطر قانونية، ومعلمين أو أساتذة"[3]

وأضاف بأن هؤلاء الشبان يعتقدون بأنهم بلغوا قمة التحضر، حيث يجعلهم طموحهم الجامح إلى الأمل في تسيير بلادهم، أو التساؤل عن ما إذا كان من حقهم تسلم إدارة بلادهم، أو جزء منها كأقل تقدير، أو يأملون كما ذكر السيد سارفيي (*Jean Servier*) برمي الفرنسيين في البحر.[4]

---

(1) نفسه

(2) الشريف بن حبيلس : الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي، تر: عبد الله حمادي؛ فيصل الأحمر و وسيلة بوسيس، دار بهاء الدين، قسنطينة،2009 , ص35.

(3) نفسه

(4) نفسه , ص141.

ونقل المناضل المعروف فرحات عباس الذي ينتمي إلى" الشبان الجزائريين " أي النخب الجديدة المثقفة بالفرنسية، على غرار ابن حبيلس، تصريحا للصحافي الفرنسي لويس برتران(*Louis Bertran*) الذي نشر في جريدة لو فيغارو (*Le Figaro*) في عددها الصادر بتاريخ 19 اوت 1926 نعت فيه الطلبة الجزائريين وهم من النخبة الجزائرية الجديدة بـ :"نصف مثقفين (...) و شبان رشقين و ماكرين ". كما وصفتهم الحوليات الإفريقية، وكل الصحف الاحتلالية ، متعصبين ، على أثر أحداث جماب (*Jemmapes*) و هي مدينة عزابة حاليا :" متعصبين، وشيوعيين، وثوار و جاحدين ".[1]

لم تتحلى كل عناصر النخبة الجزائرية المفرنسة بنفس الأفكار والتوجهات، فقد كان البعض منها ما يزال على صلة وارتباط بفرنسا ويقر بفضائلها عليها، ومع ذلك بقيت متمسكة بأصالتها وإسلامها، أما العناصر الأخرى فقد تخلت عن أحوالها الشخصية لقاء حصولها على المواطنة الفرنسية، وهي العناصر التي كان يطلق على أفرادها تسمية" المتورني" و هي كلمة تم تحويرها من الكلمة الفرنسية (*Tourner*) أي الذي تغير عن أصله, أو المجنس (*Le Naturalisé*) وأيضا اُلمفرنس، وقد نبذتها عائلاتها وكانت من جهة أخرى غير مرغوب فيها في الحظيرة الفرنسي.[2]

و لقد صرح الكاتب محند السعيد لشاني في سرد مفهومه لهذه النخبة اثناء محاضرة ألقاها بالجزائر العاصمة، ونشرت في مجلة" صوت البسطاء "سنة 1929 أنه لم يكن مع راي أولئك الشبان الجزائريين، الذين يلبسون كل ما هو أنيق على الطريقة الغربية، ويتجولون في الشوارع، ويجلسون على شرفات المقاهي، ويدخلون قاعات السينما، و محلات الترفيه، بالنسبة للمحاضر هذه النخبة لا يهتم لأمرها لأنه يعتبرها غير متخلقة , لا تفكر، وهمها الوحيد هو إشباع رغباتها ليس اكثر .وبالمقابل كان هناك نمط مغاير من النخبة المثقفة ثقافة فرنسية، الواعية بواجبها، المضطلعة بأعباء المسئولية .هذه النخبة كانت مدركة لخطورة وضعها الاجتماعي لا لشيء سوى

---

(1) خالد بوهند : المصدر السابق , ص ,ص 142,141.

(2) نفسه.

انها نخبة مفكرة، لديها نفسا جديدة، مما جعلها عرضة لمختلف الانتقادات و المخاطر، و هذه هي الفئة التي يفضلها الكاتب محند السعيد لشاني[1].

الا انه يوجد من يقول ان النخبة المفرنسة هي بكل بساطة فئات متميزة من المتنورين و المتطورين أطلقت عليهم تسمية النخبة و هي الفئة التي قبلت النفوذ الأوروبي في الجزائر، و العادات و التقاليد الفرنسية.

أما بالنسبة للمجتمع الجزائري فإن كلمة النّخبة, ارتبطت دلالتها لدى عامة الاهالي بمفاهيم متداخلة كعبارة المثقفين (*intellectuels*) و المتطورين (*Evolués*) و العارفين(*Connaisseurs*) و هي كلها مصطلحات سايرت عبارة النخبة ، حيث كانت تأخذ مكان العبارة اذا ما جاء الحديث عن اعضاء هذه الفئة . و في واقع الامر فهؤلاء المثقفين و المتطورين و كل من هم على شاكلتهم ,هم من حصلوا تعليمهم داخل المنظومة التربوية الفرنسية حيث وتأثروا بال ثّقافة الأوروبية، وانبهروا بمظاهرها وتقاليدها، واقتنعوا بفرنسا وقوّتها، واعتبروها صاحبة الحقّ الشرعي في الجزائر، وهذا خلافًا للنخبة التقليدية التي حافظت على انتمائها الحضاري، واستمرّت في اتّصالها مع المدارس العربية الإسلامية؛ لذلك أصبح المتفرنسون هم المدافعون عن فرنسا في الجزائر (الجزائر الفرنسية)، والمتحمّسين أكثر من غيرهم لفكرة الإدماج، وارتموا في أحضان الحضارة الفرنسية، واكتسبوا صفة المواطن الفرنسي عن طريق التجنّس، كما أن التعليم الفرنسي التغريبي المطبّق في الجزائر، كان له الأثر البالغ في تشبّع هؤلاء المتجنّسين بالمبادئ و الر وح الغربية[2]

في حين أن ابوالقاسم يرى أن , مفهوم هذه النّخبة ما زال لم يُضبط بين أغلب الكتّاب لحدّ الآن، فيعتبرها البعض عبارة عن فئة ضائعة بين الحضارتين المختلفتين (الحضارة الغربية – الحضارة العربية الإسلامية)؛ حيث قال الكاتب الفرنسي جون جوريس (*Jean Jaurès*) بخصوص النخبة الجزائرية المفرنسة " :إننّا مزّقنا

---

(1) نفسه.

(2) النوي معماش : موقف المتجنسين الجزائريين من المرأة خلال النصف الأول من القرن العشرين، مجلة الحوار الفكري، ع . 20046 جامعة قسنطينة , ص43.

الشّبان الجزائريين بين حضارتين، وسُرعان ما فقدوا الاتّصال بحضارتهم، ولكنّهم غير قادرين على الدخول في حضارتنا إلاّ بصعوبة". [1]

أما غي بارفيلي (*Guy Pervillé*) في محض دراسته للنخبة الجزائرية الفرنكوفونية فلقد ميز في تطور ايديولوجية المثقفين المفرنسين ثلاث مراحل هامة و التي تبدو لنا مبررة

1) الاندماجية (*Assimilationnisme*) التي دامت الى غاية 1919
2) الترابطية (*Associationnisme*) و هي نوعا ما التقارب بين النخب التي نمت من 1919 الى 1939
3) الوطنية (*Nationalisme*) التي انطلقت في 1945

و مع تطور النخبة فكريا عبر مراحله التي ذكرها غي بارفيلي(*Guy Pervillé*) فانه حدث نوع من تقاطع للمصالح مع النخبة التقليدية, و الشيء الذي كان ممكنا لأنه وبالرغم من مواقفها الاندماجية الا ان النخبة المفرنسة لم تقطع مطلقا العلاقة مع اصولها الثقافية , ان هذا التقارب بين جناحي الانتلجانسيا الجزائرية ليس فقط بسبب محاولات الدمج الثقافي للنخبة المفرنسة , فبالنسبة لشريحة واسعة هي كذلك نتاج تحديث ذاتي للنخبة المعربة(التقليدية), هذا التغيير تحت تأثير الموجة الاصلاحية للنهضة التي مكنتها من التحرر من بقايا التقاليد البالية. [2]

و خير ما نختتم به جدلية مفهوم النخبة المفرنسة ما كتبه جورج مارسيي(*George Marcais*) في اجازته لكتاب بن حبيلس لما قدم لنا تعريفه للنخبة المفرنسة , متزامناً مع المفاهيم الاجتماعية المتداولة خلال العشرينيات والثلاثينيات من القرن العشرين. يتوجه هذا الأخير بخطابه إلى جماعة النخبة الجزائرية بقوله: « إنكم أنتم المتجذّرون في التراب الجزائري، والمتخرّجون من ثانوياتنا ومدارسنا، والذين تدلون برأيكم حول المسائل التي تهمنا دون عاطفة ودون مواقف مسبقة(..) إنكم بثقافتكم، أكثر منه بانتمائكم الاجتماعي، تنتمون إلى ما يمكن

---

(1) كمال خليل : المصدر السابق , ص 124.

(2) - Aissa Kadri, Ahmed Ghouati, Op. Cit, p 86 .

أن نسميه بكل استحقاق "النخبة الأهلية".. إنها- يقول مارسي- هذه النخبة التي لها مكانتها بالنّسبة للرأي العام الفرنسي لأن لها بعض مظاهر النخبة الأوربية، ولكنها لا وزن لها بالنسبة إلى الجماهير من (الأهالي) ، وذلك للسبب نفسه أي مظهرها الأوربي. هذه النخبة المكونة من بعض الأطباء الشرفاء وبعض المحامين الشطّار وبعض الصحفيين اللامعين وكذلك المعلمين الذين يعون تماماً دورهم في نشر الأنوار، والواجب الذي عليهم تجاه فرنسا التي صنعت منهم -مجاناً- ما هم عليه اليوم. إنّ النخبة التي تنتمون إليها تبدو لي العنصر الأكثر فائدة للوحدة بين الشعوب، لأنها تغذت من الثقافة العربية وأمكنها أن تتخلق بالآداب الفرنسية..» [1]

المبحث الثاني : أقطاب النخبة المفرنسة

كما قال احد المؤرخين و المتتبعين للشأن الجزائري في مرجع من مراجعه انه لا غرابة أن يعد الردح الأخير من القرن 19 بداية حاسمة في عملية صياغة المجال الثقافي في الجزائر باللغة الفرنسية ، و تمثل ذلك بالخصوص عند رعيل هام من الجزائريين الذين درسوا في المنظومة التعليمية الفرنسية ، و من أمثلة هؤلاء عبد الله محمد ، و محمد تونسي أحمد ، و بن سديرة بلقاسم و كلهم [2]منحوا انطلاقة هامة في مجال الكتابة و النشر و التأليف و بصفة سريعة, كما تطورو توسع ظهور هؤلاء الرجال الجدد الوافدين من المدارس و الكليات الفرنسية بعد أن اندمجوا في البناءات الاحتلالية ، و حينئذ أصبحت اللغة الفرنسية عندهم هي لغة العمل و التخاطب و منهم من برع فيها , و يضيف كاتب آخر قائلا : " أنه من الواضح أن مصطلح النخبة الاندماجية لا يشمل كل من درس في المدارس الفرنسية ."[3]

---

[1] النُّخبة الجزائرية المفرنسة بين 1900-1940 مرجعيات الحداثة واهتمامات المجتمع, نشر يوم الجمعة 28 ديسمبر 2012 على موقع منتديات قالمة , تم الاطلاع يوم 2017/02/06 على 17:00 http://guelma.moontada.net/t1053-topic#top

[2] أحمد مريوش: المصدر السابق.

[3] ابو القاسم سعد الله , المصدر السابق , ج 6 , ص 265.

إن الأدهى من ذلك انه حتى الفئة الانفصالية المحافظة خرجت من المخابر الفرنسية، حيث تلقت تعليما و تكوينا بعيدا عما يقدم في الزوايا أو المدارس الحرة، و اعتمدت على مناهج مقبولة تسعى إلى ربط العلاقة مع الأهالي المسلمين، و هذا هو دور هؤلاء التلاميذ الذين أصبحوا قادرين على نقل تلك المعرفة و تطبيق النظرية التي تتحدث على التقارب بما يخدم مصلحة الوجود الاحتلالي. دون ان نغفل الصدامات و المشاحنات فقد خاضت هذه الفئة اعتى المعرك السياسية خلال عشرينيات القرن الماضي فلقد بدأ هذا التيار بسي امحمد بن رحال و ازدهر على يد الامير خالد[1] الذي تمكن من تكوين لجنة من الجزائريين المناصرين لتوجهاته التحررية منهم الحاج عبد القادر، و الحاج مصالي، وعبد العزيز منور و علي الحمامي و أحمد بهلول و بانون أكلي.

لا يسعنا ان عنا ان نذكر كل اقطاب النخبة المفرنسة و التي كانت لها بصمات واضحة على الساحة الوطنية فأثرت و تأثرت . لهذا رأينا أن نحصر اقطاب هذه الفئة في بعض من روادها فقط.

✓ محمد بن أبي شنب (1929/1869)

هو محمد بن العربي بن محمد أبي شنب، المولود سنة 1869 بفحص المديّة، تعّلم فيها، و حفظ القرآن، ثم درس في المدرسة الابتدائية الفرنسية في مسقط رأسه، ثم في الثانوية سنة 1886 التحق بمدرسة المعلمين (Ecole Normale) تخرج منها بعد عامين استاذا للغة الفرنسية و مجازا بشهادة علمية و شهادة تقنية.

درّس في ضواحي المدية مدة 4 سنوات إلى غاية 1892 ، ثم انتقل للعمل بالجزائر العاصمة في نفس السنة و واصل دراسته على يد الشيخ عبد الحليم بن سماية و قد أخذ عنه البلاغة و المنطق و التوحيد، ثم واصل دراسته بجامعة الجزائر و حصل على شهادة في اللغة العربية في 19 جوان 1894.

[1] محمد قنانش: الحركة الإستقلالية في الجزائر بين الحربين 1939/1919, الشركة الوطنية للنشر و التوزيع , الجزائر 1982, ص 24.

ركز دراساته حول معرفة اللغات المختلفة الميتة و الحية إيمانا أنها ستفتح له أبواب حضارات هذه الشعوب و فهم معتقداتهم و أفكارهم فعكف على درس الاسبانية و الألمانية و اللاتينية، و التركية و الفارسية و العبرية ... حتى أصبح يتقنها كتابة و نطقا.

منذ 8 ماي 1898 عيّن للتدريس في المدرسة الشرعية بالكتانية في قسنطينة خلفا للأستاذ عبد القادر المجاوي الذي انتقل إلى العاصمة .فدرس بها النحو و الصرف و الفقه و علوم الأدب، و يبدو أنه لم يبق طويلا حتى تم نقله إلى المدرسة الثعالبية في العاصمة و التي د رّس بها نفس العلوم من اللغة و النحو و الصرف و المنطق و العروض و البيان...

في سنة 1908 ارتقى إلى أستاذ محاضر و للتدريس في جامعة الجزائر، و قام بتحضير شهادة الدكتوراه التي نالها في الأدب حول موضوع : « أبي دلامة و شعره » .

ساهم في التدريس و التأليف و المشاركة في مؤتمرات المستشرقين 1 الذين احترموه و اهتموا لكتاباته لأنه يعبّر بصدق عن ثقافة الشعب الجزائري بلغتهم .و قد ترك مؤلفات جمة منها:

- تحفة الأدب في ميزان أشعار العرب (1906 -1928).
- الألفاظ التركية و الفارسية الباقية في اللهجة الجزائرية سنة1922
- لأمثال العامية الدارجة في الجزائر و تونس و المغرب (3 أجزاء) 1907.

و قام بتحقيق و تصحيح عدة كتب نذكر منها:

- البستان لابن مريم سنة 1908 .
- رحلة الورتيلاني : للورتيلاني سنة 1908 .
- عنوان الدراية :للغبريني (ط1), سنة 1910.
- شرح ديوان عروة بن الورد لابن السكيت 2.1926

لازمه المرض لمدة شهر كامل ووافاه الأجل يوم الثلاثاء 5 فيفري 1929م ودفن في الغد الموافق 27 شعبان 1347هـ عن عمر يناهز الستين وكان يوم جنازته يوماً مشهوداً حضر فيه رئيس الجامعة العام ونائبه ومدير أمور الوطنين ونائب الوالي العام وأساتذة الكليات الأربع بملابسهم الرسمية وباقي مدرسي المدارس وعميد كلية الآداب وأعلام البلد وأعيانه .

✓ مالك بن نبي (1905 –1973)

يعتبر مالك بن بني حلقة فريدة في المكون الثقافي الجزائري , حيث اعتبره ابوالقاسم سعد الله مدرسة فكرية مستقلة ,فهو لا ينتمي لتيار مدرسة الاحتلال التي تخرج منها كأمثاله ممن مثل النخبة الاندماجية أو النخبة التقليدية الاسلامية التي اكتفت بالوظيف بعد التخرج , و لا حتى تيار المدرسة السياسية الذي أنشأه الأمير خالد ثم حزب الشعب , خاصة و أن بن نبي كثير النقد لهذه التيارات و بالأخص تيار بن جلول و فرحات عباس لأنه كان يعتبرهم فوقانيين و منحرفين , الا انه ربما كان يحن الى المدرسة الباديسية , رغم ابتعاده عنهم و انتقاده لهم. [1]

فهو مالك بن الخضر بن مصطفى بن نبي المولود في 01 جانفي 1905 بمدينة قسنطينة ،ثم انتقلت أسرته إلى تبسة حيث التحق بالمدرسة الابتدائية الفرنسية المخصصة لأبناء الأهالي و مع ذلك لم ينقطع عن الكتاب لتعلم القرآن و في هذا يقول:" كنت أقصدها(مدرسة تعليم القرآن) كل يوم في الصباح الباكر لأكون فيما بعد عند الثامنة صباحا في المدرسة الفرنسية " .[2]

لكنه انقطع عنها فيما بعد لمواصلة التعليم في المدرسة الابتدائية و هذا ما سمح له للإطلاع على ما يحيط به من أحداث داخلية و خارجية عبر الجرائد و الصحف و يقول: "كنت أدرس بجد طيلة أيام الأسبوع .و بما أني كنت أحرص على كتابة وظائف مساء السبت فقد كنت أحصل على شيء من الحرية يوم الأحد .و بالتالي كنت أقضي يومي كله تقريبا في مخزن (سي شريف برقوقة) بّقال الحي .و بسب ظروف الحرب التي أدت إلى

---

(1) ابو القاسم سعد الله, المصدر السابق ,ج 7 , ص 211.

(2) مالك بن نبي :مذكرات شاهد للقرن، ط 2 . دار الفكر, دمشق سورية 2004 ، ص 24.

فقدان الورق التجاري المستعمل في لف المشتريات فقط اضطر كسائر زملائه إلى استبدال الورق المطبوع به . كانت قصة الحرب آن ذاك تظهر في أجزاء مطبوعة، أجد معظم أعدادها الصادرة في مخزن سي شريف .و كنت أغرق في قراءتها باهتمام مولع .خصوصا لما تحتويه من صور كثيرة ".[1]

في هذه الظروف الصعبة تمكن من الحصول على شهادة الدراسة الابتدائية سنة 1918 بدرجة "جيد" و بذالك حصل على منحة قصد متابعة دروسه في المرحلة التكميلية بمدينة قسنطينة في مدرسة سيدي الجليس قصد التحضير لدخول "المدرسة الرسمية" و دار المعلمين الابتدائيين و المساعدين الطبيين .لكنه أعد نفسه و بتوجيه من عائلته للدخول إلى "المدرسة الرسمية" ليتخرج منها عونا قضائيا.

و قد تأثر كثيرا بمدرسيه في مدرسة سيدي الجليس خاصة الشيخ عبد الحميد الذي كان يدرس النحو كل صباح على الساعة السابعة في المسجد قبل الالتحاق بالمدرسة و قال عنه : " و سرعان ما أدركنا عدائه للتقاليد السائدة في المجتمع الإسلامي كالطرق الصوفية، و كراهيته لتجاوزات الإدارة الفرنسية و تصرفاتها"[2] كما تأثر بأستاذ آخر و هو مارتان(*Martin*) .

و يذكر أنه كان يثري تلاميذه بالمفردات و يطبع في نفوسهم الذوق و فن الكتابة و يعيرهم الكتب .و في نهاية السنة اجتاز بن نبي الامتحانات النهائية، وكان من الناجحين و تم قبوله ابتداء من السنة الدراسية 1921-1922 في "المدرسة الرسمية" التي تخرج أعوان القضاء و الادارة.

في هذه الأثناء بدأ يتابع دروس الشيخ المولود ابن الموهوب في التوحيد و السيرة و تصفح الكتب الهامة مثل "رسالة التوحيد" للشيخ محمد عبده، و كتاب " الافلاس المعنوي للسياسة الغربية في الشرق" لمحمد رشيد رضا الذي مكنه من إعادة رؤية المجتمع الإسلامي.

---

(1) مالك بن نبي, المصدر السابق , ص37.

(2) نفسه , ص48.

و في نهاية السنة الدراسية 1921-1922 تمكن من اجتياز الامتحانات بنجاح و عاد إلى تبسة التي وجدها تغيرت و ازداد بها المعمرون خاصة عمال السكة الحديدية بعد افتتاح خط الحديد "عين البيضاء" و إنشاء مركز لإصلاح القطارات .كما تمكن من التعرف على الأفكار السياسية من خلال الصحف مثل صحيفة "الاقدام" التي كان يصدرها الأمير خالد، و صحيفة "الراية" التي يصدرها الصادق دندن، إضافة إلى صحيفة تونيسية كانت تصل إلى تبسة و هو"العصر الجديد" و لما رجع إلى قسنطية كان كثير التردد على مقهى تسمى "مقهى بن يمينة" المتواجدة في الحي الذي توجد به المدرسة .و كان مكتب الشيخ عبد الحميد بن باديس قريبا منها.

و كان يتابع منظر الشيخ وهو يمر أمام المقهى ذاهبا إلى مكتبه في "نهج الأربعين شريف" في هذه الفترة ازداد حرصه على مطالعة الصحف المختلفة مثل :صحيفة "الشؤون العامة لقسنطينة *La Dépêche De Constantine*" و صحيفة "الانسانية *L'humanité*" و صحيفة "الكفاح الاجتماعي *La Lutte Sociale*" و كان يعتمدها في مناقشاته[1] .

و في نهاية السنة الدراسية 1922-1923 استطاع بن نبي النجاح في الامتحانات النهائية وعاد إلى تبسة و قد تزامن ذلك مع عودة الشيخ العربي التبسي من الأزهر في القاهرة و الذي كان له مؤيدوه في المدينة .و في السنة الموالية عاد إلى قسنطينة و واصل دراسته و استمر في تقصي الأخبار الدولية و الوطنية عبر مختلف الجرائد مثل "صدى الصحراء" و التي تصدر من بسكرة،[2] و بدأ يتحرر من الأوهام و المعتقدات البالية التي ساهمت الحركة الإصلاحية في محاربتها.

و استمر في نجاحه إلى غاية 1925 حيث سافر إلى باريس للبحث عن العمل لكنه سرعان ما عاد إلى تبسة و بدأ يشتغل في المحكمة بصفة عون في القضاء .لكن لم يستطع البداية فيه لأنه لم يبلغ السن القانوني

---

(1) كمال خليل: المصدر السابق ص, 134.

(2) نفسه.

(كجزائري) لممارسة هذه الوظيفة و هي اثنان وعشرون سنة. فاعتمدته المحكمة كمعاون متطوع لهذا يقول:" فهم قد وجدوا في ذلك فائدة .و بالنسبة لي فقد كانت الفائدة مؤكدة؛ فبالإضافة إلى الخبرة المهنية فقد كنت أرافق أعضاء المحكمة لتنفيذ الأحكام .و الخروج إلى الريف التبسي خصوصا في الفصل الجميل يستحق أكثر من تطوع، فلو كنت أستطيع أن أدفع عليه مالا لفعلت".[1]

و لما بلغ السن القانوني و هو الاثنين و العشرين سنة، سمح له كجزائري بممارسة وظيفة " عون في القضاء" و تم تعينه بداية من شهر مارس 1927 "آفلو" تابعة لولاية الأغواط حاليا, و هو أول من أدخل العدد الأول من جريدة " الشهاب" إليها و اتصل بالشيخ عبد الحميد ابن باديس في مكتبه و طرح عليه الكثير ما يجول في خلده .ثم انتقل إلى محكمة شلغوم العيد "*châteaudun-du-Rhumel*" بولاية ميلة حاليا لكن لم يعجبه جو العمل فيها فاستقال تاركا العمل من وظيفة لطالما شعر أنها لا تناسبه.

و في شهر سبتمبر 1930 سافر ابن نبي إلى باريس قصد مواصلة الدراسة في معهد الدراسات الشرقية، لكنه لم يوفق في الدخول إليه لأنه لم يكن يخضع في نظره لمقياس علمي، فهو في هذا الصدد يقول :" لم تبدوا لي أية صعوبة في الاختبارات و لكن كانت خيبة أمل : لم أنجح ... !! و ليس هذا كل ما في الأمر .بل لقد طلبني مدير المعهد و في هدوء بمكتبه الوقور شرع يشعرني بعدم الجدوى من الإصرار على الدخول إلى معهده، فكان الموقف يتجلى فيه النظر بكل وضوح الحقيقة التي مفادها : إن الدخول لمعهد الدراسات الشرقية لا يخضع (بالنسبة لمسلم جزائري) لمقياس علمي و إنما لمقياس سياسي".

[1] مالك بن نبي :المصدر السابق، ص160 .

بعد فشله في الدخول إلى معهد الدراسات الشرقية التحق بمدرسة اللاسلكي لدراسة هندسة الكهرباء و أدرك أنه دخل هذه المرة إلى الحضارة الغربية من باب آخر .استمر في الدراسة و النشاط متابعا في الوقت نفسه التطورات الحاصلة بأوربا والعالم الإسلامي و اجتاز الامتحانات بنجاح و تخرج سنة 1935 مهندسا كهربائيا[1] .

و منذ تخرجه وهو في صراع مع سوء الأوضاع إلى غاية انتقاله من فرنسا إلى القاهرة في 22 سبتمبر 1939بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية ليستقر هناك نهائيا و بدأ عمله العلمي و الثقافي في إلقاء المحاضرات و التأليف و الترجمة و المشاركة في الندوات العلمية و الانتقال بين مختلف البلدان العربية مثل :سوريا، لبنان ... و أنحاء العالم :الصين، أندونيسيا، الاتحاد السوفياتي(سابقا)، ألمانيا، المملكة العربية السعوية.

و في سنة 1957 عين أحد مستشاري "المؤتمر الإسلامي" في القاهرة و بقي هناك حتى سنة 1963عاد إلى الجزائر حيث عين مديرا عاما للتعليم العالي و قد استقال سنة1967 ,ليتفرغ للندوات الفكرية و النشاطات الثقافية الى ان زافته المنية يوم 31 أكتوبر 1973 ،المعروف عنه لن له قلم سيال، و كتب في مختلف القضايا الوطنية و العالمية، و اهتم بتكوين الفرد لأنه أساس كل نهضة سواء في الجزائر، أوفي أي موطن آخر باعتباره من أهم مشكلات العالم الإسلامي، و من آثاره:

- "الظاهرة القرآنية" صدر بالفرنسية في الجزائر سنة 1946 .
- "شروط النهضة" صدر بالفرنسية في الجزائر سنة 1948 .
- " وجهة العالم الإسلامي " صدر بالفرنسية في باريس سنة 1954 .
- " الفكرة الإفريقية الأسيوية" صدر بالفرنسية في القاهرة سنة 1956.
- "النجدة للجزائر" صدر بالفرنسية في القاهرة سنة 1957 .
- "مذكرات شاهد القرن" القسم الأول (الطفل) الجزائر سنة 1966 .

[1] **مالك بن نبي**: المصدر السابق , ص.ص 216-220.

➢ "مذكرات شاهد القرن" القسم الثاني (الطالب) بيروت سنة 1970.

✓ **مصطفى الاشرف (1919–2006)**

مصطفى الأشرف من أسرة عريقة من بلاد الحضنة، جنوب الجزائر العاصمة، و لد في 17مارس 1917بيلدة سيدي عيسى تابعة لولاية المسيلة حاليا، درس في مسقط رأسه في المدارس القرآنية الحرة .و تلّقى تعليما مزدوجا عربيا و فرنسيا، و قد حصل على شهادة تعليم ابتدائي بعدما قرأ الكلاسيكيات الفرنسية " الأدب الفرنسي "و بعض المصادر العربية القديمة و الحديثة مثل :معّلقات شعراء العرب القدامى، و كتاب "العبر في المبتدأ" لعبد الرحمان بن خلدون(1332–1406) و أدب شعراء المهجر كجبران خليل جبران و جرجي زيدان.

التحق بثانوية ابن عكنون سنة 1930 إلى غاية 1932 (وفق النظام الداخلي) ليلتحق بثانوية الجزائر (وفق النظام الخارجي) و ذلك بسبب سوء الأوضاع الاقتصادية للأسرة التي لم تقدر على مواصلة دفع مصاريف الدراسة، حيث يقول في مذكراته:" بداية من شهر أكتوبر 1932 لم يعد بإمكان أبي التكفل بمصاريف إقامتي كداخلي في ثانوية بن عكنون (...) فقرر أن أواصل دراستي كطالب خارجي في ثانوية الجزائر التي كانت تدعى وقتها بالثانوية الكبيرة" .[1]

و منذ 1934 التحق بالمدرسة الثعالبية إلى غاية 1940 و التي واصل بها الدراسة ضمن القسم العالي للسنوات الخامسة و السادسة بين1939و1940 بعدها انتقل إلى فرنسا لمواصلة دراساته العليا بباريس.

تابع دراسته بجامعة السوربون بباريس قصد نيل شهادة الليسانس في الآداب، و بعد تخرجه التحق بالتعليم حيث درّس في ثانوية لويس الكبير *"Louis Le Grand"* ، بباريس, و بعد عودته إلى الجزائر شغل منصب أستاذ اللغة العربية بإحدى ثانويات مدينة مستغانم، ثم أستاذا في ثانوية معسكر.

---

(1) مصطفى الأشرف :أعلام و معالم مآثر عن الجزائر منسية , تر :أحمد بن محمد بكّلي، دار القصبة للنشر، الجزائر, 2007 ,ص 374.

التحق بالعمل السياسي بداية 1939 عن طريق الانخراط في حزب الشعب الجزائري و اهتم بمهمة الإشهار و التوعية عن طريق مقالاته السياسية و الاقتصادية و التاريخية التي كان ينشرها في مختلف مجلاّت و صحف الحزب "البرلمان الجزائري" و جريدة " النجم الجزائري" الناطقة باسم فيدرالية حركة الانتصار بباريس[1] .

و بعد اشتداد أزمة انشقاق الحزب و انقسامه إلى جناحين متصارعين :المركزيين، و المصاليين بقي محايدا إلى غاية التحاقه بجبهة التحرير الوطني حيث كّلف بمهمة الإشهار و التوعية .

منذ 1956 غادر باريس إلى اسبانيا، حيث اتصل بمحمد خيضر و اقترح عليه الانضمام إلى اللجنة الرسمية التي ستتوجه إلى المغرب و تونس قصد المشاركة في اجتماع بين قادة الجبهة و الزعيمين :بورقيبة و محمد الخامس في أكتوبر 1956 و في نفس السنة وقعت عملية قرصنة الطائرة الشهيرة وتم اعتقال الزعماء الخمس : محمد بوضياف، أحمد بن بّلة، محمد خيضر، حسين آيت أحمد، و مصطفى الأشرف [2] و سجن في معتقل *La santé* بباريس إلى غاية إطلاق سراحه في أواخر عام 1961 بعد ان ساءت حالته الصحية وتم الإبقاء عليه تحت الإقامة الجبرية، لكنه تمكن من الفرار إلى القاهرة ثم انتقل إلى تونس.

بعد الاستقلال تقلد عدة مناصب هامة, فعين سفيرا للجزائر في الأرجنتين، ثم في البيرو، بعدها وزيرا للتربية ، و التعليم الابتدائي و الثانوي لمدة قصيرة بين1977 ،1979 ، ثم سفيرا في المكسيك سنة 1979 . بعدها ممثلا للجزائر في اليونيسكو سنة 1982 إلى غاية إحالته على التقاعد سنة 1986 ، و في 1992عين عضوا في المجلس الوطني الانتقالي الذي نصبه الرئيس الراحل محمد بوضياف.

ولعل أهم ما كتب بهذا الشأن هي تلك المساهمات التي قدمها مصطفى الأشرف الذي نشر بهذا الصدد عدة دراسات في المجلتين الفرنسيتين « *Esprit*» و « *Temps Modernes* » . على ان مساهمته التي أثارت الجدل أكثر من غيرها، خاصة في أوساط المعربين، هي تلك المقالات الثلاث التي نشرها في جريدة *-EL*

---

(1) كمال خليل : المصدر السابق ,ص 138.

(2) مصطفى الأشرف :المصدر السابق، ص458.

MOUJAHID أيام 9، 10 و 11 أوت 1977، بصفته وزيرا للتربية و التعليم. ويمكن القول بأن رأي مصطفى الأشرف فيما يخص اللغة الفرنسية يلتقي مع مقولة كاتب ياسين المشهورة القائلة بأن "الفرنسية هي غنيمة حرب". يقول الأشرف بهذا الصدد :" يدعي البعض بأن استعمال اللغة الفرنسية كان مفروضا علينا فرضا. وهذا كلام لا يقول به إلا من كان ساذجا، ينظر نظرة سطحية من غير تحليل ولا تمحيص، لأن هذا معناه أن الاحتلال قام بعمل يستحق التنويه"[1]. فبالنسبة لمصطفى الأشرف، لم يتبنى الشعب الجزائري اللغة والثقافة الفرنسيتين لأنهما فرضتا عليه، بل من أجل ملء الفراغ الناجم عن كون اللغة العربية قد أصبحت لغة مغلوبة وكفت تاريخيا عن أن تكون أداة إنتاج ثقافي. ذلك " أن الشعب العريق في الثقافة لا يتحمل الفراغ الثقافي. ولكي يشبع هذه الحاجة، فهو لا يرى مانعا من استعارة لغة أخرى بدلا من لغته التي أصبحت محرمة عليه كأداة للتعبير في المدارس، وكأداة للكتابة والتأليف، بل أحيانا كأداة للتخاطب"[2]

لقد ساهم مصطفى الأشرف كثيرا في الحياة السياسية و الثقافية عن طريق تناوله للعديد من القضايا التاريخية و الثقافية و الأدبية التي جمعها في العديد من مؤلفاته القيمة أهمها: ***L'Algérie: Nation et Société*** سنة 1969 وترجم تحت عنوان " الجزائر :الأمة و المجتمع" ،حيث رصد فيه ,دفاع الشعب الجزائري المستميت ضد الاحتلال، و هي سلسلة مقالات مهمة في مختلف المراحل و الأزمنة التي عيشها الكاتب حيث صور فيها بدقة تاريخ الجزائر قبل و بعد الاستقلال.

كما صدر له سنة 1998 كتاب " أعلام و معالم، مآثر عن جزائر منسية " هو في الأصل ألف باللغة الفرنسية تحت عنوان:

"*Des Noms Et Des Lieux–Mémoire D'Une Algérie Oubliée*"

(1) مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، المصدر السابق ، ص.ص 415,414.

(2) نفسه.

و هذا الكتاب عبارة عن مذكرات جمعها الكاتب من الأماكن التي عايشها ,عرفها و شاهدها، و عن مراح حياته و انتقاله من مسقط رأسه و دراسته في الجزائر الى ان التحاق بالثورة و سجنه و و هذه المذكرات هي خيرتعبير عن رحلة حياة المؤلف جمعها بين دفتي هذا الكتاب، توفي في الجزائر العاصمة و دفن بها يوم 21 سبتمبر من عام 2006.

✓ **الشريف بن حبيلس (1959/1985)**

هو من مواليد قسنطينة سنة 1885 ينحدر من عائلة عريقة متعلمة و مثقفة, و يعتبر أول كاتب جزائري بالفرنسية متخرج من المنظومة التعليمية الفرنسية, فكانت كتاباته من الادب الفرنسي الراقي جدا , حتى ان الفرنسيين أنفسهم يحسدونه على رقي لغته الادبية الفرنسية1, يُمثّل بن حبيلس تلك الفئة من المتجنّسين المتكوّنين في المدرسة الفرنسية، الذين تعلّقوا بفرنسا وتشبّعوا بثقافتها وتبنّوا أفكارها .ويُعدّ كتابه' :الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي (*L'Algérie française vue par un indigène*[1]) المنشور سنة 1914 م، شهادة تاريخية مُطابقةً لإيديولوجية المتجنّسين؛ فقد مدح ابن حبيلس فرنسا لجلبها الأمن والهدوء والطمأنينة إلى الجزائر التي كانت تعيش قبل الاحتلال في الاضطراب و الفوضى, الشريف بن حبيلس كان رئيسا لودادية القضاة المسلمين الجزائريين (AMMA)وأميناً عاماً لاتحادية النّواب لمقاطعة قسنطينة.(FEMDC)

أما بالنّسبة لوسطه الأهلي فقد حَكَمَ عليه بقسوةٍ ممزوجة بعاطفة أبوية، وكان يرى بأنّ هذا الشعب البائس ليس لديه ما يخسره إن هو تجنّس وأصبح فرنسيًا، ورفض الحجّة القائلة بأنّ الجزائريين كانوا غير قابلين

([1]) الموسوعة الحرة ويكيبيديا على موقعها , تم الاطلاع يوم2017/01/12 :الشريف_بن_حبيلس https://ar.wikipedia.org/wiki/

للتعليم وأنّهم أعداء المدرسة، وطالب بنشر التعليم الفرنسي والثقافة الأوربية بأسرع ما يمكن لتطوير المجتمع الجزائري.[1]

عالج بن حبيلس وضع حياة الأهالي وقضاياهم في خضمّ حديثه عن المجتمع الجزائري ككلّ؛ ففي كتابه المذكور والذي طبعه سنة 1913 م، يتناول أسباب تخلّف المجتمع وتقهقره، كما يدعو فرنسا إلى ضرورة تكوين الشعب الجزائري وإغرائه لقبول التعليم الفرنسي، مع تشديده على " ضرورة احترام' الحياء الديني 'في البرامج التعليمية من أجل تجنّب كلّ حساسية في المدرسة .[2] " أمّا بعض مواقفه فكانت مغايرًا لرفاقه المتجنسين فهو يرى: " أنّه تكوّن في الجزائر نوع من النّخبة الأهلية التي يسكنها حبّ الحضارة الفرنسية، هذه الأقلية المتفتّحة على منجزات الحضارة الغربية وقيمها في العلم والعمل تصل إلى حدّ عبادة المجتمع الفرنسي وخصوصًا في بعض الجوانب المتعلّقة بالحريات العامة الخاصة بالمجتمع (...) وإذا كانت هذه النخبة لا تزال مُرتبطة بالعقيدة الدينية؛ فإنّ تأثّرها بالخطب الدينية لا أثر له، كما أنّها هجرت ممارسة الشّعائر الدينية " ويؤكّد بن حبيلس على ضرورة تحرير النساء الجزائريات[3] و اعطائهن الحرية.

بن حبيلس ينفي انتماء النخبة الاندماجية إلى الطبقة البرجوازية، بل يعتبر النخبة منحدرة من طبقة الفلاحين البسطاء لأن التجربة في الجزائر كما في فرنسا خلال العصور الوسطى- يقول هذا الأخير- أثبتت " أنه لا يمكن الاعتماد على العائلات الكبيرة في نشر الحضارة والرقي في جبال القبائل أو في أعماق الصحراء..".[4]

---

(1) زهير بن علي ,قضايا المرأة ضمن اهتمامات ,الحركة الاصلاحية الجزائرية :1954/1925 , رسالة ماجستير في التاريخ الحديث ,السنة الدراسية 2015/2014 , ص 135.

(2) الشريف بن حبيلس :الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي، ترجمة.عبد الله حمادي؛ فيصل الأحمر؛ وسيلة بوسيس، دار علاء الدين، قسنطينة،2009, ص 35

(3) النُّخبة الجزائرية المفرنسة بين 1900-1940 , المصدر السابق.

(4) نفسه.

ويصرح بن حبيلس أنه هو نفسه منحدر من عائلة من "الأهالي" وعاش وسط الأهالي تحت الكوخ في منطقة البابور أو تحت سقف الحضري في المدن.

يعي أن الوقت كان يعمل يعمل في صالح الإندماج الاجتماعي، يقول الشريف بن حبيلس: " وماذا تعني ثمانون سنة في عمر التطور الفكري لشعب من الشعوب. فالتطور باتجاه مملكة الفكر الفرنسي –حسب تعبيره– يتم بواسطة محاربة منظمة للجهل والإكثار من عدد المدارس المخصصة لتعليم الأهالي." وكان بن حبيلس يحاول أن يقنع الاحتلال بضرورة بناء المدارس نظرا للمصالح التي يحصل عليها لأسباب أولها تكوين جهاز من الموظفين الأهالي الذي من غيرهم يكون من الصعب جداً إدارة مصالح الجماهير من «الأهالي» التي لا يعرف عنها الأوربيون سوى الشيء القليل، وثانيا لأن فرنسا دخلت الجزائر بدعوى نشر الحضارة فعليها أن توفي بتعهداتها بتعليم الجزائريين وهكذا تكون قد حافظت على الشرف الفرنسي.

من أهم أعماله الادبية :

1. *l'Algérie française vue par un indigène 1914 édition fantana* ترجم الى العربية :الجزائر الفرنسية برؤية أحد الأهالي نشر سنة 1914 في 197 صفحة
2. *la Protection des mineurs indigènes en Algérie 1924* كتاب في القانون و مدلوله بالعربية حماية القصر الجزائريين الأصليين في التشريع
3. *la Suppression des pouvoirs juridictionnels du cadi 1924* الحد من السلطات التشريعية للمحاكم الأهلية عبارة عن كتاب قانوني يدافع فيه عن ازدواجية القضاء
4. *Bilan cent ans en France 1940* ميزانية فرنسا في مئة عام
5. *Interventions-débats parlementaires 1954* التدخلات البرلمانية حيث قام بسرد جميع مواضيع التدخلات التي قام بها

في شهر أوت 1959 اغتيل بن حبيلس بفرنسا أياما بعد لقائه مع المناضل فرحات عباس الذي كان قد التحق بالثورة في حين أن بن حبيلس كان مترددا, و إثر اغتياله بسويسرا أتهمت فرنسا بتصفيته في حين أتهمت فرنسا جبهة التحرير الوطني باغتياله لأنه يمثل الخط المعتدل الرافض للعنف الداعي للحوار في الجزائر.

✓ **محمد ديب (2003/1920)**

أديب وكاتب مفرنس ، لقب بـ: "الأب المؤسس" للأدب المغاربي المكتوب بالفرنسية, وصفته وزارة الثقافة الفرنسية –في بيان نعته فيه بأنه "كان صلة الوصل الروحية بين الجزائر وفرنسا، وبين الشمال والجنوب في (البحر الأبيض) المتوسط, وبين ضفتيْ الفرنكوفونية".[1]

ولد محمد ديب يوم 21 جويلية 1920 في تلمسان غربي الجزائر, لأسرة كان أبوها كثير التنقل بين المهن لتوفير لقمة عيشها.

توفي والده في 1931، ورغم الظروف المعيشية السيئة فإن محمد ديب واصل تعليمه بعد انتقاله إلى مدينة وجدة المغربية، لكنه عاد إلى الجزائر قاصدا ولاية وهران لينتسب إلى مدرسة المعلمين، واستطاع أن يتقن اللغتين الإنجليزية والفرنسية.

بدأ ديب حياته المهنية وعمره لا يتجاوز 12 سنة, وبعد أن عاش فترة قصيرة بمدينة وجدة المغربية عاد إلى الجزائر عام 1939 لممارسة التعليم في قرية "زوج بغال" على الحدود الجزائرية المغربية.[2]

---

(1) محمد ديب : على موقع الجزيرة تم الاطلاع يوم 2017/02/21 على 18:00 http://www.aljazeera.net/encyclopedia/icons/2014/12/22/محمد-ديب

(2) نفسه.

التحق سنة 1942 بالعمل في مؤسسة للسكك الحديدية, ولكونه يتقن الإنجليزية والفرنسية فقد عمل محاسبا ثم مترجما لجيش الحلفاء خلال الحرب العالمية الثانية, وتحول بعد ذلك إلى مصمم ديكورات ورسوم سجاد خلال 1945-1948 بولاية تلمسان.

اشتغل في 1948 بالصحافة فعمل في جريدة "الجزائر الجمهورية"، كما ساهم في يومية "الحرية" لسان حال الحزب الشيوعي الجزائري, فنفته الشرطة الفرنسية بسبب كتاباته المناهضة للاستعمار الفرنسي للجزائر.

رغم الظروف القاسية التي مر بها ديب خلال فترات حياته المختلفة، فإنه انكب على إغناء رصيده المعرفي بمطالعة الأدب الفرنسي قديمه وحديثه, كما ساهم احتكاكه بكبار كتاب عصره أمثال: ألبير كامو(***Albert Camus***) وجان سيناك(***Jean Sénac***) ولويس غيو(***Louis Guilloux***), و برايس باران(***Brice Parain***) و ايمانويل روبلي (***Emmanuel Roblès***) و جان كايرول(***Jean Cayrol***) وابن بلده مولود فرعون في تكوين شخصيته الأدبية المتميزة، وبات يعد من أشهر كتاب الرواية الجزائرية بتأسيسه لنمط جديد في الكتابة الإبداعية.

نهل محمد ديب و هو يافعا من أدب منشورات فرحات عباس "الشاب الجزائري" سنة 1931. و سعيد فاسي " الجزائر تحت حكم فرنسا" سنة 1936, و محمد عزيز كسوس "الحقيقة حول التأزم الجزائري" سنة 1935,و رشيد زناتي "المشكل الجزائري كما يراه واحد من الأهالي" سنة 1938 , و جان عمروش " الرماد" سنة 1934 و "النجمة السرية " سنة 1937, لكن محمد ديب لم يستسغ هذا الادب الجديد فسرعان ما تحفظ منه . [1]

---

[1] العربي زبيري : المثقفون الجزائريون و الثورة , منشورات المتحف الوطني للمجاهد , الجزائر 1995, ص.ص 100,99.

زار بعد ذلك عدة دول بدءا بفرنسا فإيطاليا وصولا إلى أميركا وفنلندا ودول بأوروبا الشرقية، ثم اختار بعد ذلك الاستقرار في المغرب عام 1960، وبعد استقلال الجزائر 1962 عاد إلى وطنه، لكنه سافر مرة أخرى إلى فرنسا مفضلا الاستقرار فيها إلى حين وفاته.

حاز اطلاعا واسعا على الأشكال التعبيرية في الرواية الجديدة والفلسفة الحديثة وبدرجة أقل على التراث الإسلامي , وساهم نشاطه السياسي في الحزب الشيوعي الجزائري في تكوينه عبر انتقاده اللاذع للظاهرة الاحتلالية.

قال عنه الروائي الطاهر وطار: "محمد ديب في ثلاثيته الروائية تفوّق على نجيب محفوظ في "زقاق المدق" و"القاهرة الجديدة", وعلى حنة مينة في "المصابيح الزرق", وعلى غائب طعمة في "النخلة والجيران", فكل هذه الروايات صدرت في أوقات متقاربة وتعالج موضوع الحرب العالمية الثانية ومشكلاتها".

أضاف وطار "لقد اكتشفتُ تفوق محمد ديب على الآخرين، وأنه أكثر أصالة كعربي وجزائري ومسلم من زملائه في التعبير عن أزمة الإنسان العربي".

شارك ديب في عدة ورشات وندوات بجامعات عالمية مهتمة بالأدب المغاربي بصفة خاصة، وألقى فيها سلسلة من المحاضرات عن أعماله.

هناك من زعم ان الكاتب كان شيوعيا ,الا أن كتابات محمد ديب تناقض كل هذه المزاعم حيث أنه قال :" ان القوة التي تخرج من الأرض ثمارا و سنابل هي بين أيدي الفلاح القوي الذي لا بد له يوما , أن يحمي , بالسلاح , بيته و حقله ",ان محمد الديب كان قد وظف كتاباته لفضح مساوئ الاحتلال و لتوعية الجماهير الشعبية ,و من ثم ساهم بقدر كبير في الاعداد لغرة أول نوفمبر. [1]

المؤلفات

---

(1) نفسه ,ص 103.

كان ميلاده الأدبي عام 1952 مع صدور باكورة رواياته "الدار الكبيرة" عن دار النشر الفرنسية "لوسوي" ونفاد طبعتها الأولى خلال شهر فقط, ثم توالت إصداراته الروائية التي تبلغ 18 رواية.

ألف ضمن ثلاثية الجزائر الأولى: "الحريق" (1954), "النول" (1957)، وضمن ثلاثية الجزائر الثانية: "من يتذكر البحر" (1962), "الجري على الضفة المتوحشة" (1964), "رقصة الملك" (1968).

تواصلت تجاربه السردية خلال 1970-1977 بنشر ثلاث روايات هي "إله وسط الوحشية" (1970), "سيد القنص" (1973), "هابيل" (1977), كما ألف في ثلاثية الشمال: "شرفات أورسول" (1985), "إعفاء حواء" (1989), "ثلوج من رخام" (1990).

أصدر في القصة ثلاث مجموعات هي: "في المقهى" (1957), "تلمسان" (1966), "الليلة المتوحشة" (1995), وله مسرحية منشورة في كتاب "ألف صيحة لمومس" (1980), كما كتب في الشعر ثمانية دواوين أشهرها: "حارسة الظلال" (1961), "تلك النار الجميلة" (1979), و"طفل الجاز" (1998).

جمع طائفة من الحكايات التراثية المتداولة في بلدان المغرب العربي ضمن أربعة إصدارات, هي: "بابا فكران" (1959), "حكاية القط الممتنع عن الكلام" (1974), "سالم والمشعوذ" (2000), "حكاية الخرتيت الذي كان يعتقد أنه قبيح الشكل".

يعتبر محمد ديب بمعية كل من مولود معمري ومالك حداد ومولود فرعون وكاتب ياسين من أبرز مؤسسي الحركة الأدبية المفرنسة في الجزائر, وقد كان مع كاتب ياسين في صدارة هذا الجيل الذي تمكن أن يناهض الاحتلال الفرنسي عبر لغته ذاتها.

في يوم 2 ماي 2003 توفي محمد ديب في صمت كبير, كما عاش في كبرياء كبير, وتم دُفنه بسان كلو إحدى ضواحي باريس بوجود ثلة من الأصدقاء المقربين فقط ، طبقا لوصيته.

المبحث الثالث : النخبة الجزائرية المفرنسة و مواقفها من القضايا المختلفة

في يوم الثاني من أوت سنة 1936 بالمهرجان الشعبي الذي نظمه وفد المؤتمر الاسلامي العائد من باريس, يومها في كلمة ألقاها الحاج أحمد مصالي بملعب العاصمة و قد أخذ حفنة من التراب قال:" هذه تربة سمراء , لا تزال مخصبة بدماء أجدادكم لكنها ليست ملكا لكم , فقد أ خذها المحتل , و لم يبقى منها شيئا (...) و لذلك فواجبكم اليوم هو العمل على استرجاعها , و ليس اعطاء التبريرات للمحتل كي يبقى مسيطرا عليها.[1]

كلنا يذكر رائعة الكاتب محمد ديب "الدر الكبيرة" فهو على لسان شخصية من شخصياته ,يتكلم عن الأرض قائلا:" هذه التربة السمراء هي أرضنا , و مع ذلك أخذها الكولون و بعد أن أخذها , فهو الآن يعمل على الاستيلاء علينا و لم يكتف بما أخذ إنما يريد أن يستولي على ما هو أثمن أي أن يزيف و ان يمسخ و أن يشوه بحيث يبقي على التبعية و يطيل حالة التخلف التي يعمل الاحتلال على إبقائها حتى يتمكن من مواصلة الاستغلال". [2]

الدارس للنخب المثقفة الجزائرية عبر مراحل تطورها يلاحظ مدى عجزها عن بلورة رؤية وطنية واحد إزاء الكثير من المسائل الوطنية بأبعادها السياسية والثقافية، فضلا عن عدم قدرتها على تقريب مواقفها من القضايا القومية[3]

مما سبق ليس بوسعنا سوى التأكيد هنا ان فصيل واسع من النخبة المفرنسة قام بأعمال جليلة للحفاظ على مقومات الشخصية الوطنية التي كادت تضيع فتصدى للهجمات الثقافية الشرسة التي ظل المحتل يغذيها بهدف تسهيل عملية سلخ و مسخ و حتى التشويه بعد التشكيك في ماضي المجتمع الجزائري , هذه النخبة المثقفة

---

(1) العربي زبيري : المصدر السابق , ص 20.

(2) نفسه.

(3) نور الدّين زمّام, حول سوسيولوجية المثقف الجزائري, نشر في "إضافات" المجلة العربية لعلم الاجتماع, العدد الأول ، شتاء 2008، ص.ص 126- 141.

انطلقت من العدم لا تملك سوى الارادة و الاصرار, تمكنت من بعث روح الثورة في أوساط الجماهير التي باتت متشبعة بالقيم و مستعدة للتضحية من أجل الحرية و استرجاع السيادة المغتصبة و إحداث التغيير الجذري الكامل و الانتقال الى مصاف المجتمعات المتحضرة.[1]

بالرغم من صحة بعض المزاعم التي مفادها ان النخبة المفرنسة كان بعض المنتمين اليها معقدون اتجاه الثورة لان مشاركتهم كجنود كانت ضعيفة لأجل ذلك فهم يتجنبون الخوض في كل ما له صلة بموضوع الثورة , و هناك من يقول ان سبب العقدة يعود للثورة نفسها لأنها لم تكن تبدي ثقتها بهم بالأخص ايام الكفاح المسلح, حتى أن منهم من تمت تصفيته بتهمة الخيانة و العمالة, حتى اصبحت صفة النخبة تعني العجز و الجبن.[2]

لقد تميزت فئة من هذه النخبة المفرنسة بميزات خاصة، أهمها المساهمة الكبيرة في التربية الوطنية، و تطويرها لمفاهيم جديدة كمفهوم المواطنة، و عليه يمكن الإدلاء بفشل السياسة التعليمية الفرنسية الساعية للاندماج و التنصير، فطول مدة الاحتلال و ظلمه و تمييزه أدى بالعكس ما كان متوقع إلى تعزيز الشعور لدى هؤلاء بالغيرية، الأمر الذي جعلهم (أغلبيتهم) يرفضون الإدماج و سياسة فرنسا القهرية.

كان المنتمون للنخبة المتفرنسة على اختلاف توجهاتهم يطمحون لشغل وظائف سياسية عالية و شغوفين أن يؤذوا دورا رائدا في الشؤون العامة، و لم يكن ممكنا بالنسبة لهم عدم الاكتراث لمستقبل مواطنيهم، فوضعوا أنفسهم مبكرا لحل مشاكل الاهالي و توسيع التمثيل في المجالس النيابية و الحقوق الضرورية لكل أفراد المجتمع. و قد أبدوا اهتماما كبيرا بقانون التجنيد الإجباري الذي اعتبروه فرصة هامة تسمح بالحصول على مزايا و حقوق المواطن، و قادوا حملة واسعة لإقناع الجزائريين بقبول القانون الا أن القانون لقي معارضة شديدة من قبل التيار الانفصالي. وعندما قرر"الشبان الجزائريون" الذهاب إلى باريس لشرح أفكارهم و التعريف بمطالبهم، برز التيار الليبرالي من النخبة المفرنسة ضمن الوفد الأول الذي أرسل في سنة 1908 إلى رئيس الوزراء كليمونصو

---

(1) العربي زبيري : المصدر السابق , ص 19.

(2) نفسه , ص22.

(*Georges Benjamin Clemenceau*)، كما برزوا ضمن الوفد الثاني الذي أرسل في جوان 1912 إلى بوانكاري *(Raymond Poincaré)* رئيس الجمهورية الفرنسية، وذلك لإقناعهما بمنح تعويضات سياسية للأهالي مقابل الخدمة العسكرية و الاعتراف للجزائريين المجندين بحق اختيار الجنسية الفرنسية بعد التسريح. ترأس الوفد الأول المحامي أحمد بوضربة، وقاد الوفد الثاني ابن التهامي، وقد طرحا أنفسهما كمدافعين عن الأهالي على الرغم من حذر هؤلاء من "أولائك المرتدين الذين يزعمون تمثيلهم".[1]

فلقد ظهرت كذلك الدعوة إلى الإدماج الكلي الذي يشمل جميع الميادين :القضاء، الإدارة، الاقتصاد، الثقافة و كان التعليم هو الطريق الأنسب لتحقيق هذه السياسة الاندماجية، و ذلك لتكوين التعليم لمختلف الفئات متميزة حتى و ان كانت من بينها الفئة التي قبلت النفوذ الأوروبي في الجزائر، و العادات و التقاليد الفرنسية.

و قد وصل الامر ببعض المنتمين لجماعة النخبة ان صرح لزميل له و هو فرنسي في المجلس البلدي للعاصمة خير دليل على ذلك قوله :« بأنني أشعر بالخجل من عربيتي... »[2] .

طالبت تلك النخبة بالجنسية الفرنسية و حصلت عليها مما سمح لها بالتقرب من الاحتلال و الدخول في المقاومة السياسية الهادئة ، و طرف آخر رفضها لأنها عبارة عن حرب على الهوية الثقافية للمجتمع الجزائري خاصة مسألة التنازل عن الأحوال الشخصية و بذلك اختلفت آراء الشعب الجزائري تجاه النخب.

ومع حلول القرن العشرين، بدأت النخبة المفرنسة في الظهور على الساحة السياسية في الجزائر، و قد فاجأت النخبة المفرنسة الوسط الأوروبي الذي كان متعودا على النخبة التقليدية وقد أبدت النخبة المفرنسة مواقف تجاه قضايا عديدة تهم الجزائريين،.

---

(1) بن حسين كريمة , المتجنسون :مواقفهم، أفكارهم وطموحاتهم , مجلة العلوم الانسانية, العدد 30, ديسمبر 2008, المجلد أ , ص 132.

(2) أبو القاسم سعد الله :الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930 ، المرجع السابق، ج2 , ص 298.

كما اعتمدت النخبة الجزائرية المفرنسة في إبداء مواقفها المختلفة من خلال الصحافة، النوادي التي أنشأتها والمجالس الانتخابية (المجالس البلدية المجالس العامة- المندوبيات المالية الجزائرية)، وأدت المواقف الصادرة من لدن النخبة المفرنسة إلى تباين المواقف إزاءها وأثرت على العلاقات المختلفة، منها العلاقات مع :

- التيارات الوطنية و السياسية الجزائرية (الأمير خالد – التيار الإصلاحي - نجم شمال إفريقيا وحزب الشعب الجزائري- جمعية العلماء الجزائريين).
- التيارات السياسية الفرنسية، الإدارة الفرنسية و المستوطنين الفرنسيين في الجزائر

تميزت بمواقف مختلفة منها:

- المساواة في الخدمة العسكرية، تمثيل انتخابي عادل في البرلمان الفرنسي بباريس
- الغاء قانون الانديجينا (الأهالي) والمطالبة بالتعليم للجزائريين.
- أن يتساوى الجزائريون مع الفرنسيين في الحقوق والواجبات.
- ادماج الجزائريين في المواطنة الفرنسية مع المحافظة على قانون الأحوال الشخصية الإسلامية "حيث أيدت النخبة المفرنسة مشروع موريس فيوليت(*Maurice Violette*) خلال الثلاثينيات من القرن العشرين" [1]

من منظور آخر نجد أن الأمين العمودي يوضح بجلاء الأفكار الرئيسية التي تشترك فيها الغالبية العظمى من النخبة:" لسنا معادين من حيث المبدأ للإدارة ، بعض منا ليسوا معجبين بها كالعميان بمعنى أنهم لا يقولون آمين لكل حركاتها وسكناتها ويتجرؤون في بعض الأحيان على انتقاد تصرفاتها وأفعالها. نريد تطبيق الحق العام الفرنسي، احترام الدين الإسلامي الصحيح، نهاية حالة الاستثناء. الأوروبي، الكولون أو غيره لا يجب أن ينظر إلى المسلم

[1] سحولي بشير: مواقف النخبة الجزائرية المفرنسة من القضايا الوطنية , رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث , تاريخ المناقشة: 2015/06/11

على انه مكتوب عليه أن يظل أقل منه شأنا وأدنى منه مرتبة، يجب تعليم الأهلي وتدريبه تدريجيا ليتأقلم مع الحياة المعاصرة، يجب أيضا أن تكون العدالة صارمة وغير متحيزة"

رغم هذه المواقف المعتدلة لم يسلم أفراد النخبة هؤلاء من الانتقادات من مختلف الجهات: فهم في وضع غير مريح تتقاذفهم الأمواج بين رفض الوضع الاحتلالي وخوفهم من غضب النظام الاحتلالي، بين اندفاعهم الطبيعي غالبا يغلب عليه الطابع الوطني والخوف من القمع ومن ثم فهم كما يقول محفوظ قداش" مجبرون على إخفاء رفضهم والدوس على اندفاعهم العاطفي عن طريق إصدارهم لتصريحات معبرة عن الولاء وعن الوطنية الفرنسية"

في قول عبد الله حمادي " :يستمر الإلحاح الاحتلالي على انتهاج مثل هذه السياسة الرامية إلى الاندماج الثقافي فيقول الحاكم العام الفرنسي جونار(*Charles Jonnart*) عام 1908 م إنّه من مصلحتنا العمل على خلق نخبة مثقفة من الأهالي القادرة على الاستجابة لأفكارنا التقدمية والعادلة ...إننا في حاجة إلى برجوازية محافظة تساعدنا وتسهل لنا تنفيذ مخططاتنا[1]

في الاخير نرى أنه من الضروري الإشارة إلى أنه , لم يكن لا الاتجاه الحداثي و لا الاتجاه العروبي هو الذي كان له السبق في تفجير الثورة التحريرية بل كانت من إعداد و صنع أبناء مصالي "العاقين" . و لم يجد الباقي من النخب سوى الالتحاق بالركب الذي انطلق بدونهم .[2]

(1) عبد الله حمادي، الحركة الطلابية الجزائرية 1871- 1962م، ط2 ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، د.ت , ص 62.

(2) جمال غريد, ثنائية المجتمع و ثنائية النخبة ,الجذور التاريخية , مركز البحوث العربية و الافريقية , جانفي 2004, ص 79 .

خـــــاتمة

الدراســـــة

خاتمــــــــــــة

بعد أن أنهينا الموضوع و التحليل و التفسير و الشرح و البحث ,اصبحنا ملزمين بإعطاء خلاصة لهذا الكم المتواضع من المعلومات.

لقد حاولنا جاهدين أن نعطي بحثنا هذا حقه الا أننا نقر بأن هذه الصفحات القليلة ما هي في حقيقة الامر الا فيض من غيض لأن دراسة من هذا القبيل تحتاج الى المزيد من الاثراء , لما لها من خصوصية و وقع في نفوس عدد ليس بالقليل من المهتمين بمجال هذه الدراسة, و التي تندرج ضمن المواضيع الفكرية و الثقافية التي ميزت حقبة مصيرية من بداية القرن العشرين الى غاية خمسينياته ,هذه المرحلة و لما لها من اعتبارات عرفت أحداثا جليلة أهمها ظهور الحركات الوطنية و التيارات السياسية و بداية تشكل الأحزاب , و الظاهرة برمتها كانت نتاج حركية فكرية فذة قادتها نخبة جزائرية, ناهيكم عن الحربين العالميتين التي كان لهما الأثر الكبير في تغيير الأوضاع في أوربا كما في الجزائر , فهذه الأحداث رمت بثقلها على الساحة الجزائرية أيضا, فأدت الى حركية نشطة على مختلف الاصعدة سياسيا و اقتصاديا و ثقافيا , الشيء الذي دفع بالنخب الجزائرية الى الاصطفاف خلف ايديولوجيات مختلفة , فمنهم الشيوعي و الليبيرالي و الاندماجي و من بينهم بعض ممن غير مواقفه في منعرج من منعرجات النضال و الكفاح .

حقيقة أن الاحاطة بموضوع النخبة الجزائرية المفرنسة لأمر فيه من الغموض و الصعوبة ما يستدعي لمسات تمحيص و تقصي أهل الاختصاص من ذوي الخبرة و الحصافة من باحثين و دكاترة , إلا أننا حاولنا ان ندلي بدلونا , لنرى ما يمكننا أن نضيفه عرفانا منا لجميل فئة من هذه النخبة كان لها كل الفضل في حفظ الشخصية و الهوية الوطنية من الزوال , كما كنا نتمنى لو أننا تخصصنا في دراسة تيار معين من هذه النخبة , لكانت الفائدة أكبر , ذلك أن عامل الوقت لم يكن في صالحنا .

على كل , حاولنا قدر المستطاع معايشة تلك الحقبة الزمنية بمختلف مراحلها ,و كل تعقيداتها , فكلما غصنا اكثر في واقع جزائر الاحتلال تأكد لدينا أكثر دناءة مخططاته و ما كان يرمي إليه , رغم محدودية نجاحه في ضم النخب التي قام بتكوينها و كله أمل في تفتيت اللحمة الاجتماعية للشعب الجزائري و القضاء تدريجيا على مكونات شخصيته الوطنية , إذا به يفاجأ برد فعل غير منتظر من قبل طيف كبير من الشباب الجزائري الذي تخرج من مدارس و جامعات منظومة الاحتلال , حتى و لو كنا نميل الى أن ما حققه ليس بفعل منظومته التعليمية و إنما الأسباب تعود الى جوانب اجتماعية بحتة , لان مثل هذه الظاهرة لم تقتصر على الدول المحتلة المتخلفة كبلدنا لأن ما شهدته أوربا نفسها في مواجهة ألمانيا النازية لخير دليل حيث ذهب بعض المثقفين الى مدح الدولة النازية وهم الذين لم يتخرجوا حتى من مدارسها و لم تطأ أقدامهم شبرا من أرضها.

إن ما قمنا به لا يعدو أن يكون محاولة منا استعراض جانب من تاريخ نخبة جزائرية كانت محل شد و جذب بين مختلف التيارات الفكرية التي صنعت الحدث في جزائر الاستقلال كما حدث في جزائر ما قبل الاستقلال , و عليه توصلنا في ختام دراستنا هذه الى حوصلة نوردها في نقاط أهمها :

إن النهضة الفكرية التي شهدتها الساحة الثقافية و انتشار التعليم العربي الحر , الذي وان كان يفتقر للمنشآت و المؤسسات و شح الموارد وضعف مناهجه التقليدية ، شكل حصنا منيعا أمام كل محاولات التشويه و الطمس ، وحتى على تلك الأحوال تمكن من التصدي والوقوف ندا للنّد ضد أعتى القوى الاحتلالية و سياساتها الخبيث, مما أجبرها على إعادة النظر في مسألة تعليم أبناء الأهالي لإبعادهم عنه , الشيء الذي سمح بتشييد مدارس شرعية عربية المنهج فرنسية الهوى , إلا أن هذا التعليم أنتج مثقفين من الدرجة الأولى يكتبون و يعبرون بقلم فرنسي قل نظيره و يتقنونها أحسن حتى من الفرنسيين أنفسهم , حيث عجزوا عن مقارعتهم

و انقسمت النخبة الى عدة تيارات أو فصائل و لكل مطالبه , و عليه كانت مطالب الفصيل الأول تتمثل في المساواة في الحقوق المدنية في إطار الجمهورية الفرنسية , و احترام الشخصية الجزائرية و هم الذين

اصطلح على تسميتهم بالاندماجيين , أما الفصيل الثاني فهو المحافظ على مبادئه القديمة و المتمثلة في المطالبة بجمهورية جزائرية ملحقة فدراليا بفرنسا و هذا ما حاول ديغول تطبيقه فيما بعد لكنه فشل, و فصيل ثالث كان وطنيا حتى النخاع كانت مطالبه تتلخص جميعها في الجزائر المستقلة .

إذا فهذه النخبة التي تخرجت من مدارس أنشئت لتكون أداة هيمنة وتأثير على الجماهير، وكان هدفها هو الاستقرار الاجتماعي وإذا بها تنادي بالتغيير الاجتماعي , و منهم من تجرأ من هذه النخبة المفرنسة على تقديم نقد لاذع لسياسات الإدارة الفرنسية، ولممارساتها العنصرية وتوجهاتها الأيديولوجية، ودخلت في نقاش طويل مع مثقفيها حول الكثير من القضايا الثقافية والسياسية والاجتماعية التي تخص المجتمع الجزائري.

وفي الحقيقة , إننا نرى أن أحسن تصنيف لهذه النخبة هو ما ذهب اليه المؤرخ غي برفيي (Guy Pervillé) , و الذي قسم هذه النخبة الى ثلاثة تيارات كل تيار ينقسم بدوره الى قسمين كما يلي(1*) :

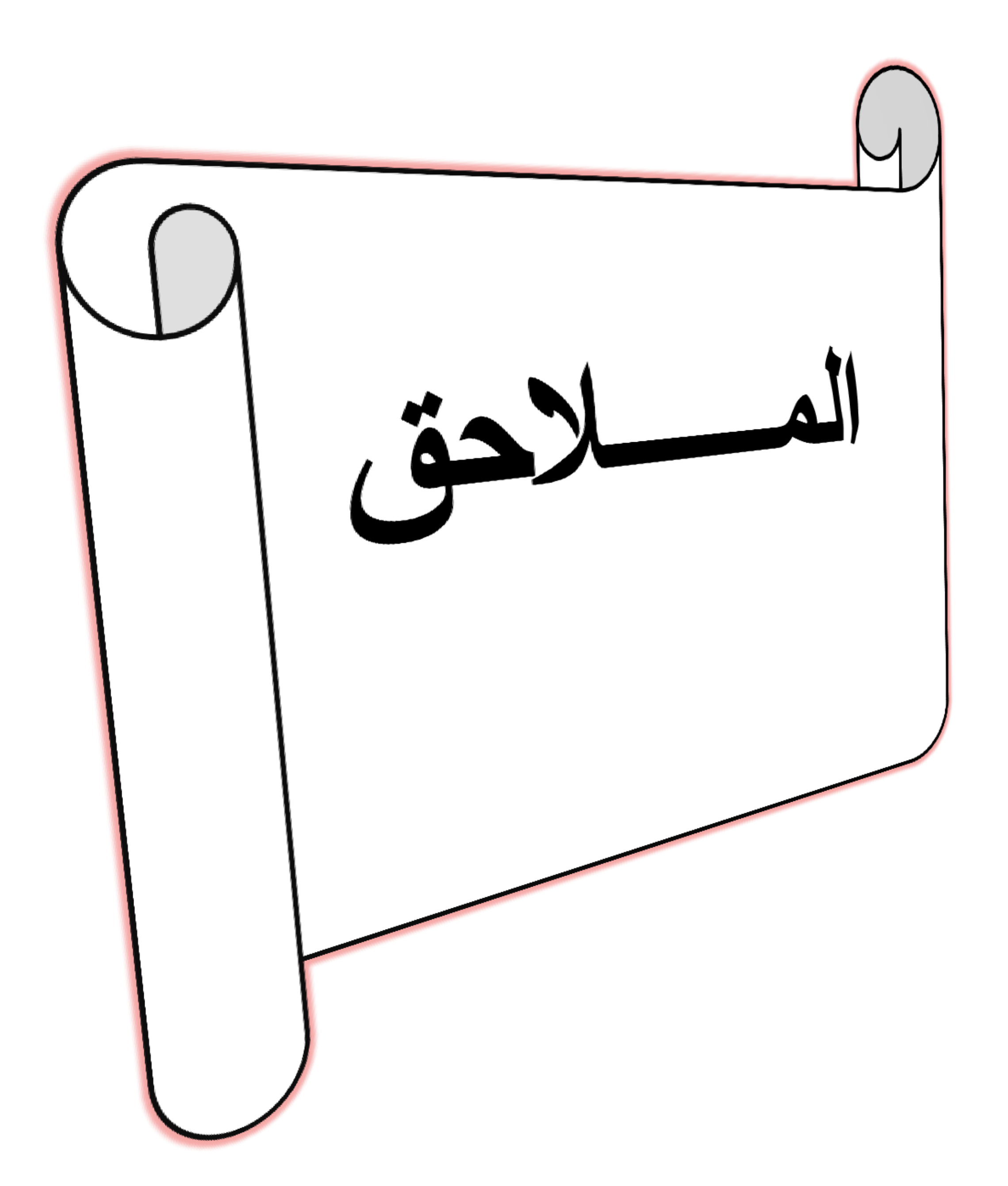
- الاندماجيون : متطرفون و معتدلون من اصحاب الجرائر فرنسية
- أيديولوجية الفرنكومسلمة: تكامليون (*Integration*) من اصحاب الجزائر فرنسية , أما التعاونيون (*Association*) من الاستقلاليين.
- الوطنيون الجزائريون: معتدلون و متطرفون من المنادين بالجزائر المستقلة

و لقد كان لهذه النخبة على اختلاف أيديولوجياتها دور فعال في قيادة دفة الاصلاح و التوعية و نشر التعليم بين أوساط الشعب الجزائري و التخفيف من معاناته , و كتابة العرائض , و المطالبة بحقوقه و الإستماتة في الدفاع عن هويته و عقيدته , في حين كان مثقفون آخرون يعملون جاهدين من أجل ايصال صوت الشعب الى خارج رقعته الجغرافية , كما فعل الأمير خالد بإرساله رسالة إلى الرئيس الأمريكي ويلسون (*Woodrow*

(*)- أنظر الملاحق

Wilson) أثناء حضوره بمؤتمر الصلح بباريس , و الكثير منهم تعرض الى شتى أنواع الضغوطات المضايقات و الإزعاج ,وتمت تصفية العديد منهم أمثال الكاتب الكبير مولود فرعون و الامين العمودي و أحمد رضا حوحو و غيرهم كثر .

في ختام هذا العرض اليسير , و نحن نهم لإدراك المغازي رأينا أنه من المجدي هنا الحديث عن الإيديولوجية اللغوية الفرنكوفونية التي لم تكن تنم لزوما عن قصور الغيرة الوطنية، كما كانت تزعم شريحة واسعة من غلاة المعربين، غير أن بعض المفكرين وكثيرون ممن يذهبون مذهبهم يرون أن: ليست اللغة مجرد أداة، بل الصحيح، وذلك في ظروف معينة، أن الإنسان هو أداة اللغة التي يلفظ بها، فهي التي تتكلم من خلاله، وتحدد مشاعره ونزعاته واتجاهاته، فالإنسان بقدر ما يمتلك لغة بقدر ما أن هذه اللغة تمتلكه. أما من وجهة نظرنا نحن , فان هذا لا ينطبق، على بعض المفرنسين الوطنيين الذين كانوا متمكنين ليس من الفرنسية فحسب بل العربية أيضا.


المــــلاحق

الملحـــــــق رقم 1 : جدول يبين عدد الجامعيين الجزائريين

أبناء الأهالي الجزائريين من المنتسبين للجامعات والمدارس العليا بفرنسا من 1916-1955

السنة	عدد الطلبة	الجامعات والمدارس العليا بفرنسا
1916	61	
1932	100	
1941	142	
1956	360	
1951	386	
1952	442	
1953	572	
1954	513	
1955	584	

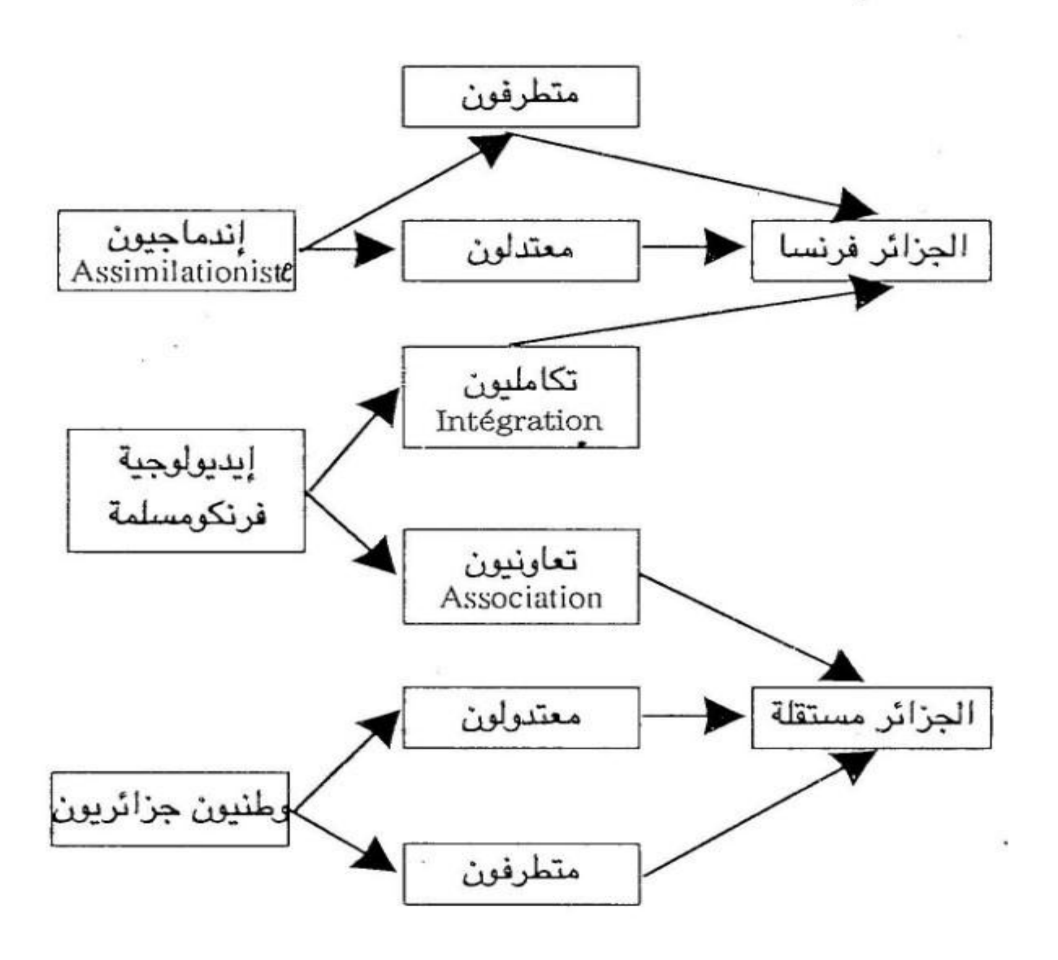
أبناء الأهالي الجزائريين من المنتسبين للجامعات والمدارس العليا بفرنسا من 1916-1955

السنة	عدد الطلبة	المدارس المزدوجة او الثانويات
1870	271	المدارس المزدوجة
1889	21	الثانويات الفرنسية بالجزائر
1893	69	=
1900	85	=
1905	125	=
1910	180	=
1914	386	=
1914	67 طالبا حاملا على شهادة الباكالوريا	
1940	1358	الثانويات الفرنسية بالجزائر
1945	1800	=
1951	4192	=
1954	626	=
1954	350 طالبا حاملا على شهادة الباكالوريا	

21

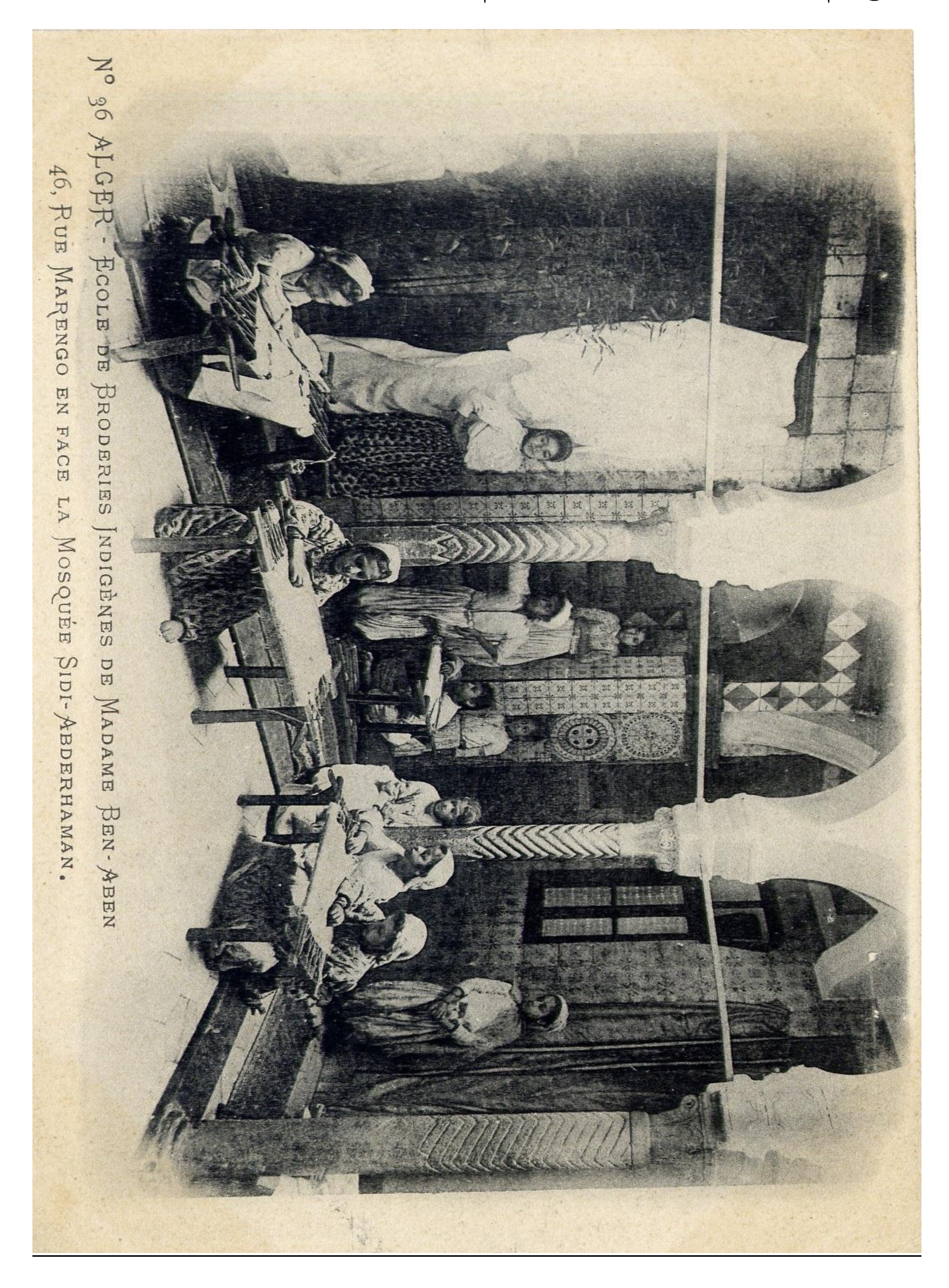
المصدر:عبد الله حمادي الحركة الطلابية الجزائرية ص 21

الملحق رقم 2 : تصنيف Guy Pervillé للنخبة المثقفة المفرنسة



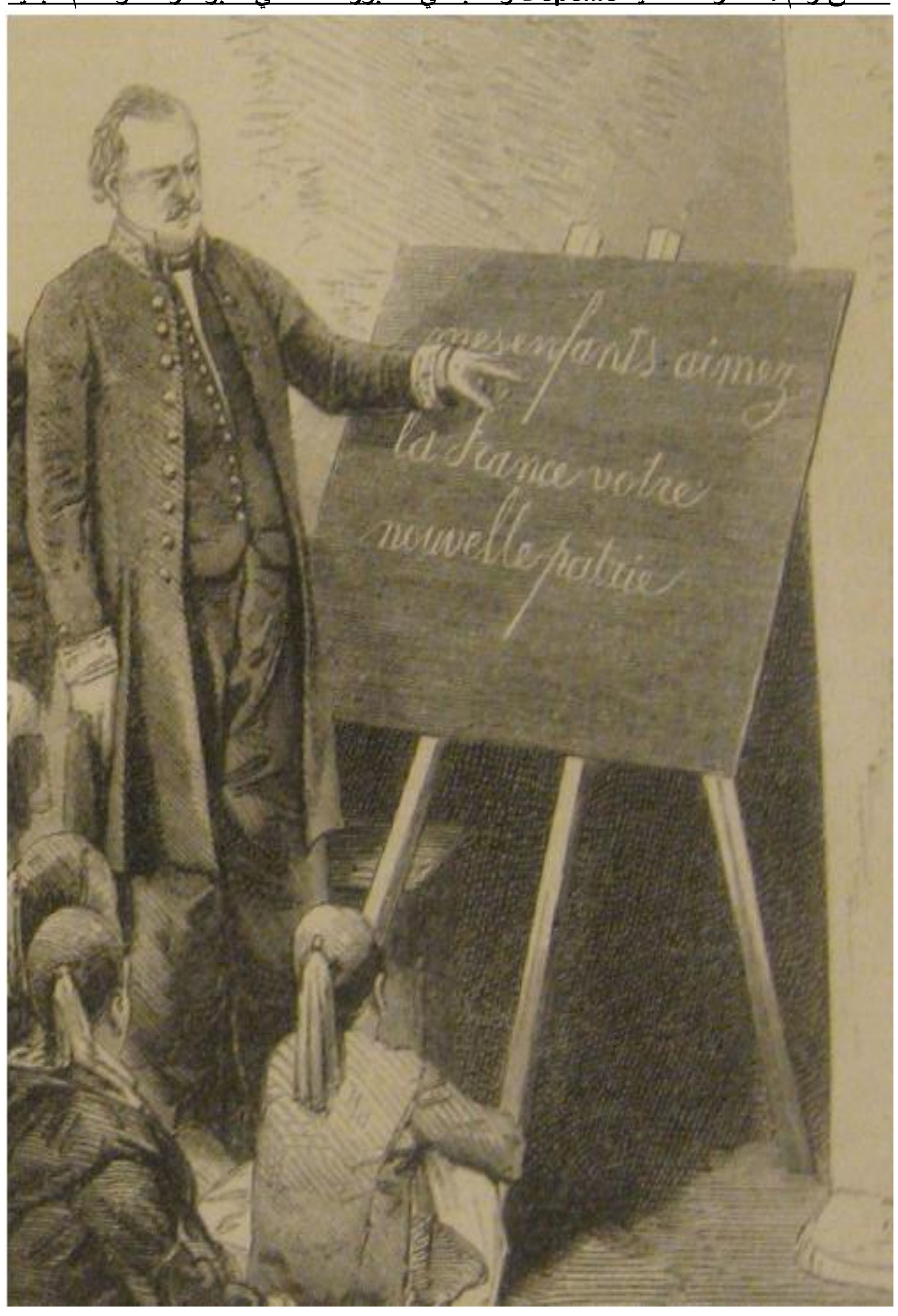
المصدر:عبد الله حمادي الحركة الطلابية الجزائرية ص 68

الملحق رقم 3: مدرسة السيدة Ben Aben لتعليم الفتيات الخياطة و التطلايزعوض تعليمهن القراءة



المصدر_Rebecca Rogers, la mission civilisatrice au feminin

الملحق رقم 4: مدرسة السيد Depeille و كتب في السبورة :"أطفالي أحبوا فرنسا وطنكم الجديد



المصدر Rebecca Rogers, la mission civilisatrice au feminin

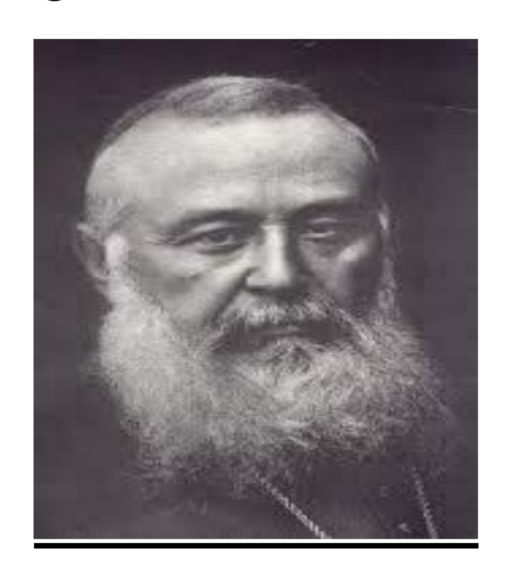
الملحق رقم 5 : ملصق مناهض للاحتلال بمناسبة مئوية الإحتلال



ملصق يساري منددّ بالنظام الاستعماري –1930

المصدر :بشير بلاح ,تاريخ الجزائر المعاصر ص, 441

الملحق رقم 6 :أقطاب التبشير في الجزائر



شارل لا فيجري الكاردينال الذي قاد حملات التنصير في الجزائر.

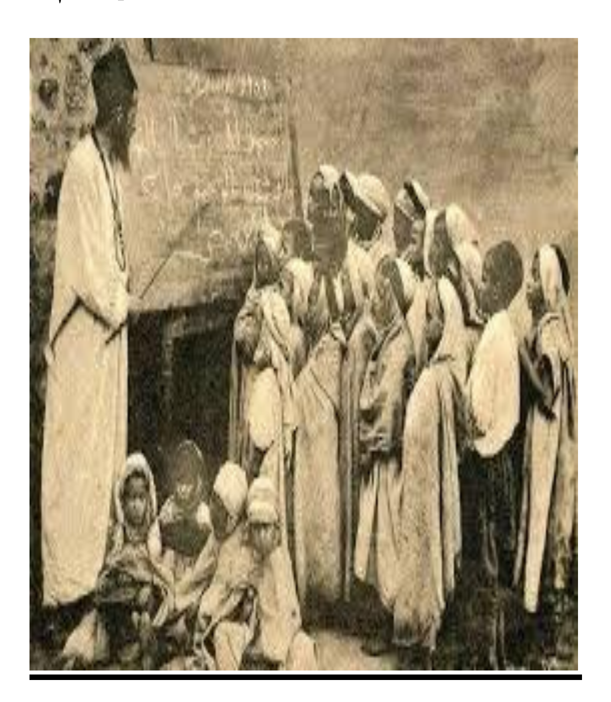


شارل دو فوكو من المسؤولين الكبار على حملات التنصير.



أسقف الجزائر.

الملحق رقم 7 : التعليم العربي الحر





حلقات تحفيظ القرآن

الملحق 8 :أعضاء اللجنة المركزية لنجم الشمال الأفريقي

نجم الشمال الافريقي

وقد تأسست حركة نجم الشمال الافريقي على انقاض جمعية دينية كانت هي النواة الاولى وعاشت سنة كاملة من أول 1925 الى أوائل 1926 .

(1) وانعقد اول اجتماع بشهادة السيد بانون اكلي احد اعضائها الأوائل يوم 15 ماي بنهج بروطان وفيه وقع الاتفاق على اسم «نجمة شمال افريقيا» .

وفي 2 جوان عقد اول اجتماع عام اعلن فيه عن تأسيس الحركة وعن اسمها وفي 2 جويلية انعقد اجتماع للأعضاء بقاعة النقابة وفيه تأسست اللجنة المركزية أشهرهم كما يلي :

الرئيس . حاج علي عبد القادر	تاجر	غليزان	شيوعي
الكاتب العام مصالي الحاج	بائع متجول	تلمسان	
أمين المال شايلة الجيلالي	اصلاح المغارج	البليدة	شيوعي
الاعضاء الي الجيلاني محمد السعيد	عامل	الاربعاء نايث ايرائن	
» « أكلي بانون	عامل وخضار	سيدى عيش	
» « معروف محمد	مسئول نقابي	الأصنام	شيوعي
» « قدور فار	معطوب	الأغواط	
» « سعدون	عامل	بني عباس	
» « مقرروش	بطال	بني عباس	
» « عبد الرحمن السبتي	طالب كتاب	العلمة أو الخروب	
» « آيت تودرت	معطوب	عين الحمام	شيوعي
» « ايفور محمد	معطوب	الاربعاء نايث ايرائن	

— 35 —

المصدر: محمد قنانش الحركة الاستقلالية في الجزائر ص 35

الملحق 9: جريدة الشعب لسان الحركة الوطنية

ارادة الشعب من ارادة الله وارادة الله لا تقاوم

الشعب

لسان الحركة الوطنية بالجزائر الساعية للعروبة

المدير السياسي: مصالي الحاج

صاحب الامتياز: ابن الامين علي

رئيس قلم التحرير: مفدي زكريا

أمين المال: مسطول محمد

الادارة العامة: نهج بوتان رقم 14 بالجزائر

14, Rue Boutin — ALGER

الاعلانات: يتفق في شأنها مع الادارة

صرخة الشعب

مبدؤنا في طريق الجهاد

محكمة الشعب

كاد المريب ان يقول خذوني

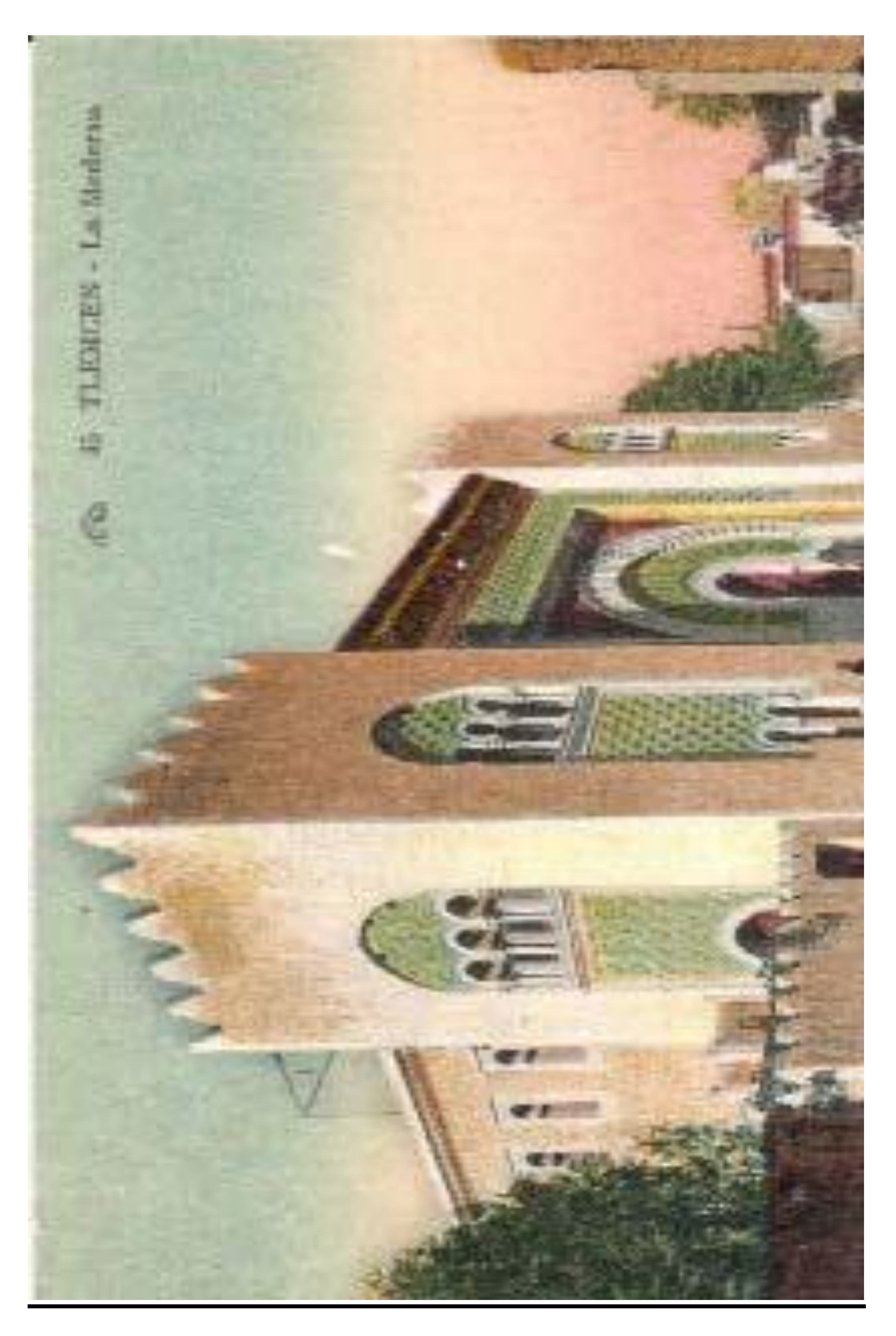
الاستعمار يقلب الحقائق ! ضربني وبكى..

اعتقال الزعيم مصالي الحاج

وخمسة اعضاء معه

وانتم ايها القراء الكرام:

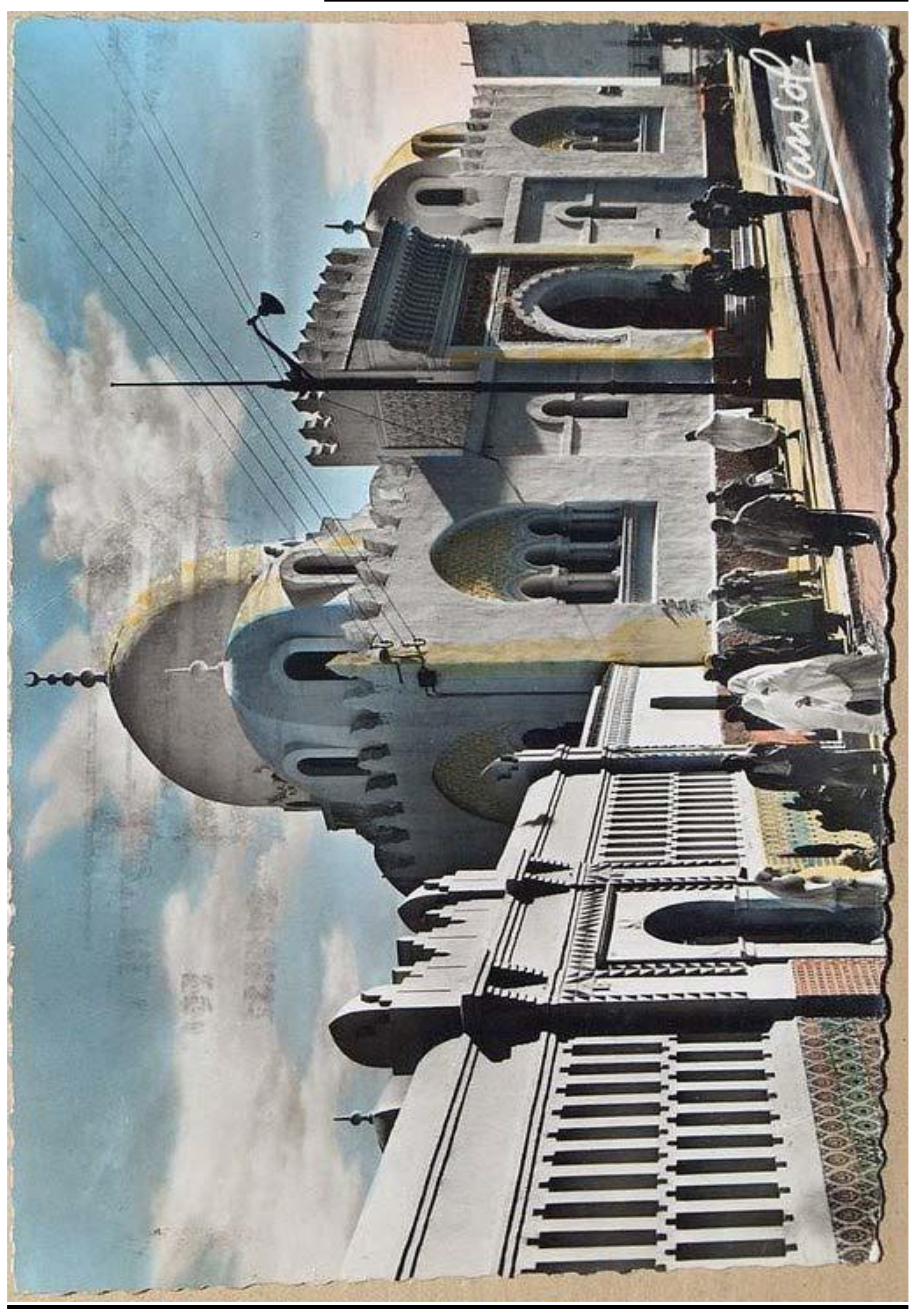
الملحق 10 : المدرسة الشرعية سيدي بومدين تلمسان



الملحق 11 : المدرسة الشرعية بقسنطينة



الملحق 12 : المدرسة الثعالبية بالجزائر العاصمة



الملحق 13: مرسوم 30 /09/ 1850 الذي تم بمقتضاه تأسيس المدارس الشرعية

DECRET

Au nom du Peuple Français.

Le président de la République,

Vu les propositions du Gouverneur-Général de l'Algérie et l'avis du Conseil du gouvernement, en date du 24 janvier 1850, sur un projet d'organisation de l'instruction publique musulmane;

Vu les arrêtés du Président du Conseil, chargé du Pouvoir exécutif, des 16 août et 9 décembre 1848;

Considérant qu'il importe de placer sous la surveillance et la direction du Gouvernement tous les établissements d'instruction publique musulmane.

Considérant la décadence des écoles où étaient consignées les hautes études musulmanes qui peuvent seules fournir des candidats pour les fonctions de muphti, de cadi, d'imam, de khodja, et autres emplois réservés aux Indigènes dans les services administratifs de l'Algérie;

Sur la proposition du Ministre de la guerre,

Décrète:

CHAPITRE 1er

Instruction primaire et secondaire

Art. 1er- L'instruction primaire et l'instruction secondaire, données dans les écoles musulmanes, sont placées sous la haute surveillance du Gouverneur-Général, qui s'exercera par l'intermédiaire des Préfets dans les territoires civils, et dans les territoires militaires par les Généraux commandants les divisions.

Il n'est apporté aucune modification aux conditions d'existence et au mode d'instruction actuellement en usage.

Art. 2- Un fonds annuel, inscrit au budget de l'Etat, sera affecté à accorder des gratifications aux instituteurs qui se seront fait remarquer, et aux élèves les plus méritants.

Le Gouverneur- général de l'Algérie arrêtera la répartition de ces fonds, sur les propositions qui lui seront faites par les Généraux commandant les divisions et les préfets. Il en rendra compte au Ministre de la guerre.

CHAPITRE II

Ecoles supérieures musulmanes

Art. 3- Il est institué aux frais de l'Etat, dans chacune des villes de Médéah, Tlemsen et Constantine, une école supérieure (*medressa*) pour former des candidats aux emplois dépendants des services de culte, de la justice, de l'instruction publique indigène et des bureaux arabes.

Art. 4- l'enseignement des écoles supérieures est gratuit, et comprend:

Un cours de grammaire et de littérature (nahhou);

Un cours de droit et de jurisprudence (fak);

Un cours de théologie (touhhid).

Art. 5- le personnel de chaque école se compose de:

Un directeur, chargé en même temps de faire un des trois cours, auquel il sera alloué un traitement de ....2.100 fr

Deux professeurs au traitement de................. 1.500 fr 3.000

Un oukaf (homme de peine) au traitement de..............................600

Art. 6- Les directeurs et professeurs des écoles supérieures musulmanes sont nommés par le Ministre de la guerre, sur la proposition du Gouverneur-Général de l'Algérie.

L'oukaf est nommé par le général commandant la division, sur la désignation du directeur de l'école.

Art. 7- Chaque école supérieure sera installée auprès d'une des mosquées auxquelles étaient attenantes des medressa.

Une subvention de 100 fr. par an sera accordée aux dix élèves les plus méritants de chaque école; il leur sera également donné un logement dans l'établissement, si les dispositions du local le permettent.

Art. 8- Les écoles supérieures sont placées sous la surveillance de officiers généraux commandant les provinces. Cette surveillance s'exerce par l'intermédiaire des bureaux arabes.

Art. 9- Les écoles supérieures sont inspectées, chaque année, par un des officiers français attachés aux affaires arabes, et par un des professeurs aux chaires publiques d'arabe désigné par le gouverneur général de l'Algérie.

Art. 10- Les dépenses résultant de la création des écoles supérieures musulmanes sont à la charge du budget de la guerre.

Art. 11- Le ministre de la guerre est chargé de l'exécution du présent décret.

Fait à l'Elysée National, le 30 septembre 1850.

Signé: *L-N BONAPARTE*
Le Ministre de la Guerre.
D'HAUTPOUL.
Vu pour être promulgué en Algérie:
Alger, le 3 octobre 1850
Le Gouverneur Général de l'Algérie.
Singé: *V. CHARON.*

الملحق 14: مرسوم 1885/07/23 تعديل و تحسين نمط التسييرل شؤون المدارس و شروط الالتحاق بها

Décret du 23 Juillet 1895

Le Président de ta République française,

Sur le rapport du Ministre de l'instruction publique, des beaux-arts et des cultes.

Le Conseil Supérieur de l'instruction publique entendu,

Décrète

TITRE PREMIER

Des Médersas

ARTICLE PREMIER. _ La durée des études dans les médersas d'Alger, de Constantine et de Tlemcen est de quatre années.

ART. 2. _ Les musulmans qui se présentent pour admis dans un de ces établissements doivent justifier du certificat d'études primaires élémentaires et subir examen d'entrée

ART. 3. _ L'enseignement comprend les objets suivants:

1° Langue française; notions d'histoire et de géographie, de droit usuel et d'organisation administrative;

2° Arithmétique ; notions de géométrie, de sciences physiques et naturelles;

3° Langue arabe;

4° Droit musulman avec *ses* applications pratiques;

5° Théologie musulmane

ART. 4. _ A la médersa d'Alger, il comprend, en outre, pour les Catégories d'élevés déterminées par le Gouverneur général de l'Algérie, la langue kabyle et le droit coutumier des kabyles. ......

ART. 5. _ Ceux des élèves qui, à la fin de la quatrième année, subissent avec succès l'examen de sortie, reçoivent le certificat d'études des médersas.

TITRE II

De la division supérieure de la Médersa d'Alger

ART. 6. _ Il est institué une division supérieure à la médersa d'Alger.

ART. 7. _ La durée des études y est de deux ans.

ART. 8. _ Les élèves en sont recrutés parmi les musulmans qui auront obtenu le certificat d'études prévu à l'article 5 ci-dessus.

Exception pourra être faite à cette règle par décision spéciale du Gouverneur général de l'Algérie.

ART. 9. _ L'enseignement de la division supérieure comprend les objets suivants:

1° Théologie musulmane et exégèse coranique;

2° Droit musulman et sources de ce droit;

3° Littérature arabe, rhétorique et logique;

4° Histoire de la civilisation française;

5° Eléments de droit français et de législation algérienne.

ART. 10. _ Ceux des élèves qui, à la fin de la deuxième année, subissent avec succès l'examen de sortie reçoivent le diplôme d'études supérieures des médersas.

ART. 11. _ Après les trois années d'exercice dans une des fonctions publiques qui seront déterminées par un arrêté du Gouverneur général, les musulmans pourvus du certificat de capacité prévu à l'article 5 pourront être admis à suivre les cours de deuxième année de la division supérieure d'Alger, en vue d'obtenir le diplôme d'études supérieures.

ART. 12. _ Les programmes et les conditions des examens d'entrée et de sortie prévus aux articles 2, 5 et 10 ci-dessus seront déterminés par arrêtés du Gouverneur général de l'Algérie, sur la proposition du Recteur d l'Académie d'Alger.

ART. 13. _ Par délégation du Ministre de l'instruction publique, des beaux-arts et des cultes, le Gouverneur général de l'Algérie est chargé de l'exécution du présent décret.

Fait à Paris, le 23 juillet 1895,
FELIX FAURE
Par le Président de ta République,
Le Ministre de l'instruction publique,
des beaux-arts et des cultes,
R.POINCARÉ.



المدخل الرئيسي للمدرسة التاشفينية (1318)
التي قال في شأنها قائد عسكري فرنسي
"هي أجمل من أن تكون للعرب"
(تم تحطيمها بقرار تعسفي سنة 1873)
أنظر بعينك بهجتي و سنائي
و بديع إتقاني و حسن بتنائي
و بديع شكلي و اعتبر فيما ترى
من نشأتي بل من تدفق مائي
جسم لطيف والذي سيلانه
صاف كذوب الفضة البيضاء
قد حف بي أزهار و شي نمقت
نغدت كمثل الروض غب سمائي

ACADÉMIE d'Alger

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE

DÉPARTEMENT d'Oran

BREVET DE CAPACITÉ POUR L'ENSEIGNEMENT PRIMAIRE

INSTITUTEURS. — BREVET ÉLÉMENTAIRE

Le Recteur de l'Académie d'Alger, Chevalier de la Légion d'honneur,

Vu l'article 21 de la loi du 30 octobre 1886;

Vu les articles 106 et 107 du décret du 18 janvier 1887;

Vu les articles 134 à 149 inclus de l'arrêté en date du même jour;

Vu le procès-verbal de l'examen subi par M. Mohamed ben Mesli dans les conditions déterminées par le décret et l'arrêté susvisés;

Vu le certificat en date du 19 octobre 1887, par lequel la Commission d'examen siégeant à Oran département d'Oran pour la 2e session de 1887, atteste que M. Mohamed ben Mesli né le 5 mars 1868, à Tlemcen département d'Oran, a été jugé apte à obtenir un Brevet élémentaire pour l'enseignement primaire;

Délivre à M. Mohamed ben Mesli le présent Brevet.

Fait à Alger, le 30 Novembre 1887.

Signature de l'Impétrant :

Le Recteur de l'Académie d'Alger,

جداول تبين المسار و الوضع التربوي للمدارس الإسلامية الثلاث (الجزائر, قسنطينة , تلمسان)[1]

		1891				1892			
		الجزائر	قسنطينة	تلمسان	المجموع	الجزائر	قسنطينة	تلمسان	المجموع
التلاميذ الأحرار		8	16	11	35	10	5	12	27
المنح	الوضعية	4	5	10	19	14	11	18	43
	الخروج	10	5	/	15	10	5	/	15
	البلديات	/	12	4	16	1	15	3	19
التلاميذ النظاميون		22	38	25	85	35	36	33	
المتخرجون (المتحصلين على الشهادة)		6	11	7	24	5	4	7	16
عدد المستمعين المتطوعين		3	11	4	18	6	11	10	27

		1893				1894			
		الجزائر	قسنطينة	تلمسان	المجموع	الجزائر	قسنطينة	تلمسان	المجموع
التلاميذ الاحرار		15	26	26	67	7	20	9	36
المنح	الوضعية	8	7	17	32	13	6	29	48
	الخروج	10	4	/	14	10	4	/	14
	البلديات	3	13	3	19	2	11	4	17
التلاميذ النظاميون		36	50	46		32	41	42	
المتخرجون (المتحصلين على الشهادة)		3	4	4	11	5	10	8	23
عدد المستمعين المتطوعين		2	11	6	19	4	12	4	20

		1895				1896			
		الجزائر	قسنطينة	تلمسان	المجموع	الجزائر	قسنطينة	تلمسان	المجموع
التلاميذ الاحرار		11	12	14	37	24	8	8	40
المنح	الوضعية	12	6	22	40	13	8	23	44
	الخروج	10	6	/	16	10	4	/	14
	البلديات	2	10	2	14	3	7	2	12
التلاميذ النظاميون		35	34	33		50	27	34	
المتخرجون (المتحصلين على الشهادة)						7	4	9	20
عدد المستمعين المتطوعين		6	10	6	22	10	3	/	13

المصدر : Benkalfat R. Note d'archives concernant la medersa de tlemcen 19056-2005 journées d'études 4-5 Mai 2005 ED ECOLYMET TLEMCEN

جداول تبين المسار و الوضع التربوي للمدارس الإسلامية الثلاث (الجزائر, قسنطينة , تلمسان)[1]

		1897				1898			
		الجزائر	قسنطينة	تلمسان	المجموع	الجزائر	قسنطينة	تلمسان	المجموع
التلاميذ الأحرار		16	14	14	44	4	5	5	14
المنح	الوضعية	26	13	5	44	29	19	25	73
	الخروج	10	/	6	16	10	6	/	16
	البلديات	8	3	11	22	7	7	3	17
التلاميذ النظاميون		60	30	36		50	37	33	
المتخرجون (المتحصلين على الشهادة)		12	4	5	21	24	20	17	61
عدد المستمعين المتطوعين		14	4	5	23	5	3	5	13

		1899				1900			
		الجزائر	قسنطينة	تلمسان	المجموع	الجزائر	قسنطينة	تلمسان	المجموع
التلاميذ الاحرار		11	9	6	26	24	13	8	45
المنح	الوضعية	28	18	28	74	34	15	25	74
	الخروج	10	6	/	16	10	6	/	16
	البلديات	5	5	3	13	7	6	4	17
التلاميذ النظاميون		54	38	37		75	40	37	
المتخرجين (المتحصلين على الشهادة)		20	15	8	43	19	6	8	33
المتخرجون – الجزائر العاصمة		3	/	/	3	4	/	/	4
عدد المستمعين المتطوعين		6	2	1	9	5	7	5	17

		1901				1902			
		الجزائر	قسنطينة	تلمسان	المجموع	الجزائر	قسنطينة	تلمسان	المجموع
التلاميذ الاحرار		19	10	12	41	11	10	3	24
المنح	الوضعية	35	14	21	70	56	31	29	
	الخروج	10	6	/	16	10	6	/	16
	البلديات	10	9	2	21	3	9	1	13
التلاميذ النظاميون		74	39	35		80	56	33	
المتخرجون (المتحصلين على الشهادة)		18	5	8	31	14	25	/	39
المتخرجون – الجزائر العاصمة						10	/	/	10
عدد المستمعين المتطوعين		7	6	5	18	10	5	5	20

جداول تبين المسار و الوضع التربوي للمدارس الإسلامية الثلاث (الجزائر, قسنطينة , تلمسان)[1]

		1903				1904			
		الجزائر	قسنطينة	تلمسان	المجموع	الجزائر	قسنطينة	تلمسان	المجموع
التلاميذ الاحرار		16	7	7	30	18	12	11	41
المنح	الوضعية	59	36	29		72	35	34	
	الخروج	10	6	/	16	10	6	/	16
	البلديات	3	9	2	14	6	7	1	14
التلاميذ النظاميون		86	58	38			60	43	
المتخرجون (المتحصلين على الشهادة)		17	6	8	31	15	2	6	23
المتخرجون – الجزائر العاصمة		5	/	/	5	6	/	/	6
عدد المستمعين المتطوعين		3	10	8	21	9	8	7	24

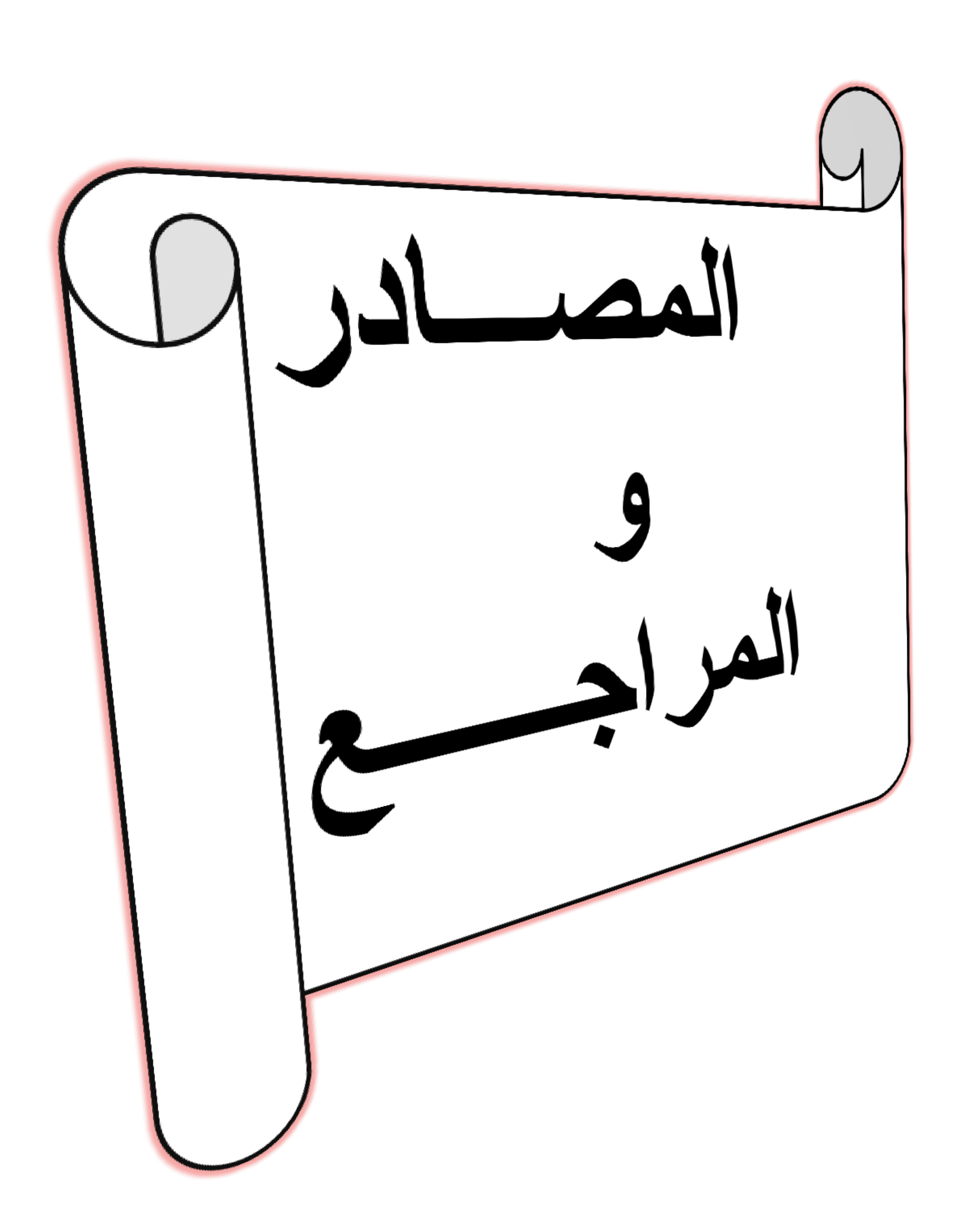
		1905				1906			
		الجزائر	قسنطينة	تلمسان	المجموع	الجزائر	قسنطينة	تلمسان	المجموع
التلاميذ الاحرار		18	3	5	26	3	21	4	28
المنح	الوضعية	70	40	42	/	74	36	42	/
	الخروج	10	6	/	16	10	6	80	96
	البلديات	4	6	/	10	6	6	1	13
التلاميذ النظاميون		96	70	47		93	68	47	
المتخرجون (المتحصلين على الشهادة)		/	6	8	14	/	6	8	14
المتخرجون – الجزائر العاصمة		11	/	/	11	12	/	/	12
عدد المستمعين المتطوعين		6	8	6	20	9	12	4	25

		1907				1908			
		الجزائر	قسنطينة	تلمسان	المجموع	الجزائر	قسنطينة	تلمسان	المجموع
التلاميذ الاحرار		13	16	9	38	21	11	15	47
المنح	الوضعية	74	35	42		65	41	44	
	الخروج	10	6	/	16	3	6	6	
	البلديات	5	3	6	14	3	2	5	10
التلاميذ النظاميون		/	69	57	/	92	60	64	
المتخرجون (المتحصلين على الشهادة)		5	3	6	14	/	6	8	14
المتخرجون – الجزائر العاصمة		14	/	/	14	12	/	/	12
عدد المستمعين المتطوعين		15	11	7	33	9	9	14	32

جداول تبين المسار و الوضع التربوي للمدارس الإسلامية الثلاث (الجزائر, قسنطينة , تلمسان)[1]

		1909				1910			
		الجزائر	قسنطينة	تلمسان	المجموع	الجزائر	قسنطينة	تلمسان	المجموع
التلاميذ الاحرار		13	16	9	38	2	/	7	9
المنح	الوضعية	70	42	40	/	80	54	42	/
	الخروج	3	/	/	/	1	6	/	7
	البلديات	3	6	5	14	2	2	5	9
التلاميذ النظاميون		89	70	/	/	85	62	54	/
المتخرجون (المتحصلين على الشهادة)		/	/	/	/	2	/	2	4
المتخرجون – الجزائر العاصمة		/	/	/	/	13	/	/	13
عدد المستمعين المتطوعين		/	/	/	/	7	8	12	27

		1911				1912			
		الجزائر	قسنطينة	تلمسان	المجموع	الجزائر	قسنطينة	تلمسان	المجموع
التلاميذ الاحرار		1	/	7	8	12	1	14	27
المنح	الوضعية	82	55	39	/	81	53	42	/
	الخروج	1	6	/	7	/	5	/	5
	البلديات	2	1	8	11	2	/	4	6
التلاميذ النظاميون		86	62	54	/	95	59	60	/
المتخرجون (المتحصلين على الشهادة)		9	/	2	11	7	/	1	8
المتخرجون – الجزائر العاصمة		15	/	/	15	13	/	/	13
عدد المستمعين المتطوعين		10	13	10	33	12	11	8	31


المصــــادر
و
المراجــــع

قائمة المصادر العربية :

- ❖ أبو القاسم سعد الله , الحركة الطلابية الجزائرية 1900-1930 , الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر , 1983 .
- ❖ أبو القاسم سعد الله ، الأمير شكيب أرسلان والقضية الجزائرية ،" أبحاث وآراء" الجزء الرابع , دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996 .
- ❖ أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ،بيروت: دار الغرب الاسلامي ، 1998 .
- ❖ أبو القاسم سعد الله , مجلة الثقافة , وزارة الثقافة و السياحة ,العدد 79.
- ❖ أبو القاسم سعد الله, محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث, الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ,الطبعة الثالثة ,الجزائر 1990.
- ❖ أحمد توفيق المدني كتاب الجزائر ,المطبعة العربية الجزائر 1931 .
- ❖ أحمد توفيق المدني , هذه هي الجزائر , مكتبة النهضة المصرية 1956 .
- ❖ أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، مذكرات أحمد باي حمدان خوجة أحمد بوضربة، تعريب محمد العربي الزبيري، منشورات السهل، الجزائر، 2009.
- ❖ أحمد طالب الإبراهيمي, آثار الإمام البشير الإبراهيمي، الجزء الثاني، 1940/1952 دار الغرب الاسلامي ,الطبعة الأولى , الجزائر ,1997.
- ❖ الجيلالي عبد الرحمن ، تاريخ الجزائر العام ، دار الأمة، الجزائر, 2010.
- ❖ الشريف بن حبيلس :الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي، ترجمة: عبد الله حمادي؛ فيصل الأحمر و وسيلة بوسيس، دار بهاء الدين، قسنطينة،2009.
- ❖ العربي زبيري , المثقفون الجزائريون و الثورة منشورات المتحف الوطني للمجاهد, الجزائر 1995.

❖ إيفون تيران :المجابهات الثقافية في الجزائر المستعمرة المدارس و الممارسات الطبية و الدين-1880 . 1830.ت :محمد عبد الكريم أوزغلة .مراجعة و إشراف :مصطفى ماضي، دار القصبة للنشر, الجزائر . 2007

❖ بشير بلاح ,تاريخ الجزائر المعاصر من 1830 الى 1989,الجزء الأول , دار المعرفة, الجزائر 2006.

❖ بورنان سعيد ، شخصيات بارزة في كفاح الجزائر1962-1830، دار الأمل، تيزي وزو، ط 2 , 2004.

❖ حميدة عميراوي ,جوانب من السياسة الفرنسية و ردود الفعل الوطنية ,دار البعث للطباعة و النشر قسنطينة 1984.

❖ حميدة عميراوي, دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية "1827-1840" الطبعة الأولى، دار البعث، الجزائر 1987 ..

❖ شارل روبير اجيرون, تاريخ الجزائر المعاصرة, الطبعة الأولى ,ترجمة :عيسى عصفور, منشورات عويدات ,بيروت 1982.

❖ عبد الحميد زوزو، تاريخ الاستعمار والتحرر في افريقيا وآسيا، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1997 .

❖ عبد الحميد زوزو, نصوص و وثائق في تاريخ الجزائر المعاصر1900 - 1830 ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984 .

❖ عبد العزيز فلالي , تلمسان في العهد الزياني ،الجزائر ،المؤسسة الوطنية، 2002 .

❖ عبد القادر حلوش , سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر ,الطبعة الأولى , دار الامة للطباعة و النشر, الجزائر 1999.

- ❖ عبد الله حمادي الحركة الطلابية الجزائرية 1871-1962,الطبعة الثانية, المؤسسة الوطنية للنشر و الاشهار , الجزائر 1995
- ❖ عمار بوحوش ,التاريخ السياسي للجزائر من البداية و لغاية 1962 , دار الغرب الإسلامي , بيروت 1997.
- ❖ عمر لرجان, المدرسيون: مصير نخبة, مركز البحوث العربية و الافريقية ,مصر, يناير 2004
- ❖ غي برفلي , النخبة الجزائرية الفرانكفونية 1880-1962 , تعريب: م حاج مسعود , أ.بكلي , ع.بلعريبي ,دار القصبة للنشر الجزائر , 2007
- ❖ فاطمة الزهراء قشي, قسنطينة في عهد صالح باي البايات، منشورات ميديا بلوس، قسنطينة 2005 .
- ❖ كمال السيد أبو مصطفي , جوانب من الحياة الإجتماعية و الإقتصادية و الدينية و العلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل و فتاوى المعيار المعرب . القاهرة : مركز الإسكندرية للكتاب ،1997 .
- ❖ مالك بن نبي, في مهب المعركة, مشكلات الحضارة, الطبعة الثالثة , دار الفكر ,سوريا 1981.
- ❖ مالك بن نبي, مذكرات شاهد للقرن، الطبعة الثانية , دار الفكر دمشق سورية 2004 .
- ❖ مالك بن نبي , وجهة العالم الإسلامي، الطبعة الخامسة ، ترجمة :عبد الصبور شاهين، الجزائر، دار الفكر 1986
- ❖ محمد بن ميمون الجزائري ,التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تقديم و تحقيق, محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر 1972 .
- ❖ مصطفى الاشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، ترجمة حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983 .
- ❖ مولود قاسم نايت بلقاسم: أصالة أم إنفصالية، الجزء الثاني2، المؤسسة الوطنية للكتاب.

- ناصر الدين سعيدوني و المهدي البوعبدلي:الجزائر في التاريخ, العهد العثماني, وزارة الثقافة و السياحة, و م .و .ك، . الجزائر 1984.
- رابح تركي ، الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم، الطبعة الثانية، الشركة الوطنية, للنشر، الجزائر
- فرحات عباس ، حرب الجزائر وثورتها، ليل الاستعمار، ترجمة أبو بكر رحال، المحمدية , المغرب
- محمد العربي ولد خليفة، الثورة الجزائرية معطيات وتحديات ، الطبعة الأولى ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1991
- نور الدين عبد القادر ،صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي ، مطبعة البعث، قسنطينة 1965 .
- ويكيبيديا الموسوعة الحرة .

الرسائل الجامعية :

- أحمد مريوش , الحركة الطلابية الجزائرية ودورها في القضية الوطنية و ثورة التحرير1954 , دكتوراه دولة في التاريخ الحديث و المعاصر ,جامعة الجزائر, السنة الدراسية 2005- 2006.
- السبتي بن شعبان, الحركة الوطنية في منطقة قالمة 1919-1954 , رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير , جامعة قالمة , السنة الجامعية :2009-2010.
- رشيدة شدري معمر: العلماء و السلطة العثمانية في الجزائر , رسالة ماجستير , كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية, جامعة الجزائر , 2006/2005.

- زهير بن علي ,قضايا المرأة ضمن اهتمامات ,الحركة الاصلاحية الجزائرية :1925-1954 ,مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث ,السنة الدراسية 2014-2015 .
- سحولي بشير, مواقف النخبة الجزائرية المفرنسة من القضايا الوطنية ,رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث.
- عبد الحميد خميسي , مشكلة الغذاء و ثورات الخبر في الجزائر و فرنسا خلال القرن 18 و بداية 19 ، مذكرة الماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة منتوري قسنطينة 2006 .
- كمال خليل :المدارس الشرعية الثلاث في الجزائر :التأسيس والتطوّر"1951/1850" رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة،السنةالدراسية2007-2008.

المقالات في الجرائد و المجلات:

- آسيا بلحسين رحوي, وضعية التعليم الجزائري غداة الاحتلال الفرنسي, دراسات نفسية و تربوية، مخبر تطوير الممارسات النفسية و التربوية, عدد 7 ديسمبر 2011
- النوي معماش : " موقف المتجنسين الجزائريين من المرأة خلال النصف الأول من القرن العشرين"، مجلة الحوار الفكري، ع6 .2004 جامعة قسنطينة
- بن حسين كريمة , المتجنسون :مواقفهم، أفكارهم وطموحاتهم , مجلة العلوم الانسانية, العدد 30,ديسمبر 2008.
- نور الدّين زمّام, حول سوسيولوجية المثقف الجزائري, نشر في "إضافات" المجلة العربية لعلم الاجتماع, العدد الأول ، شتاء 2008
- جريدة الربيليكان ليوم 1938/06/22 عن مجلة الشهاب، الجزء السابع ، المجلد الرابع عشر .

- جمال غريد, ثنائية المجتمع و ثنائية النخبة ,الجذور التاريخية , مركز البحوث العربية و الافريقية , جانفي 2004.

- خالد بوهند, الاصول الاجتماعية و الخلفيات السياسية و الثقافية للنخبة الجزائرية الفرنكفونية, مجلة المقتطف المصري التاريخية

- سعد بوفلاقة , مدينة الجزائر رواسي للفن و للتاريخ , مجلة الثقافة، الجزائر 2007 .

- صالح جديد ,"الانتليجانسيا الشابة و الزمن نحو التحرر" ، رسالة الأطلس, عدد 235 ليوم 1999.04.11

- عبد الحق شرف، تراجم لبعض علماء مدرسة الباي في وهران من خلال بعض الآثار المخطوطة.- دورية كان التاريخية.- العدد الثالث والعشرون؛ مارس 2014.

- مجلة الثقافة : السنة الأولى، العدد السادس، تصدر عن وزارة الإعلام والثقافة. مطبعة بولعيد، الجزائر، نوفمبر 1972 .

- محمد نبيل الشيمى , النخبة في العالم العربي دراسة وصفية نقدية, الحوار المتمدن-العدد: 3113 ليوم 2010/09/02:.

- مصطفى محمد حميداتوا , عبد الحميد ابن باديس وجهوده التربوية، كتاب الأمة"سلسلة دورية تصدر كل شهرين عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية"، 1997 السنة السابعة عشر، العدد 57، الطبعة الأولى، قطر

- ناصر الدين سعيدوني ,الوقف و مكانته في الحياة الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية بالجزائر -أواخر العهد ،العثماني و أوائل الاحتلال الفرنسي, مجلة الأصالة، العدد .85 ، الجزائر 1981 .

❖ يحيى بوعزيز, أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين التاسع عشر و العشرين, مجلة الثقافة عدد : 63ماي, 1981.

قائمة المصادر باللغة الأجنبية:

❖ Aissa Kadri ,Ahmed Ghouati , Enseignants et instituteurs en Algérie , Institut Maghreb Europe (Paris 8) ;UNSA/Education,2006 HAL .
❖ M .Kedache, Histoire du mouvement national ,2°eme édition , Alger , ENAL 1993 .
❖ Mohammed Khettaoui, Le rôle des Médersas, le jeune musulman du : 01 août 2014
❖ Venture De PARADIS, Alger au VIII Siècle, Rev. Afr., N° 41, 1897.

المراجع باللغة العربية:

❖ ابراهيم أبراش , علم الاجتماع السياسي , مقاربة ابستمولوجية و دراسة تطبيقية على العالم العربي , منشورات إي- كتب.
❖ أثار السياسة الاستعمارية و الاستيطانية في المجتمع الجزائري (1830-1954) , منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954, طبعة خاصة , وزارة المجاهدين , الجزائر 2007.

❖ الشيخ الحاج أحمد بن المبارك بن العطار , تاريخ بلد قسنطينة , تحقيق و تعليق و تقديم عبد الله حمادي , دار الفائز للطباعة و النشر و التوزيع , الطبعة الجديدة 2011 , قسنطينة

❖ برهان غليون , مجتمع النخبة , دراسات الفكر العربي , معهد الانماء العربي , الطبعة الاولى , بيروت . 1986

❖ حمدان بن عثمان خوجة .المرآة , تقديم و تعريب و تحقيق , محمد العربي زبيري , منشورات ANEP ,الجزائر 2005.

❖ شارل آندري جوليان , افريقيا تسير , ترجمة : المنجي سليم و آخرون , الدار التونسية للنشر , الشركة الوطنية للنشر و التوزيع , الجزائر , سنة 1976.

❖ عبد المجيد عمراني , جان بول سارتر و الثورة الجزائرية , مكتبة مدبولي , باتنة.

❖ عبد المنعم محمد حسين حسانين , اشكالية التعليم في العالم العربي و الاسلامي , دراسة تحليلية , دار ناشري للنشر الالكتروني

❖ عبد الله ركيبي , الفرانكفونية مشرقا و مغربا, دار الكتاب العربي ,الجزائر.

❖ عمورة عمار , موجز في تاريخ الجزائر, الطبعة الأولى , دار ريحانة , الجزائر 2002.

❖ عميراوي احميده , قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث , المكتبة الوطنية ردمك , الجزائر 2005.

❖ مبارك بن محمد الميلي , تاريخ الجزائر في القديم و الحديث , تقديم و تصحيح , محمد الميلي , المؤسسة الوطنية للكتاب.

❖ محمد البشير شنيتي , أضواء على تاريخ الجزائر القديم ,بحوث و دراسات, دار الحكمة , الجزائر 2003.

❖ محمد الطيب العلوي , مظاهر المقاومة الجزائرية 1830-1954, الطبعة الثالثة , منشورات وزارة المجاهدين, الجزائر.

❖ محمد قنانش , الحركة الإستقلالية في الجزائر بين الحربين 1919-1939, الشركة الوطنية للنشر و التوزيع , الجزائر , 1982.

❖ ليون فيكس , الجزائر حتف الاستعمار , ترجمة محمد عيتاني , مكتبة المعارف في بيروت

❖ مجلة أماراباك, مجلة علمية محكمة تصدر عن الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا , المجلد الرابع، العدد السابع 2013 .

❖ مجلة الأصالة العدد 67 لسنة 1979مجلة الثقافة الجزائرية , الأعداد : 51, 66 , 70.

❖ مجلة الحوار الثقافي , تصدر عن مخبر حوار الحضارات، التنوع الثقافي وفلسفة السلم بجامعة مستغانم ، الجزائر , عدد خريف وشتاء 2013 .

❖ مجلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية , الأنتلجنسيا الجزائرية بين الجماعة الوطنية و الكائن الثقافي , العدد السابع جانفي2012 .

❖ مجلة العلوم الإنسانية , العدد 30 ل: ديسمبر 2008 , المجلد أ , قسنطينة 2008.

❖ مجلة كلية الآداب و اللغات , جامعة محمد خيضر بسكرة , العددان الرابع عشر و الخامس عشر , جانفي – جوان 2014.

المراجع باللغة الأجنبية:

❖ Abdi Abd-Allah, Histoire de la bibliothèque universitaire d’Alger et de sa reconstitution après l’incendie du 7 juin 1962.

❖ Mohamed, Bencheneb, « Notions de pédagogie musulmane », résumé d’éducation et d’instruction enfantine, Revue Africaine, 41ème année, n° 225-226, Alger, 1897.

- Histoire générale de l'Afrique études et documents. Le rôle des mouvements d'étudiants africains, dans l'évolution politique et sociale de l'Afrique de 1900 à 1975, édition UNESCO/L'HARMATTAN.1993.
- Hubertine Auclert, Les Femmes Aarabes En Algérie, L'HARMATTAN 2009 .
- La conquête d'Alger , ou relation de la compagne d'Afrique, d'âpres les documents officiels et particuliers recueillis et mis en ordre par A.M. Perrot,Paris ,H .Langlois fils ,éditeurs ,1830.
- Laugier De Tassy, Histoire du Royaume d'Alger, commissaire de la marine pour sa majesté très chrétienne, en hollande.
- Rebecca Rogers , La « mission civilisatrice » au féminin : le cas de Madame Luce en Algérie, années 1840 aux années 1900 , Grenoble APHG , 25 novembre 2014.
- René basset, recherches sur la religion des berbères, Ernest Leroux, éditeur, paris 1910.